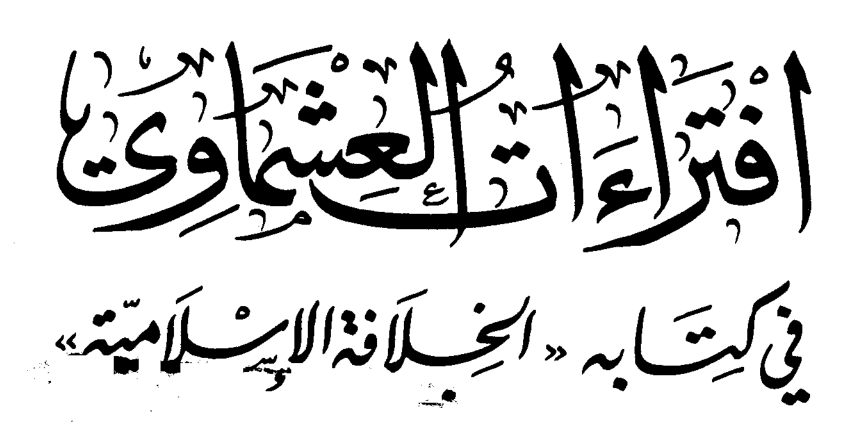


تأليف

الدكتور أحمد عبد وطبان الجنابي



Title: **Iftirâ°ât al-°Ašmâwi**
(Al-'Ashmawi's forgeries in his book "The Islamic caliphate")

Author: Dr. Aḥmad °Abd Waṭbān al-Janābi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 224

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: افتراءات العشماوي
في كتابه " الخلافة الإسلامية "

المؤلف: د. أحمد عبد وطبان الجنابي

الناشر: دار الكتب العلميــــة _ بيروت

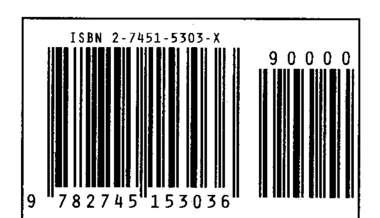
عدد الصفحات: 224

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنــان

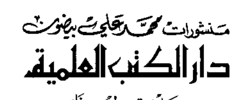
الطبعة: الأولى

هذا الكتاب بالأصل بحثٌ قدّمه المؤلف إلى مجلس معهد التاريخ والتراث العلمي في بغداد، وهو جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التراث العربي والإسلامي.





الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ



Mohamad Ali Baydoun Publications **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah**

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العليم الحكيم الذي أجزل العطاء العميم والثواب والنعيم لكل من قدم خدمة للأمة الإسلامية ومن سبق من آبائنا وأجدادنا وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[1].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى سواء السبيل وعلى آله وأصحابه هداة الأمة وقادتها في الفتوح والجهاد ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد.

أما بعد: فهذا بحث أقدمه إلى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي وهو جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التراث العربي والإسلامي. يتضمن الرد على فكرة فصل الدين عن السياسة والنيل من قادة الأمة وسادتها والافتراء على تاريخها وتراث حضارتها التي سود فيها المستشار محمد سعيد العشماوي صفحات كتبه وخاصة في كتابه الخلافة الإسلامية الذي تهجم فيه على كل العصور الإسلامية بدءاً من عصر النبوة والخلافة الراشدة وافترى وتهجم على العصر الأموي والعباسي ومن جاء بعدهم حتى انتهاء الخلافة وإلغائها في سنة ١٩٢٤م.

وأخذت ما رأيته خطرا على الأمة ومهماً ويستوجب الرد والتغيير وأوردت في أسلوب الرد بأن ذكرت النص للكاتب ووضعته بين قوسين ورددت عليه بالاعتماد على المصادر القديمة والمراجع الحديثة، مثل طبقات

---

(١) سورة، يس، آية، ١٢.

ابن سعد وتاريخ ابن خياط والبلاذري، والمسعودي والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها من الكتب التاريخية وكذلك كتب التراجم وكتب الفقه وكتب الحديث كالصحيحين وكتب السنة وغيرها من الكتب الأخرى، لا سيما كتب الأموال مثل كتاب الخراج لأبي يوسف والأموال لأبي عبيد والأحكام السلطانية للماوردي والأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء.

واعتمدت أيضا على مراجع حديثة أخص منها بالذكر كتاب الدكتور محمد عمارة، وهو سقوط الغلو العلماني الذي تناول فيه الرد على جميع كتبه ردا عاما وقد اقتصرت في الرد على كتاب الخلافة الإسلامية.

وقد رتبت رسالتي هذه على سبعة فصول وكل فصل قسمته إلى مباحث:

الفصل الأول: نظام الخلافة وتطورها

وقسمته إلى أربعة مباحث:

* المبحث الأول: لمحة تاريخية عن نشوء الخلافة.

* المبحث الثاني: الخلافة في دراسات المحدثين والمعاصرين.

* المبحث الثالث: الأغراض والأهداف لأصحاب هذه الأفكار.

* المبحث الرابع: وجوب اتخاذ الخلافة.

الفصل الثاني: التعريف بالمستشار العشماوي وبيان توجهه الفكري.

وقسمته إلى أربعة مباحث:

* المبحث الأول: التعريف بالعشماوي.

* المبحث الثاني: الخلافة الإسلامية في نظر العشماوي.

* المبحث الثالث: المنهج الغريب لنظر العشماوي في رؤيته للتاريخ.

* المبحث الرابع: المواقف العدائية العشماوية لتاريخ الإسلام.

الفصل الثالث: موقف العشماوي من القرآن الكريم.

وقسمته إلى ثلاثة مباحث:

* المبحث الأول: الرؤية العشماوية للقرآن الكريم.

* المبحث الثاني: حفظ المصحف الشريف من التغيير والتحريف في نظر العشماوي.

* المبحث الثالث: اتهام العشماوي القرآن بالتحريف.

الفصل الرابع: الرسول ﷺ في نظر العشماوي.

وقسمته إلى ستة مباحث:

* المبحث الأول: العشماوي ينفي العصمة عن النبي ﷺ.

* المبحث الثاني: قصة الغرانيق.

* المبحث الثالث: النبي محمد ﷺ في المدينة.

* المبحث الرابع: معركة بدر الكبرى.

* المبحث الخامس: الصحيفة.

* المبحث السادس: دفاع العشماوي عن اليهود.

الفصل الخامس: الحكومة الإسلامية في نظر العشماوي.

وقسمته إلى ثلاثة مباحث:

* المبحث الأول: حكومة الله تعالى.

* المبحث الثاني: حكومة النبي ﷺ.

* المبحث الثالث: حكومة التحكيم لا الحكم.

الفصل السادس: الخلفاء الراشدون في نظر العشماوي.

وقسمته إلى ستة مباحث:

* المبحث الأول: مؤتمر السقيفة في.

* المبحث الثاني: خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

* المبحث الثالث: الزكاة.

* المبحث الرابع: خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

* المبحث الخامس: خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

* المبحث السادس: خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

الفصل السابع: الخلافة بعد الراشدين في نظر العشماوي.

وقسمته إلى مبحثين:

* المبحث الأول: الدولة الأموية.

* المبحث الثاني: الدولة العباسية.

والخاتمة

تمهيد

مفهوم السياسة الشرعية

إن لكل دولة ولكل نظام سياسة ونظاما تسوس به رعاياها وفق ما تراه مناسبا لتحقيق العدل والإنصاف والمساواة بين أفراد الرعية، ولكن هذه السياسة يجب أن لا تخرج عن حدود الشرع وتعاليمه.

إن مفهوم السياسة من حيث اللغة مأخوذ من ساس يسوس سياسة، ولها مفاهيم ومدلولات لغوية:

١ - القيام بالأمر وعليه بمعنى ساس الأمر[١] قام به أو معنى تدبير الأمر ولهذا يقال لمجرب الأمور قد ساس وسيس عليه. ومنها قول الرسول ﷺ : «كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم»[٢]، أي تتولى أمورهم وتقوم على شؤونهم وتحملهم على النهج الأقوم والطريق الأمثل كما تفعل الأمراء والوزراء بالرعية.

٢ - وبمعنى الرياسة، ومن هذا المعنى قولهم: ساسوهم سوساً أي رأسوهم، وساس الناس تولى رياستهم وقيادتهم، وسوسوه وأساسوه أي رأّسوه[٣].

٣ - وبمعنى الأمر.

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن عثمان بن أحمد الأنصاري (ت ٧١١هـ، ١١١١م)، لسان العرب، دار لسان العرب (بيروت، د ت) مادة ساس. الزبيدي، تاج العروس مادة سوس.

(٢) رواه البخاري محمد بن اسماعيل، ت٥٦هـ، ينظر: ابن حجر أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ، فتح الباري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م) ٦/ ٤٩٥، رقم الحديث (٣٤٥٥). ورواه مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت، ينظر: النووي يحيى بن شرف، ت ٦٧٦هـ، شرح صحيح مسلم، دار العلم (بيروت ١٤٠٧هـ، ١٩٧٧م) ١٢/ ١٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٤١٣.

٤- وبمعنى القيام على الشيء بما يصلحه.

وخلاصة الأمر في السياسة بعد استعراضنا للمدلولات السابقة يتبين أنها بمعنى الترويض والتذليل فالقيام بالأمر يكون لغرض تذليله، والرئاسة لا تكون إلا لإحسان القيام بالأمر ولا تكون رياسة إلا بتمليك للأمر وقيام عليه بما هو الأصلح، ولا يقوم إصلاح إلا بترغيب الناس في الأمور وتزيينها، وعاقبة كل ذلك ترويضهم وتذليلهم لما فيه صالحهم جميعا، وجماع كل ذلك هو السياسة.

ومفهوم السياسة مفهوم تأريخي متطور تبعا لتطور الزمن وهناك مفاهيم قديمة ومفاهيم حديثة.

تعريف السياسة بالمفهوم القديم

عرفها الغزالي (٥٠٥هـ، ١١١١م) بأنها استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة. نقله عنه ابن عابدين من متأخري الحنفية[١].

وعرفه ابن عقيل الحنبلي[٢] (ت ٥١٣هـ، ١١١٩م) بأنها ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يصنعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي[٣].

وتعريفه هذا أشهر تعاريف السياسة الشرعية وأحظاها بالذكر الوفير والاهتمام الكبير عند دارسي تاريخ السياسة الشرعية.

وعرفها بعضهم بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأحوال[٤].

(١) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، دار إحياء التراث العربي (بيروت د ت) ٤/ ١٥.

(٢) علي بن عقيل بن محمد أبو الوفاء، من أبرز شيوخ الحنابلة في القرن الخامس، أخذ الفقه عن أبي يعلى الفراء وألف وصنف في علوم عديدة. ينظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت ٧٧٤م) البداية والنهاية، دار ابن حبان (دبي، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م) ١٢/ ١٨٤.

(٣) علي بن عقيل بن محمد الحنبلي، التعليقات، المسمى بالفنون، (بيروت ١٩٨٧م) ص١٠.

(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، (القاهرة دار التحرير ١٩٦٧م) ١/ ١٥.

وللسياسة تعاريف أخرى خاصة، فهي تأتي بمعنى أدلة القضاء وطرائقه، وجاءت بمعنى التعزير، والتغليظ في التعزير، وعند بعضهم السياسة الشرعية فعل الحاكم فيما لا نص فيه[١].

وهناك تعريف حديث جامع مانع يقول: هي الأحكام التي تنظم مرافق الدولة وتدير بها شؤون الأمة مع مراعاة أن تكون متفقة مع روح الشريعة، نازلة على أصولها الكلية، محققة أغراضها الاجتماعية، ولو لم يدل عليها شيء من النصوص التفصيلية الجزئية الواردة في الكتاب والسنة.

بمعنى أنه لا سياسة إلا ما وافق الشرع، وبمعنى أدق ما وافق الشرع بأن لم يخالف ما نطق به الشرع.

وتعني السياسة الشرعية مجموعة الأوامر والإجراءات الصادرة عن مختص شرعا والتي تطبق من خلالها أحكام الشريعة الإسلامية فيما لا نص فيه على المحكومين بشروطها المعتبرة.

وأن ما نعنيه بالسياسة الشرعية في حقيقة الأمر هو تدخل ولاة الأمر في التشريع الإسلامي استهدافا لتحقيق مصالح العباد وإن خالفوا في ذلك أقوال الفقهاء المتبوعين.

وتقسم السياسة الشرعية من حيث صيغتها السياسية إلى قسمين:

١ - سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر وتستخلصه منه، وعدادها في نطاق الشرع، ومفهوم هذه السياسة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[٢].

بل عندهم عدل الله ورسوله ونسميها سياسة من قبيل المتابعة في المصطلح.

٢ - سياسة ظالمة وهي ضد السياسة العادلة إذ لا تخرج الحق من الظالم فالشريعة تحرمها.

---

(١) مثنى حارث سليمان الضاري، الضوابط الأصولية في السياسة الشرعية في العصر الحديث، رسالة ماجستير إلى كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد سنة ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة النساء، من الآية ٥٨.

وتنقسم السياسة من حيث مصدرها إلى أربعة أقسام:

أ - سياسة شرعية: وهي ما كانت أصولها ومبادئها موضوعة من الشارع مرسومة من عنده محدودة من قبله، وما كانت قواعدها وتطبيقاتها خاضعة لهذه الرسوم والحدود، ويخصها بعضهم بسياسة الأنبياء التي هي فيض إلٰهي وعطاء رحماني يختص الله بها من يشاء فلا معقب لحكمه ولا راد لأمره.

ب - سياسة مدنية وهي سياسة يدل اسمها على اختصاصاتها، وهي سياسة ولاة الأمور من ملوك وسلاطين وأمراء وغيرهم في إصلاح عامة الناس فيما بينهم وتنظيم أمور معاشهم بدون رجوع منهم إلى قوانين الشرع وسياسته، وتعني تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الأخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حكم النوع ونفاذه[١].

جـ - سياسة نفسية وهي خاصة بالعلماء، وسميت بذلك لأنها متوجهة نحو بواطن الناس دون ظواهرهم[٢].

د - سياسة بدنية وهذه آخر السياسات درجة وأدناها رتبة لأنها لا تصح إلا على تدبير المعاش بإصلاح أحوال جماعة مخصوصة على سنن العدل والاستقامة[٣].

---

(١) مثنى حارث سليمان الضاري، الضوابط الأصولية، ص ٥٩.

(٢) الملك الأفضل، نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء، تحقيق نبيل عبد المنعم، بغداد، ص٦٢، وابن خلدون، المقدمة، دار الفكر (بيروت، د ت). ص١٤٣، ود. أحمد عبد السلام تونسي، دراسات في مصطلح السياسة عند العرب، الشركة التونسية للتوزيع (١٩٨٥م) ص١٣.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص١٤٣.

الفصل الأول

نظام الخلافة وتطورها

المبحث الأول

لمحة تاريخية عن نشوء الخلافة

إن الدين الإسلامي-على خلاف الأديان الأخرى- لم يقتصر في أحكامه على شؤون الدين. فالإسلام دين ودولة. عقيدة وشريعة[1].

تعريف الخلافة:

وهي كما عرفها ابن خلدون في مقدمته:

[إنها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به، وتسمى خلافة وإمامة ويسمى القائم بها خليفة وإماماً][2].

وعرفها الماوردي بما نصه:

[الإمامة موضوعة لخلافة النبوة وحراسة الدين وسياسة الدنيا][3] بمعنى تطبيق أحكام الشرع فيما ورد فيه نص ومراعاة مطلق المصلحة فيما ليس فيه نص[4].

---

(١) د. محمد كامل ليلة، فلسفة الإسلام السياسية ونظام الحكم فيه (بغداد ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.) صفحة١٠

(٢) ابن خلدون، عبد الله بن محمد (ت ٨٠٨هـ) المقدمة (إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت) صفحة ١٩٢.

(٣) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ) الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت) صفحة ٥.

(٤) مثنى حارث سليمان الضاري، الضوابط الأصولية للسياسة الشرعية، ص٦٠.

وعرفها شمس الدين الأصبهاني بأنها: [عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص نيابة عن النبي ﷺ في إقامة قوانين الشريعة، وحفظ حوزة الملك على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة][١].

وهناك تعاريف أخرى للخلافة أو الإمامة أو إمارة المسلمين، ولكنها جميعا متقاربة في ألفاظها، وتكاد تكون متحدة؛ فلا داعي للإكثار منها[٢].

كان للرسول ﷺ وظيفتان:-

الوظيفة الأولى: التبليغ عن الله بحكم الرسالة التي اختير ليقوم بأدائها، فهو بذلك مشرع عن الله تعالى.

الثانية: كونه إماما للمسلمين تجتمع إليه كلمتهم، يوجههم إلى الخير ويبعدهم عن الشر، وإليه القضاء في مشكلاتهم بحسب ما يوحى إليه من الشريعة ثم يقوم بتنفيذ تلك الأحكام[٣].

لم ير المسلمون بداً من تنصيب من يخلف النبي ﷺ في خلافة المسلمين[٤]، ذلك أن الشرع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما القوانين الوضعية فهي عرضة للأخطاء، وبالتالي للتغيير والتبديل، مما يحصر مهمة العقل والفهم الإنساني في حدود الشرع نفسه، وضمن شروط الاجتهاد.

والسلطان للأمة في اختيار من يحكمها تولية وعزلا، وفقا للنص الشرعي: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٥].

---

(١) السيد هاشم الحسيني الطهراني: توضيح المراد في شرح تجريد الاعتقاد: مطبعة المصطفوي، ط١، (إيران، ١٣٨١هـ)، ص٣٧٣.

(٢) - د. رشدي عليان: الإسلام والخلافة، (بغداد، ١٩٧٦م) ص٣٢.

(٣) محمد خضري بك: محاضرات في تأريخ الأمم الإسلامية، (الاستقامة، القاهرة، ١٣٣٦هـ) ١/ ١٨٥.

(٤) ابن الأزرق محمد بن علي بن محمد الأصبحي، (ت ٨٩٦هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: د. علي سامي النشار، (بغداد، ١٩٧٧م)، ١/ ٩٠.

(٥) رواه الإمام أحمد بألفاظ، وفي بعض طرقه: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)) ورجاله رجال الصحيح. ينظر: الهيثمي، نور الدين علي بن بكر (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٠م، ٥/ ٢٢٥.

ومقياس جميع الأمور والأعمال هو الحلال والحرام، ولا ثالث لهما، والحلال ما أحله الشرع، والحرام ما حرمه الشرع[١].

ولم يعرف في هذه الأمة شيء تشعبت فيه الآراء واختلفت فيه الكلمة بمقدار ما كان في شأن الخلافة[٢].

لم يدفن النبي ﷺ حتى كانت هناك فكرتان:- (الأولى): عدم تخصيص الخلافة ببيت من البيوت، (والثانية): تخصيصها، وهذه الثانية ذات شقين:- (الأولى) تخصيصها بالبيت القرشي على اختلاف بطونه، (والثانية) تخصيصها بالقرابة القريبة من رسول الله ﷺ، وكان أقرب الناس إليه عند موته العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، ومن بني عمه علي وعقيل ابنا أبي طالب رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه يمتاز من بينهم بسبقه إلى الإسلام، وشهود المشاهد مع رسول الله ﷺ، وتزوجه بابنته فاطمة رضي الله عنها، ويمتاز العباس بأنه العاصب الوحيد له وأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ[٣].

ورأي عدم التخصيص هو للأنصار، ورأي التخصيص بقريش في ذلك الوقت هو رأي الجمهور[٤].

ورأي التخصيص بالقرابة القريبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن تابعه.

فمكث الرأي الأوسط سائداً والأخير جامداً لا يجد له محركاً[٥].

انتخب سيدنا أبو بكر رضي الله عنه حيث اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة وبعد المداولات والأخذ والرد انتخب سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لسابقته في الإسلام ولصحبته في الهجرة ولإمامته في الصلاة في أثناء مرض رسول الله ﷺ. ثم عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة بعده إلى سيدنا عمر بن

---

(١) ينظر: موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض، رسالة ماجستير، سنة ١٩٧٧، ص٣٧٦.

(٢) ينظر: ابن الأزرق، بدائع السلك، ١/ ٩٠-٩١.

(٣) د. أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة (الرياض، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م) ص٢٥.

(٤) محمد خضري بك: تأريخ الأمم الإسلامية: ١/١٥٩.

(٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت ٩١١هـ، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بغداد، ١٩٨٧م، ص٦٣.

الخطاب ﷺ بعد استشارة كبار الصحابة بهذا الاختيار فأشاروا عليه بالموافقة[(١)] ثم بطريقة الاختيار الشوري من الذين اختارهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وعينهم في اختيار خليفة من بعده بعد أن أصيب وهو يصلي فاختاروا سيدنا عثمان بن عفان ﷺ خليفة للمسلمين وبعد استشهاده على يد الغوغاء الذين حاصروه وقتلوه في بيته انتخب المسلمون[(٢)] بعده سيدنا عليا ﷺ، ثم تولى ابنه الحسن ﷺ الخلافة وبقي فيها ستة أشهر ثم تنازل بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة (٤١هـ ٦٦١م) وسمي هذا العام عام الجماعة[(٣)].

وسار بنو أمية من معاوية فمن بعده في ولاية العهد على أن الخليفة هو الذي يعينه كما هي طريقة أبي بكر ﷺ في عهده لعمر رضي الله عنه إلا أن بينهما فرقا وهو أن أبا بكر رضي الله عنه اختار رجلا ليس من ذوي قرابته بل من بطن آخر، أما بنو أمية فقد اختاروا من قرابتهم والغالب من أولادهم. ولم تزل طريقة العهد سائدة حتى زالت دولتهم وجاءت خلافة بني العباس فسارت على هذا النمط ولكنها مرت في أطوار طور القوة ثم دور التغلب التركي ثم البويهي ثم السلجوقي ثم دور الانتعاش لفترة وجيزة[(٤)] ثم انتهاء دولة بني العباس على يد التتر سنة (٦٥٦هـ ١٢٥٨م) ثم انتقلت الخلافة إلى مصر في دور المماليك فلم يكن للخلفاء شيء إلا الاسم وبذلك كسب المماليك الشرعية لملكهم على مصر، ثم جاء البيت العثماني وأخضع لسلطانه كثيرا من الأمم الإسلامية التي كان لها ملوك متفرقون وتسمى السلطان سليم الذي قاد الحملة للسيطرة على مصر باسم خليفة المسلمين، هذا البيت اتخذ له قاعدة

---

(١) ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ)، مناقب عمر، تحقيق زين إبراهيم القاروط (مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ) ص٥٢. ومحمد الخضري بك، تأريخ الأمم الإسلامية، ١/ ١٦٣.

(٢) ينظر: أحمد شلبي، السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، مكتبة النهضة، مصر١٩٧٤م.) ص ١٠٠ وما بعدها.

(٣) الدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة (دار طيبة، الرياض ١٤٠٩هـ) صفحة ١٢٧.

(٤) علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، نقد وتعليق: د. ممدوح حقي، (بيروت، د.ت) ص١٧.

يسير عليها في شكل الاختيار. وسار على نظام الوراثة في تولية السلطنة ولم تكن الخلافة إلا أحد الألقاب المتعددة التي اتخذها السلطان العثماني لنفسه. غير أن هذا اللقب كان ذا فائدة كبرى حيث استطاع الخليفة أن يعلن سلطانه على العالم العربي وأكثر العالم الإسلامي عدة قرون. وقد توالت النكبات على الدولة العثمانية وخاصة في ميداني النمسا وروسيا وتكتلت ضدها قوى أوربا حتى قامت الحرب العالمية الأولى. فخسرت الدولة العثمانية الحرب لأسباب عديدة. وانتهت الخلافة الإسلامية على يد مصطفى كمال أتاتورك سنة، ١٣٤١هـ - ١٩٢٤م. وبقي الإسلام والمسلمون بدون خليفة إلى وقتنا الحاضر .

المبحث الثاني

الخلافة في دراسات المحدثين والمعاصرين

أجمع المسلمون في كل عصورهم. ومع اختلافهم في تعيين الأئمة وصفاتهم وشروطهم وواجباتهم على وجوب إقامة خليفة. أنه لا يقدح في حجية هذا الإجماع رأي من شذ من آحاد الأمة كنجدة(١) والأصم(٢) قديما، ولا رأي من حاول إحياء هذا الشذوذ كالشيخ علي عبد الرازق حديثا(٣). والعشماوي الذي نحن بصدد الرد عليه، ويتلخص رأي الشيخ عبد الرازق -غفر الله له- في أن الإسلام دين فقط وليس دينا ودولة وأن إقامة حاكم عام للدولة ليس واجبا شرعيا، وأنه لا يوجد للإسلام نظام للحكم، وإنما ترك ذلك للناس يرجعون فيه إلى أحكام العقل وتجارب الأمم، وقواعد السياسة(٤).

---

(١) نجدة بن عامر الحنفي، من اليمامة خرج مع نفر من الناس. ويقال لهم النجدات نسبة إلى نجدة، ينظر: الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ) مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٤٠٥هـ ١٩٥٨م. ١/ ١٦٢.

(٢) حاتم الأصم الزاهد المشهور البلخي (ت٢٣٧ هـ)، ينظر: أبو الفداء عماد الدين اسماعيل، ت ٧٣٢هـ، المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) دار المعرفة، (بيروت، دت) ٢/ ٣٨.

(٣) د. رشدي عليان، الإسلام والخلافة، ص ٤٠.

(٤) علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، ص ١٢٢-١٢٣.

يقول علي عبد الرازق: [أن محمداً ﷺ ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا دعوة لدولة، وإنه لم يكن للنبي ﷺ ملك ولا حكومة، وأنه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسة، وما كان إلا رسولا كإخوانه من الرسل، وما كان ملكا ولا مؤسس دولة ولا داعيا إلى ملك](١).

وحين يصطدم صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم) بالحقيقة وهي أن الرسول ﷺ باشر سلطات سياسية شاملة على المسلمين فضلا عن كونه رسولا يبلغ دعوته من الله، وإن من السلطات السياسية التي باشرها الجهاد والحروب، وتنظيم ما بعد الحرب، من عقد المعاهدات وإقامة الحدود، وإذ لا يجد علي عبد الرازق وسيلة لإنكار ذلك كله فإنه يلجأ إلى القول بأن الرسول ﷺ باشر ذلك لوسيلة من وسائل تثبيت الدين وتأييد الدعوة(٢).

فقال في كتابه [لا يريبنك هذا الذي تراه أحيانا في سيرة النبي ﷺ فيبدو لك كأنه عمل حكومي، ومظهر للملك والدولة فإنك إذا تأملت لم تجده كذلك، بل هو لم يكن إلا وسيلة من الوسائل التي كان عليه ﷺ أن يلجأ إليها تثبيتا للدين وتأييدا للدعوة](٣).

وعلى هذا الرأي الدكتور طه حسين، لكنه يعبر عنه على صورة أكثر تحررا. إذ يقول في الفتنة الكبرى: [إن القرآن لم ينظم أمور السياسة تنظيما مفصلا، وإنما أمر بالعدل والإحسان، وإن النبي نفسه لم يرسم بسننه نظاما معينا للحكم ولا للسياسة](٤) وتقمص هذا الرأي كاتب جديد ألا وهو المستشار محمد سعيد العشماوي، الذي قال في كتابه (الخلافة الإسلامية) ما نصه: [كل ما حدث من النبي ﷺ طوال حياته أنه كان يباشر ما يتصل

---

(١) الإسلام وأصول الحكم، ص١٦٠.
(٢) عبد الكريم عثمان، النظام السياسي في الإسلام، دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م. ص١٠.
(٣) الإسلام وأصول الحكم، ص١٦٦.
(٤) د. طه حسين، الفتنة الكبرى، ص٢٥.

بالدين... ولم يقصد إلى سيادة، ولم يهدف إلى سلطان، ولم يرنُ إلى ملك][١]. ويقول: [إن النبي ﷺ لم يحكم الناس أصلا كملك أو أمير أو رئيس أو سلطان، وإنما حكمهم عرضا كنبي من الله ورسول إلى الناس، وبقدر ما يتصل هذا بشؤون تأسيس الدين وترسيخ الشريعة][٢].

وأراد أن يخالف من سبقه في هذا الشأن من حيث الصورة، وإلا فإن المضمون واحد وأراد أن يقول إن الدولة التي هي دولة إلهية مرتبطة بالوحي لا علاقة لها بالدنيا وأمورها.

وأما الخلافة (يقول علي عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم): [والحق أن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، وبريء من كل ما هيؤوا من حولها من رغبة ورهبة ومن عزة وقوة، والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية لا حكما ولا قضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة إنما تلك خطط سياسية صرفة][٣].

واحتج الشيخ لرأيه بأن القرآن الكريم خلا من ذكر الخلافة، ولو كان فيه دليل واحد لما تردد العلماء في التنويه والإشارة إليها، حيث أنه أولَ الآيات القرآنية الصادرة في هذا الشأن على غير وجهها الصحيح، وادعى أن السنة النبوية قد أهملت أمر الخلافة ولم تتعرض لها، واستشهد على هذا بأن العلماء لم يستطيعوا أن يستدلوا على فرضية الخلافة بشيء من السنة النبوية، وأنهم لو وجدوا لهم دليلا لقدموه على الاستدلال بالإجماع[٤].

إن دعواه باطلة ودليله داحض بما جاء من آيات قرآنية وسنة نبوية شريفة، وما نقل بأسانيد صحيحة وما مارسه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من أعمال سياسية مرتبطة بالدين[٥]، ومن ذلك[٦]:-

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص ٨٥-٨٦. (٢) الإسلام وأصول الحكم ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) د. رشدي عليان، الإسلام والخلافة صفحة ٣٦.

(٤) علي عبد الرازق، الإسلام والخلافة، صفحة ١٨٢.

(٥) د. رشدي عليان، الإسلام والخلافة صفحة ٢٠.

(٦) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ١/ ١٤٢.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[١].

وقوله جل شأنه: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[٢].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾[٣].

وغيرها من الآيات التي تدل على أن الإنسان يجب عليه أن يقيم حاكمية الله في الأرض.

وأما السنة النبوية فهي كثيرة جدا، ومنها:-

ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٤].

ومنها قوله ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»[٥].

وقد تواتر عن الصحابة ﷺ أنهم بايعوا أبا بكر ﷺ بالخلافة بعد لحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، ثم استخلف أبو بكر عمر رضي الله عنهما، ثم استخلف عمر رضي الله عنه أحد الستة فاختاروا عثمان رضي الله عنه ثم بعد استشهاده بايعوا عليا رضي الله عنه.

ويقول الدكتور محمد ضياء الدين الريس في كتابه (الإسلام والخلافة في العصر الحديث) : [الرأي الذي انتهى إليه الشيخ-الذي هو قاض شرعي من علماء الأزهر- كان غريبا وشاذا يخالف ما يعتقده المسلمون وما أجمع عليه علماؤهم، بل في الوقت نفسه ينكر التأريخ الإسلامي كله ويهاجمه][٦].

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩. (٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإمارة، رقم الحديث ١٥٨١.

(٥) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، ٧/ ٢٦٧، والإمام أحمد، ٢/ ١٧٧، وأخرجه البزارمن حديث عمر بن الخطاب ﷺ بسند صحيح، ينظر: نيل الأوطار، ٨/ ٢٨٨.

(٦) ينظر: الكتاب، ص ٤٧.

وأما المستشار العشماوي الذي شن حملة حاقدة على الخلافة الإسلامية من خلال كتابه (الخلافة الإسلامية) وكتبه الأخرى، فقد كانت حملة شعواء وعدائية، فيقول: [الخلافة ليست هي الإسلام ولم تخدم الإسلام حقيقة بل إنها أضرت به حين ربطت العقيدة بالسياسة ومزجت الشريعة بنظام الحكم... فضيعت حق الإسلام وحق المسلمين وفرطت في حقوق الله وحقوق الناس...][(١)] إلى آخر ما يفتري على الخلافة الإسلامية، وأدلة هؤلاء الذين يرفضون الخلافة من سابقين ولاحقين أدلتهم داحضة لا يعتد بها، ونورد بعضا منها من أجل الاطلاع عليها وتفنيدها والرد عليها:-

١- قالوا إن الخلافة لو صح اعتبارها من أركان الدين لاختار الرسول ﷺ خليفة من بعده.

والجواب على هذا القول. بأن الرسول ﷺ قد ترك الأمر قصدا إذ لو اختار للمسلمين خليفة لظن القوم أن هذه إرادة الله ولخضعوا للخليفة دون محاسبة أو رقابة.

٢- إن الإدعاء أن وجوب قيام الخلافة يستند إلى الإجماع غير صحيح إذ أن بعض الخوارج وأبا بكر الأصم خالفوا فلا ينعقد الإجماع[(٢)]

الجواب: أن المراد إجماع الصحابة قبل الفتنة ومقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أي قبل ظهور فتنة الخوارج والمعتزلة[(٣)].

المبحث الثالث

الأغراض والأهداف لأصحاب هذه الأفكار

إن غرض السابقين من نفيهم الخلافة أو القول بأن قيام دولة غير ضروري للحياة إذا طبقت الشريعة، إن غرضهم التهرب وعدم الالتزام في نظام

---

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية ص ٢١.

(٢) الدميجي، الإمامة العظمى، ص ٥٢.

(٣) ينظر هذا: عبد الحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام، ص١٤٧، محمد يوسف موسى، نظام الحكم الإسلامي، ط٢، دار الكتاب العربي، (القاهرة، د.ت)، ص٢٦.

يحكم حياتهم وينظم أمورهم ويعيشون تحت سيطرته وينخرطون في قانونه.

وأما أغراض اللاحقين فلا تخلو من أحد أمرين كما قال الدكتور عارف خليل أبو عيد: [إما إغراق في الجهل والغباء أو ضلوع في المؤامرة التي يقوم بها أعداء الإسلام، لتحطيمه والحيلولة دون يقظة شعوبه الهادفة لإعادة بنائه وحمل لواء الحضارة من جديد][١].

إن هذه الأقلام مأجورة من قبل الصهيونية والماسونية العالمية[٢]، وإن لها ارتباطاً بالحركات الهدامة التي تظهر بين الفينة والأخرى وفي أماكن متفرقة في العالم الإسلامي هدف أصحاب هذه الأقلام تفريق كلمة المسلمين، مثل البهائية التي ظهرت في إيران وانتشرت في العراق وبلاد الشام، والقاديانية التي ظهرت في بلاد الهند والباكستان وانتشرت في أماكن أخرى من البلدان العربية والإسلامية، وإن هذه الفرق الضالة الهدامة كان لها ارتباط بالماسونية واليهودية، وظهر ذلك بالعلاقات الودية بين هذه الفرق واليهود، وأيضاً علاقتها بالإنكليز عند استعمارها للهند وكيف إن القاديانية أبطلت مبدأ الجهاد، وخدمت الاستعمار البريطاني بكل الوسائل[٣]. إن هذه الدعوات التي تهدف إلى إبطال الخلافة إنما هي امتداد لتلك الحركات الهدامة، ويتناسى أصحابها الحضارة العظيمة التي شادها المسلمون يوم أن تمسكوا بالإسلام وطبقوا مبادئه والذي نتج عنه القضاء على الجهل[٤] والفقر والتخلف.

إن الصورة التي قدمها الكتاب أصحاب هذه الفكرة هي صورة سوداوية منفرة لكل قارئ متحرر مستنير، والسبب في ذلك الخلط الذي وقع فيه هؤلاء

---

(١) د. أبو عيد، عارف خليل، العلاقات الخارجية في دولة الخلافة، ص٣٤، وينظر: د. رشدي عليان، الإسلام والخلافة، ص٤١ الهامش.

(٢) عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص١٢٧.

(٣) الدكتور شاكر محمود عبد المنعم، محاضرات في الحركات الهدامة، ألقيت في معهد التأريخ العربي، قسم التراث، سنة: ١٩٩٩.

(٤) عبد الخالق النواوي، العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٩٤-١٩٧٤م)، ص١٢-١٣. والفرياوي، مجيد عبيد حسن، الشعوبية، (بغداد، ١٩٩٣)، ص٤٢.

الكتاب بين الفكر الإسلامي والتأريخ الإسلامي، وبين النظرية والتطبيق، ذلك إن في الفقه الإسلامي جوانب شديدة الإشراق للحاكم وشروطه والإمام وصفاته، لقد ظل المفكرون المسلمون في جملتهم أوفياء لهذا النبع وذلك التراث[١]... وإن هذا الجانب المشع المشرق هو الذي ينفع الأمة ويدفع بها إلى أمام ويجعلها مرتبطة بتأريخها العريق ويجعل من ذلك النور ضياء ينير لها دربها في مستقبل حياتها.

وأما بالنسبة لعلي عبد الرازق مؤلف كتاب: (الإسلام وأصول الحكم) فإنه أثار بتأليفه لهذا الكتاب ضجة إعلامية عارمة[٢] أدت إلى محاكمته من قبل هيئة كبار العلماء وعزله من هذه الهيئة وإخراجه من مركز القضاء والذي كان يشغله في مصر عند طبع هذا الكتاب سنة(١٩٢٥م)[٣].

والحق أن الشيخ علي عبد الرازق لم يكن يريد أن يصفه الناس بالتقدمية ولا بدافع معارضته لحاكم مصر آنذاك الذي كان يطمح لتبوؤ مركز الخلافة بعد إلغائها في تركيا عام ١٩٢٤م، كما أنه لم يكتب ما كتب محاربة للإنكليز[٤] الذين كانوا يزعمون أنهم يعملون على إحياء الخلافة الإسلامية وتنصيب ملك مصر خليفة للمسلمين.

إنما كتب ما كتب معاونة للإنكليز والماسونية واليهودية لهدم الخلافة الإسلامية والفصل بين الخلافة والحكومة بدليل أن هذا الكاتب بدأ بتأليف هذا الكتاب في زمن الحرب العالمية الأولى أي قبل مجيء الملك فؤاد كما نص على ذلك في المقدمة في صلب الكتاب فقال: إنه والواقع أن ظهور الكتاب (عام ١٩٢٥) تأخر عن الوقت المناسب فقد كان من المحتمل أن

---

(١) الإسلام وأصول الحكم، دراسة ووثائق، محمد عمارة، صفحة ٤٨.

(٢) ينظر: إسماعيل الكيلاني: فصل الدين عن الدولة، المكتب الإسلامي، بيروت(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.) ص١٤٢. وعبد الحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام، ط٢، (الإسكندرية، ١٩٧٤) ص٧٤.

(٣) ينظر: وقائع المحاكمة، محمد عمارة، دارسة ووثائق، مقدمة مع كتاب الإسلام وأصول الحكم، ص٧٢ وما بعدها.

(٤) ينظر: مقدمة كتاب، الإسلام وأصول الحكم، ص١١٢.

يصدر بعد قليل من الشروع في تأليفه أي في أيام الحرب العالمية الأولى[١].. فجاء ذلك خدمة لبريطانيا التي كانت تسعى لتمزيق الدولة الإسلامية ولتفتيتها إربا.

وقد جاء ذلك تمهيدا لإلغاء الخلافة الإسلامية على يد العلمانية في تركيا. سنة ١٩٢٤م[٢].

ونخلص من ذلك إن الكتاب الكريم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٣].

والسنة النبوية الشريفة هو قوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته»[٤] إذ فرضا على المسلمين حاكماً أعلى للأمة، يحكمها بالعدل ويؤدي الأمانات إلى أهلها، ويرعى شؤونها الدينية والدنيوية. ويقيم شرع الله في أرضه[٥].

المبحث الرابع

وجوب اتخاذ الخلافة

اتفق جمهور الفقهاء على أن إقامة الخليفة واجب، ثم اختلفوا في كيفية وجوبها هل وجب بالعقل؟ أو بالشرع؟ أو بالشرع والعقل معاً؟، فمنهم من يرى الخلافة واجبة نزولاً على ما يقضي به حكم العقل والمنطق، ومنهم من يرى وجوبها نزولاً على حكم الشرع، ومنه من يرى هذا الواجب للاثنين[٦].

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية: [الإمامة موضوعة لخلافة النبوة

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب، الإسلام وأصول الحكم، ص١١٢، ود. رشدي عيان، الإسلام والخلافة ص٤٢.

(٢) د.رشدي عيان، الإسلام والخلافة ص٤٢.

(٣) سورة النسا، من الآية ٥٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، رقم الحديث (٨٤٤) ٤/ ٢٣٣.

(٥) الدميجي، عبد الله بن عمر، الإمامة العظمى، ص٣٤.

(٦) د. عارف خليل أبو عيد، العلاقات الخارجية في دولة الخلافة، ص٢٧.

في حراسة الدين وسياسة الدولة][١].

وقال أبو يعلى الفراء في كتابه الأحكام السلطانية، [نصب الإمام واجب وطريق وجوبها السمع لا العقل، وهي فرض على الكفاية، مخاطب بها طائفتان من الناس، إحداهما أهل الاجتهاد حتى يختاروا، والثانية من يوجد فيه شروط الإمامة][٢].

وقال ابن خلدون في مقدمته: عندما تحدث عن نصب إمام: [ثم إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه بالشرع بإجماع الصحابة والتابعين، وقد ذهب بعض الناس إلى أن مدرك وجوبه بالعقل بضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين][٣].

وفي هذا يقول ابن حزم الظاهري: [اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الخلافة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم][٤].

وبعد فهذه النصوص فيها دلالة قاطعة على وجوب إقامة الإمام، وإن هذا ما أجمعت الأمة عليه، ولا ضير في أن مصدر هذا الإجماع العقل أو الشرع أو هما معاً، فالشرع لا يخالف العقل ولا يعارضه[٥].

والنصوص الشرعية صريحة بضرورة وجود حاكم أعلى للدولة[٦]، ومن

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥.

(٢) الفراء أبو يعلى، محمد بن الحسين الحنبلي (ت٤٥٨) الأحكام السلطانية، (القاهرة١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) ص١٩.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٣.

(٤) ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري (ت ٤٥٦هـ) الفصل في الملل والنحل، القاهرة ١٣١٧هـ، ٢/ ٧٨.

(٥) الشهرستاني، محمد عبد الكريم، (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني (١٣٩٥هـ، بيروت)، ٤/ ٩٠

(٦) الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ) الاعتصام، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت، ١/ ٤٩.

هذه النصوص والأدلة الشرعية على وجوب الإمامة ما يأتي:-

١ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[١]. أورد الطبري عن أبي هريرة ﷺ: [أن أولي الأمر هم الأمراء]، ثم قال الطبري: [وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة فيما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة][٢].

وقال ابن كثير: [الظاهر -والله أعلم- أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء][٣] وهذا هو الراجح.

ووجه الاستدلال من هذه الآية أن الله عز وجل أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم، وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب أولي الأمر؛ لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده، فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم[٤].

٢ - من الأدلة قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾[٥]. هذا أمر من الله تعالى إلى رسوله أن يحكم بين المسلمين بما أنزل الله أي بشرعه، وخطاب الرسول خطاب لأمته ما لم يرد دليل يخصصه.

---

(١) سورة النساء- الآية ٥٩.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، وقال عنه: إسناده صحيح، ٧/ ٤٩٧.

(٣) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار الهلال- بيروت، د.ت) ٢/ ٣٠٣.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ . ٣٠٣.

(٥) سورة المائدة- الآية ٤٨.

٣ - من الأدلة القرآنية جميع آيات الحدود والقصاص ونحوها من الأحكام التي يلزم القيام بها وجود حاكم.

فالواقع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوه مما جاء على أساس أن قيام الإمامة الشرعية واجبة ليقوم بهذه المهام[١].

ومن السنة النبوية الشريفة:

١ - ما رواه عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[٢]. أي بيعة الإمام، وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام.

٢ - ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)[٣].

٣ - ومنها الحديث الذي رواه أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ: (لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة)[٤]. والمقصود بالحكم الحكم على النهج الإسلامي ويدخل بالضرورة وجود الخليفة الذي يقوم بهذا الحكم، ونقضه يعني التخلي عنه وعدم الالتزام به، وقد قرن بنقض الصلاة وهي واجبة فدل على وجوبه[٥].

٤ - وقد تواتر عن الصحابة ﷺ أنهم بايعوا أبا بكر ﷺ بالخلافة بعد لحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، ثم استخلف أبو بكر عمر ﷺ، ثم استخلف

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ١/ ١٢٤. والدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى، ص٤٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم الحديث (١٨٥١).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، رقم الحديث (٢٢٤١)، ٧/ ٢٦٧، ورواه البزار من حديث عمر بن الخطاب ﷺ ومن حديث ابن مسعود ﷺ بسند صحيح، ومن حديث ابن عمر مرفوعاً بسند صحيح أيضاً بلفظ: (إذا كانوا ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)، ينظر: الشوكاني، نيل الأوطار، ٨/ ٢٨٨.

(٤) رواه الترمذي في كتاب العلم، رقم الحديث (٢٦٧٦)، ٥/ ٤٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) ينظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، (مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٩٦) ص١٩٥.

عمر أحد الستة الذين اختاروا عثمان بن عفان، ثم بعد استشهاده بايعوا عليا بالخلافة ﷺ.

٥ - ومن الأدلة أن الرسول ﷺ أقام أول حكومة إسلامية في المدينة المنورة، وقام بتنفيذ كل مقومات الحكومة، وشيد أركانها ودعائمها، حيث قام بالإصلاح بين الأوس والخزرج وآخى بين المهاجرين والأنصار، وكتب الوثيقة بين كافة الأطراف من سكنة المدينة من المسلمين وأهل الشرك واليهود، وقد عيّن الولاة والأمراء والعمال لجباية الأموال من زكاة وخراج وجزية[١].

فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات[٢].

إن طبيعة الإسلام توجب قيام الدولة لتحقيق غاياته فالإسلام كما عرفنا لم يجيء فقط بالعبادات وحدها ولا بالنظام الأخلاقي المثالي الذي يرتكز عليه المجتمع فحسب، وإنما أتانا -إلى جانب العقيدة والنظام الأخلاقي- بشريعة محكمة عادلة تحكم الإنسان في مختلف تصرفاته ومعاملاته ومن ذلك علاقته مع نفسه[٣]، وفي علاقته مع أسرته ومع مجتمعه الذي يعيش فيه، ومع المجتمعات والأمم الأخرى فالفرد مهما كانت عزيمته وإمكانياته لا يستطيع أن يحيا حياة سليمة وفقا لتعاليم الإسلام بدون الجماعة التي تسهم في تكييف وصياغة حياته في الإطار الذي رسمه الإسلام وبذلك يتحقق التعاون المستمر بين أفراد المجتمع، وذلك بالتعاون الذي ينبعث من الشعور بالأخوة ويرمي إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقصد صيانة النظام الاجتماعي العام وحمايته[٤].

---

(١) الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى، الاعتصام، (المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت) ١/ ٤٩.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٩)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط٤، (دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٩م) ص١٢٠.

(٣) د. محمد كامل ليله، فلسفة الإسلام السياسية ونظام الحكم فيه، دار النذير للطباعة والنشر، بغداد ١٣٨٤هـ-١٠٦٥م ص١٧.

(٤) د. عبد الكريم عثمان، النظام السياسي في الإسلام، ص١٦.

من أجل هذا ارتبط الإسلام بشؤون الحكم فألزم أن توجد هيئة تعلم المسلمين أمور دينهم وأمور دنياهم، وتشرف على تنظيم هذه التعاليم وقد كان سيدنا محمد ﷺ أول من أدى هذه المهمة ومن بعده قام الخلفاء بأدائها وكان هناك مساعدون يعملون مع الخليفة لأداء هذا العبء، ومن الخليفة ومساعديه تكونت الحكومة الإسلامية[١]. والذي يدل على وجوبها الأمران الآتيان:

أولاً: أجمع سلف الأمة وأهل السنة وجمهور المسلمين من الطوائف الأخرى على أن نصب الإمام أي توليته على الأمة واجب على المسلمين شرعاً وعقلاً[٢].

فالإجماع منعقد من الصحابة ﷺ على وجوب نصب الإمام ولذلك بادروا إلى التوجه إلى انتخاب خليفة للمسلمين قبل دفن النبي ﷺ؛ لأنها مهمة عظمى[٣].

ثانياً: القاعدة التي تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وذلك ما يجب على المسلمين من إقامة الحدود وسد الثغور والدفاع عن بيضة الدين مما يتعلق بحفظ النظام. وبهذا يعد من الواضح القول بأن السياسة جزء من الحضارة الإسلامية والتفكير الإسلامي، وإن شذوذ بعض الخوارج لا قيمة له ولا يقلل من الإجماع لأنهم مع قلتهم بنوا رأيهم على شبهة هزيلة، فيقولون لو تكافّ الناس عن التظالم لاستغنوا عن الإمام[٤].

فإن حجتهم داحضة ورأيهم مردود ويصطدم بالواقع، وإن هؤلاء الذين يقولون بعدم ضرورة الأمير عيّنوا عليهم أميراً فردوا على أنفسهم، ومرت الأيام والقرون وأصبح القول بأن الإسلام عني بمشكلات الحكم قولاً لا جدال فيه[٥].

ومن هنا تسقط دعاوى أولئك الذين يغمضون أبصارهم وبصائرهم عن

---

(١) د. أحمد شلبي، السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، ص٣١-٣٢.

(٢) د. محمد بخيت المطيعي، حقيقة الإسلام وأصول الحكم، المطبعة السلفية، (مصر ١٣٤٢هـ)، ص٩-١٠.

(٣) أحمد بن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ط٢، (القاهرة، ١٣٨٥هـ) ص٧.

(٤) أحمد شلبي، السياسة والاقتصاد، ص٣٣.

(٥) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ٢/ ١١٣، وابن تيمية: السياسة الشرعية، ص١٦١

هذه الحقيقة الدينية ثم يزعمون أن الإسلام دين قوامه ما بين الإنسان وربه وليس له من مقومات الدولة والنظام الدستوري شيء، كان يقصد منها محترفو الغزو الفكري وأذناب الاستعمار أن يقيد الإسلام كيلا ينطلق فيعمل عمله في المجتمعات.

ويدل على وجود الحكم ونظامه في الإسلام وجود مقومات الدولة القانونية في نظام الحكم، ومقومات الدولة القانونية هي:-

١-الدستور.

٢-تدرج القواعد القانونية.

٣-خضوع الإدارة للقانون.

٤-الاعتراف بالحقوق والحريات الفردية.

أما وجود الدستور كأساس للدولة القانونية فلأن الدستور يقيم نظاما في الدولة، ويؤسس الوجود القانوني للهيئات الحاكمة، وعلى هذا تكون السلطة التي مصدرها القانون مقيدة بالدستور والقانون[١].

وأما تدرج القواعد القانونية فإنه الركن الآخر في بناء الدولة القانونية، ذلك أنه لا يمكن تصور النظام القانوني للدولة القانونية بدون هذا التدرج الذي يظهر في سمو بعض القواعد القانونية على بعض[٢].

وأما خضوع الإدارة للقانون فهو ركن لا قيام للدولة القانونية إلا به وبمقتضاه[٣].

وأما الاعتراف بالحقوق والحريات الفردية كأحد مقومات الدولة القانونية فإنه الهدف الأساس في قيام الدولة القانونية[٤] حيث إن الإنسان مدني بالطبع لا يستطيع أن يعيش بمفرده مستقلاً عن أخيه الإنسان الآخر بل

---

(١) د. منير حميد البياتي، الدولة القانونية، دار العروبة، (بغداد، ١٣٩٩، ١٩٧٩)، ص٤١.

(٢) ينظر: محمود عبد الحميد، قواعد الحكم في الإسلام، دار الميمون العلمية، ١٤٠٠هـ، ص٢٤٨.

(٣) حمد كامل ليله، الرقابة على أعمال الإدارة، ص١٦.

(٤) د. الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، بيت الحكمة، العراق، ١٩٨٨، ص٢٤.

لابد أن يعيش مع الناس حتى تستقيم أمور حياته.

وإن دعوة فصل الدين عن السياسة دعوة خبيثة تأبطها أعداء الإسلام في عصور متقدمة ولاحقة بهدف هدم الدين والإسلام من داخله، مثل البهائية والقاديانية التي هي ربيبة الإنكليز والماسونية[١].

إن الإسلام كما عالج قضية الإنسان بربه عالج ونظم تنظيماً دقيقاً علاقة الإنسان مع الآخرين في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. من أجل ذلك كان سلطان النبي ﷺ بمقتضى رسالته سلطاناً عاماً وأمره في المسلمين مطاعاً وحكمه شاملاً، فلا شيء مما تمتد إليه يد الحكم إلا وقد شمله سلطان النبي ﷺ ولا نوع من الرئاسة والسلطان إلا وهو داخل تحت ولاية النبي ﷺ على المؤمنين. تلك الزعامة كانت لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي ليست لشخصه ولا لنسبه ولكن لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

أما القول بفصل الدين عن الدولة فمعناه إدعاء عدم لزوم الدين للحكومة بزعم أن في دين الأمة كفاية واستغناء عن ديانة الحكومة، ومعنى عدم لزومه للحكومة أن لا يكون له -أي للدين- سلطة عليها ورقابة على أعمالها كما كانت للحكومة سلطة على الأمة، ورقابة على أعمالها[٣].

وكان القول بفصل الدين عن الدولة مساوياً بل أشد ضرراً من القول بفصل الدين عن الأمة. لأن الحكومة تستطيع التأثير على الأمة ولا تستطيع الأمة التأثير في الحكومة ما دامت خاضعة لحكمها، لأنه كما قيل: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[٤].

---

(١) ينظر: الندوي، القاديانية ثورة على النبوة والإسلام، ص٦٥.

(٢) ينظر: إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة(المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)ص١٧٠.

(٣) مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، (المكتبة الإسلامية، ١٣٦٩-١٩٥٠)، ٢/ ٢٩١.

(٤) هذا من كلام سيدنا عمر رضي الله عنه، ينظر: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٤/ ١٠٧.

وكما قال النبي ﷺ: (الناس على دين ملوكهم)[1] فإن الحكومة تأثيرها على رعيتها ظاهرة واضحة بلا ريب ولا شك. فليس معنى تجويز فصل الدين عن الدولة أو السياسة إلا تجويز تجرد الحكومة عن الدين، وهل يجوز في حق الحكومة هذا التجرد الذي لا يجوز في حق الأمة؟![2].

إن الخلافة والحكومة ضرورة اقتضتها الحالة الإسلامية، للم شمل المسلمين وتنظيم حياتهم في حفظ الدين وسياسة الدنيا.

تلك هي القواعد الرائعة التي صنعت للدفاع عن الأمة الإسلامية التي كانت تعاني مرارة الظلم والطغيان والاضطهاد من قبل الفرس والروم، والدولة التي أقامها النبي ﷺ قاومت ذلك بكل قوة على نحو ما ينبغي لكل دولة[3].

---

(١) اختلف المحدثون، هل أنه من كلام الرسول ﷺ أم من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويقول السخاوي: لا أعرفه حديثاً، ينظر: ملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص٢٥٠.

(٢) ينظر: مصطفى صبري، موقف العقل، ٤/ ٢٩١.

(٣) ينظر: د. حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، (القاهرة، ١٩٧٣)، ص٢٠.

الفصل الثاني

التعريف بالمستشار العشماوي وبيان توجهه الفكري

المبحث الأول

التعريف بالعشماوي

المستشار محمد سعيد العشماوي، كما يذكر على ظهر كتبه من الجهة الثانية، أنه رئيس محكمة الجنايات، ورئيس محكمة أمن الدولة العليا بمصر، عمل وكيلا للنائب العام، وقاضيا ورئيسا للنيابة العامة ووكيلا للإدارة العامة للتشريع، ومستشارا بمحكمة استئناف القاهرة، وأستاذا محاضرا في أصول الدين والشريعة الإسلامية والقانون المقارن[١].

المستشار محمد سعيد العشماوي، صاحب مشروع فكري أثار ويثير جدلا كثيرا وحادا في الأوساط الفكرية الإسلامية واللا إسلامية -منذ ما يقرب من عشرين عاما[٢].

لقد بدأ المستشار العشماوي الاهتمام بالفكر والكتابة منذ أواخر الخمسينات[٣]، لكنه كان مهتما بالفكر الوجودي، الذي ظل قلمه في نطاقه في سنوات النصف الثاني من عقد السبعينات... وهي السنوات التي تعاظمت فيها الصحوة الإسلامية فانعطف العشماوي يتخصص في الكتابة بالإسلاميات،

---

(١) ينظر: الغلاف لكتب العشماوي، أصول الشريعة، روح العدالة، معالم الإسلام، جوهر الإسلام، الإسلام السياسي.

(٢) ينظر: محمد عمارة، سقوط الفكر العلماني، (دار الشرق القاهرة. ١٩٩٥)، ص٥.

(٣) صدر كتابه الأول [رسالة الوجود] سنة ١٩٥٩م.

متخذا موقع الرافض بحدة والمعادي بقوة لهذه الظاهرة التي أثارت وتثير أعظم تحرك فكري وسياسي في تأريخنا المعاصر حتى الآن[١].

المستشار العشماوي يسجل بنفسه هذا التحول في سيرته الفكرية الذي جعله يوقف قلمه على مواجهة الصحوة الإسلامية المعاصرة وذلك عندما يقول: [منذ باكورة الشباب اهتممت بالفكر الإسلامي ضمن اهتمامي بالفكر الإنساني والفكر العالمي. ثم زاد اهتمامي به حين بدأت حركات الإسلام السياسي تتزايد][٢].

ويعترف المستشار عشماوي بأن الاتجاه إلى تقنين الشريعة الإسلامية وتراث الفقه الإسلامي -على النحو الذي حدث بمصر- قبل أن توقفه تداعيات ومقتضيات معاهدة «كامب ديفيد»[٣] المعاهدة الإسرائيلية المصرية.

ويعترف المستشار عشماوي بأن الاتجاه إلى تقنين الشريعة الإسلامية والسعي لإحلالها محل القوانين الوضعية المعمول بها، كان من أسباب استنفار قلمه وتحول جهوده الفكرية لمقاومة هذا الاتجاه وفي السبعينات كانت دعوى[٤]تطبيق الشريعة أوشكت أن تقنع الناس، وأكثر الناس لا يعلمون بضرورة تقنين الشريعة وإلغاء كافة القوانين القائمة[٥]، وتغير النظام القضائي كله ونشطت لجان لهذا الغرض وصدر في هذا الأثناء كتابه (أصول الشريعة)[٦].

ومما يستلفت النظر أن تحول العشماوي عن الفكر الوجودي إلى التخصص في أمرين.

---

(١) معالم الإسلام، (طبعة، القاهرة سنة ١٩٧٩م)، ص٧.

(٢) محمد عمارة، سقوط الفكر العلماني، ص٦.

(٣) المعاهدة التي أقامها الرئيس المصري السابق أنور السادات مع إسرائيل في مكان في أمريكا اسمه كامب ديفيد (سنة ١٩٧٨م).

(٤) يلاحظ استخدامه لفظ دعوى بمعنى الادعاء، وليس (دعوة).

(٥) الإسلام السياسي، ص٢١١-٢١٣.

(٦) ينظر: محمد عمارة، سقوط الفكر العلماني، ص٦.

١- مقاومة المد الإسلامي.

٢- مقاومة التوجه إلى تقنين الشريعة الإسلامية وتطبيقها، وقد تزامن هذا مع تصاعد مد غربي شمل الدوائر الكنسية والسياسية والفكرية لمواجهة الخطر نفسه الذي نهض العشماوي لمواجهته وهو تقنين الشريعة الإسلامية بالنسبة إلى فكره[١].

في الوقت نفسه الذي تقدم العشماوي فيه لمواجهة «حركات الإسلام السياسية» التي أخذت تتزايد. كان رئيس مؤتمر التنصير في [كولورادو[٢] يخطب في افتتاح المؤتمر فيقول: [إن العالم الإسلامي يشغل اليوم حيزا مهما في الأخبار أكثر من أي وقت مضى.. وأعمال الشغب التي يقوم بها المسلمون المحافظون في مصر وإيران والباكستان.. إن هناك اندفاعا إسلاميا للعودة إلى الجذور يتحرك باتجاه المواقع الأساسية الأمامية في أرجاء العالم الإسلامي من كازابلانكا[٣] وحتى مضيق خيبر[٤]..]

إنها الأسباب نفسها، الصحوة الإسلامية، تزايد تفوق الحركات الإسلامية السياسية، التوجه إلى تقنين مبادئ الشريعة الإسلامية وتراث الفكر الإسلامي، محاولات تطبيق الشريعة، العودة إلى الجذور والتحرك الإسلامي باتجاه المواقع الأمامية في أرجاء العالم الإسلامي إنها نفس الأسباب، ونفس التوقيت[٥]، التي دعت حركات التنصير في العالم والمستشار العشماوي، إلى الاستنفار وكذلك اليهودية حيث خطب رئيس الدولة العبرية في البرلمان

---

(١) محمد عمارة، سقوط الفكر العلماني، ص٧.

(٢) (كولورادوا) المدينة، مؤتمر كولورادوا، أعمال التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، عام ١٩٩١م.

(٣) مدينة الدار البيضاء، بالمغرب على ساحل المحيط الأطلسي. ينظر: د. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام.

(٤) بين باكستان وأفغانستان على طريق كابل إلى بيشاور. ينظر: د. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام.

(٥) ينظر: التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي وثائق مؤتمر كولورادو، مركز دراسات العالم الإسلامي ١٩٩١م. ص٢١.

البولندي إذ قال: [إن العالم يجهل الخطر الأكبر الذي يهدده وهو الأصولية الإسلامية، إن التطرف الأصولي أكثر خطورة من سلاح التدمير الشامل. إنه الصيغة التي تقود مباشرة إلى الكارثة][١].

تلك هي قوى ومعالم وإمتدادات الجبهة التي تداعت وتنادت مؤسساتها الدينية والفكرية والسياسية لمحاولة إجهاض الصحوة الإسلامية والقضاء على الإحياء الإسلامي منذ عقد السبعينات من هذا القرن العشرين[٢].

أما تقدير الصهيونية لموقع المستشار العشماوي من اليهودية ودفاعه عنها فلقد عبر عنه واحد من أبرز دعاتها (كوادرها) ودهاة خبرائها.. السفير الصهيوني بالقاهرة، بين عامي ١٩٨١، ١٩٨٨م، (موشيه ساسون) عندما جاءه أحد أصدقائه بشاب مصري من شباب إحدى الجماعات الإسلامية.. فكانت نصيحة (ساسون) لهذا الشاب كي يبرأ من أفكاره ويشفى من عدائه للصهيونية وإسرائيل- أن يقرأ للمستشار العشماوي الذي وصفه (ساسون) بأنه رجل ضليع في شؤون الإسلام[٣].

وقد جاء نص عبارة (موشيه ساسون) في مذكراته -بقوله: [وخلال هذا الحديث مع الشاب المتدين وجدت نفسي أوصيه بقراءة الكثير مما تم نشره. مثل مقال عشماوي، رئيس محكمة أمن الدولة المصرية، وهو رجل ضليع في الإسلام، من روح الاعتدال والتسامح والجيرة الطيبة مع إسرائيل ونبذ الإرهاب والدمار والحرب...][٤]، ويبدو والله أعلم أن الشاب المتدين قد عمل بنصيحة (موشيه ساسون) فقرأ للعشماوي حتى برئ من العداء لإسرائيل، فلما لقي السفير الإسرائيلي مرة ثانية قال له: [تحياتي الشخصية. أبلغك بأني

---

(١) تأريخ الخطاب، ٢٩/ ٥/ ١٩٩٢م. مصدره وكالة الأنباء الفرنسية.

(٢) العشماوي، الشريعة الإسلامية والقانون المصري، القاهرة ١٩٨٨م، ص١٠٧. ومعالم الإسلام، ص٢٨٥.

(٣) موشي ساسون، سبع سنوات في بلاد المصريين، الترجمة العربية، دار الكتاب العربي، (دمشق، القاهرة، ١٩٩٤م) ص٨٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٥.

نجحت في إقناع زملائي بحق إسرائيل في الوجود المستقل.. فلا تخش من زملائي في الحركة فهم لا يضمرون لك شراً ولمن هم في السفارة. استمر في عملك الهام هنا، والله في عونك وعوننا جميعاً][١].

المستشار العشماوي قضى مدة غير قليلة أستاذا محاضرا في جامعات غربية إما تنصيرية وإما علمانية، مثل الجامعة الأمريكية في مصر، جامعة كلفورنيا (بركلي)، وكلية رود أيلاند، وجامعة هارفرد، وجامعة برنستون، وجامعة براون، وجامعة بوتا، وجامعة تمبل، وكلها بالولايات المتحدة الأمريكية،... وجامعة لوند بالسويد.. ومعهد الشؤون الدولية، وجامعة الساربون بفرنسا، وجامعة توبنجن بألمانيا،

أما الجامعات الإسلامية فلم تفكر جامعة واحدة في فتح بابها للأستاذ المحاضر في أصول الدين والشريعة الإسلامية[٢].

إذا كانت الدوائر الغربية قد جعلت العشماوي (أستاذاً في أصول الدين وللشريعة الإسلامية).. كما جعله السفير الصهيوني موشيه ساسون [ضليعاً في شؤون الإسلام] فإن الرجل قد جعل من نفسه المجتهد الذي يسير على طريق الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٢هـ-١٩٠٥م)[٣].

وذلك عندما تحدث عن واقع الحياة الفكرية في بلادنا فقال: [أعتقد أنه يوجد الآن تياران إسلاميان، وليس واحداً، التيار الأول عقلي تنويري، يبدأ بمحمد عبده ويسير فيه بعض المجتهدين من أمثالي... وتيار سياسي فكري][٤].

لم يكتف بوصف نفسه [بالمجتهد، العقلاني، المتنور]، وإنما جمع من قواميس اللغة من ألفاظ السباب ليصف بها مخالفيه فهم أهل [التلفيق المذهبي] [المزيفون للألفاظ] [المبتدعون للمناهج] والمغيرون والمخالفون تماماً وكلية وبإطلاق لمعالم الإسلام][٥].

---

(١) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٠.

(٢) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٠.

(٣) العشماوي، معالم الإسلام، ص٢٨٣.

(٤) معالم الإسلام، ص٧-١٠.

(٥) الإسلام السياسي، ص٧.

بل إن هذه الأوصاف قد رمى بها العشماوي الأمة جمعاء.

ولم يبخل في أن يصف المخالفين له [بالقصور] [التدني] [الانحطاط] [الجهل] [العمى] [الانتهازية] [الجشع] [الفجار] [الأشرار](١)، ونجدها من الألفاظ النابية التي امتلأت به صفحات كتبه من أمثال هذه الأوصاف التي صبها على مخالفيه!(٢).

المستشار العشماوي صاحب مشروع فكري، يعلن هو عنه عندما يرى أن الإسلام الذي تلقته الأمة، وتوارثته بالتواتر ليس هو الإسلام الحقيقي، فلقد تغيرت معالم الإسلام الأساسية وملامحه المحدودة، وسماته الذاتية وصفاته الخاصة. وحلت بدلاً منها معالم أخرى مخالفة تماماً ومناقضة كلية ومعاندة على الإطلاق(٣).. استبدلت بالمعالم الأساسية للإسلام معالم أخرى خاطئة وفاسدة ودخيلة(٤).

لقد حدث هذا التزييف والتغيير والتحريف المتعمد من الجميع حكاماً ومحكومين فلا الإسلام الذي نعرفه هو حقيقة الإسلام، ولا المسلمون هؤلاء بمسلمين.. والعشماوي هو [المجتهد] المنقذ مما نحن فيه!!!

ومن الواجب النظر في المشروع الفكري الذي قدمه العشماوي في أكثر من عشرة كتب، تولت إعادة طبعها دار نشر ماركسية!(٥) وتهتم بها كل الدوائر المناوئة للصحوة الإسلامية ولذا سنتعرض إلى نقد فكر العشماوي في كتابه الخلافة الإسلامية، نقدا موضوعيا بعد قراءة متأنية لمواضيعه التي طرقها في هذا الكتاب، فقد ركز في هذا الكتاب وفي كتبه الأخرى على قضايا مثيرة للجدل، وعلى النقاط التي يكتنفها الغموض في التأريخ الإسلامي، متجاهلاً النقاط المضيئة والمشعة والمنيرة التي امتلأ بها التأريخ العربي الإسلامي والتي

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص٧-١٩.

(٢) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١١.

(٣) معالم الإسلام، ص٨.

(٤) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٢.

(٥) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص. ١٢.

تخدم مسيرة الأمة العربية والإسلامية وتنير طريقها وتدفع بها إلى أمام، فمثله كمثل الذي بنى داراً فخمة وقصراً مشيداً وحين طلب منه أن يصفه بدأ بالأماكن التي يجمع فيها القمامة والأوساخ وترك الأماكن البارزة والفخمة من هذه الدار فأكثر الذين يتحدثون عن تأريخنا وينظرون إليه من وراء منظار أسود إنما استقوا أفكارهم من خارج حدودنا من أساتذتهم المستشرقين الذين ينظرون إلى تأريخنا وتراثنا كله من زاوية غربية تزدري كل ما هو شرقي وتكره كل ما هو عربي وتبغض كل ما هو إسلامي[١].

المبحث الثاني

الخلافة الإسلامية في نظر العشماوي

الحكومة المدنية والحكومة الدينية

يقول المستشار عشماوي في كتابه الخلافة الإسلامية: [الحكومة المدنية والنظام المدني أو النظام المدني هو النظام الذي تقيمه الجماعة، مستندا إلى قيمها مرتكزا على إرادتها مستمرا برغبتها...][٢].

أما الحكم الديني فإنه ليس الحكم الذي يستند على قيم الدين أو أحكام الشريعة، أو الحكم الذي يطبق هذه أو تلك، [إنما يكون الحكم نظاما دينيا حين يضفي على الحاكم صفات دينية أو يسبغ على الرئيس معاني شرعية بحيث يصبح في الحقيقة والواقع هو الدين وهو الشريعة، والخلافة الإسلامية نظام مدني؛ وذلك أنه لا القرآن ولا السنة النبوية قد أمرا بها أو نظماها][٣].

الإسلام كل لا يتجزأ، أنزله الله عز وجل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وربط بين الأحكام العملية والعقيدة مثل الإيمان بالله واليوم الآخر والعقاب الأخروي الذي يلحق المخالف ونحو ذلك، وذلك واضح في كتاب الله عزَّ وجل، منها قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا

---

(١) ينظر: القرضاوي، العلمانية، والإسلام، ص١٧٤.

(٢) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص١٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٩.

تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾[(١)]. وغيرها من الآيات.

فجميع الأحكام متصلة بالعقيدة وقائمة عليها وأحكامها أحكام عملية، فالأحكام الفقهية من أعمال الجوارح، والعقيدة من أعمال القلوب، وكل عمل لا يكون من نية خالصة -وهي من عمل القلب- فمردود[(٢)].

إن النظام الإسلامي ليس نظاما مدنيا يستند على الأعراف فقط! فهو نظام يستند في مرجعيته إلى الشريعة الإسلامية، ولا هو نظام كهنوتي يضفي على رئيس الدولة صفات إلهية مقدسة لا يجوز مخالفته ولا يجوز مراجعته في أمر[(٣)]. وإنما هو نظام مدني يستند إلى الشريعة الإسلامية ويهدف إلى تحقيق أهداف الإسلام وغاياته في الخلافة وهي حراسة الدين وسياسة الدنيا بما يتفق مع الدين ولا يخالفه، فهو دين عالمي عقيدة وشريعة، يتمشى مع النظرة الإنسانية للناس كافة، وهو رسالة عالمية ارتفعت على الزمان والمكان لتكون كفئا لحاجات الإنسان زمانا ومكانا، وهذه الرسالة فيها ما يسوس أمور الناس جميعا، ويبني حياتهم على أسلم الأسس، ويهديهم إلى خير السبل[(٤)].

والأهداف الرئيسة التي يسعى نظام الحكم في الإسلام إلى تحقيقها[(٥)]، هي:

أ - تحقيق وحدة الأمة الإسلامية وجمع كلمتها على الحق والعدل، وتنمية التعاون بين أبنائها على البر والتقوى ونبذ الإثم والعدوان؛ امتثالا لأمره تعالى[(٦)]﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[(٧)].

---

(١) سورة النور- آية: ٢.

(٢) الدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى، ص١٨.

(٣) د. هاشم الملاح وآخرون، في فلسفة التأريخ، ص١٤٨، د. رشدي عليان، الإسلام والخلافة، ص٣٤.

(٤) د. محمد كامل ليلة، فلسفة الإسلام السياسية ونظام الحكم، ص٤١.

(٥) المرجع نفسه، ص٤١.

(٦) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٥٤.

(٧) سورة آل عمران- آية: ١٠٤.

ب - بيان الدين للناس ورفع الشبهات عنه، والسهر على حمايته وحفظه، وأخذ الناس بأحكامه دون تعسف ولا إرهاق.

جـ - كفالة الحرية للناس دون تفرقة، والعمل على تحقيق المساواة بينهم في الحقوق والواجبات العامة، وكذلك صيانة البلاد من الفتن التي قد تحدث فيه، والدفاع عنه من محاولات الاعتداء من الخارج(١).

وهذه الوظائف التي يجب على الحاكم القيام بها تحقيقا لمصالح الأمة من إقامة العدل بين الناس وفرض الجهاد ومعناه كفالة الأمن في داخل الدولة والدفاع عنها خارجيا، ونشر علوم الدين والدنيا، هذه الأمور تجعل الدولة تستند إلى الشريعة الإسلامية بكل أهدافها وأسسها، لا كما يقول العشماوي.

ولا هو نظام يقوم على الحق والتفويض الإلهي؛ بدليل أن الخطاب الذي ألقاه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: [أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم](٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إحدى خطبه: [فأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق فليؤذنّي فإنما أنا رجل منكم](٣).

وإن في حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أثناء خلافته وفي سيرته ما يجعلك تستطيع أن ترد على المستشار عشماوي الذي يريد أن يصف دولة الخلافة بأنها دولة إلهية(٤).

---

(١) د. محمد كامل ليلة، الإسلام وفلسفة الحكم، ص٤٢، وإسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٥٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، وصحح إسناده ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/ ٢٨٠، ينظر: أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص٥٣. وينظر: الطبري، تأريخ الرسل والملوك، بهذا المعنى، ٣/ ٢٢٤.

(٣) ينظر: الطبري، تأريخ الرسل والملوك، ٤/ ٢١٤.

(٤) ينظر بعض سيرة الخليفة عمر بن الخطاب: ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٣٣٠، ابن الطقطقا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م) ص٢٩، وابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ١٦٤، وينظر: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر، (دار الفكر، دمشق، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م) ص٤٢٢-٤٢٣.

الخلافة الإسلامية نظام مدني محقق لمقاصد إلٰهية، ومتميز عن النظم الدينية والكهنوتية، وعن النظم المدنية اللادينية التي لا تعبر عن المقاصد والغايات الإلٰهية والسلطة في العمران البشري.

ولفهم فلسفة نظام الحكم في الخلافة الإسلامية لا بد من رؤية في إطار نظرية الاستخلاف الإلهية للإنسان في استعمار الأرض وعمرانها، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١]. فالله سبحانه وتعالى قد استخلف الإنسان، وتمثله في المجتمع الأمة، والرسول وهو يتحدث عن قيادة الأمة والمجتمع أشار إلى التطور الذي اقتضاه ختم الرسالات والنبوات برسالته ونبوته وختم الشرائع بشريعته موضحا طبيعة القيادة للأمة والاجتماع البشري فقال رسول الله ﷺ: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي إنه سيكون خلفاء)[٢].

وفي الآية القرآنية -الخاصة باستخلاف الله الإنسان والأمة.

وفي الحديث النبوي -المحدد لقيادة الأمة بخلفاء لها تكمن النظرية الإسلامية التي لابد لنظام الخلافة كي يكون إسلاميا من تحقيقها فدولة الخلافة الإسلامية هي الجمع بين الشريعة الإلٰهية المعبرة عن حاكمية الإنسان (الأمة) وهي سلطة الخليفة لله، المحكومة سلطاته ببنود مقاصد عهد وعقد الاستخلاف (الشريعة)[٣]، وبين سلطان الخلافة (الدولة) التي تختارها الأمة، لتفوض ما تفوض من تدبير وقيادة شؤون العمران[٤].

فالخلافة الإسلامية هي (النظام المدني) الذي تلتزم دولته بسيادة الشريعة، التي لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك القانون والشرع الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند ربه، والحكومة التي بيدها زمام هذه المملكة لا تستحق طاعة الناس إلا من حيث إنها تحكم بما أنزل الله وننفذ أمره تعالى في خلقه[٥].

---

(١) سورة البقرة- آية: ٣٠.
(٢) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، ١/ ٣، ومسلم، ٣/ ١٢٧١ رقم(١٨٤٢).
(٣) ينظر: محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٧٨.
(٤) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٨٣.
(٥) أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام السياسية، دار العروبة لدعوة الإسلامية، باكستان، =

لذا فإنها متميزة عن دولة الكهانة التي غابت فيها سلطة الأمة، وعن الدولة العلمانية التي تحررت من الشريعة وانفلتت من حدود الله، وشرعه[(١)].

والدليل على ذلك:

١-القتال بين علي بن أبي طالب ومعاوية من جانب.. وبينه وبين الخوارج من جانب آخر، باستثناء الخوارج لم يكفر طرف الطرف الآخر، ويقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾[(٢)].

لم يسلب أحد الطرفين المتقاتلين صفة الإيمان بل أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي دعا أصحابه إلى الصلاة خلف الخوارج قائلا: «ليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه»[(٣)].

بل قال عن معاوية وأهل الشام الذين هم في نظره قد طلبوا الباطل فأدركوه «لقد التقينا وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة»[(٤)]، وتعددت حركات المعارضة التي أزالت الدولة الأموية، دون تكفير أحد من الثوار للحكام أو العكس ومثل ما حدث على امتداد الحكم العباسي في العهود اللاحقة لم تشهد حالة تكفير واحدة.

لقد رتب العشماوي على هذا الوهم -وهو حكم الخلافة الإسلامية بنظرية الحق الإلهي المقدس للملوك، ويقول إن الخلافة الإسلامية قد جعلت الخلفاء (معصومين). وبعبارته: [فقد جعلت من الخليفة شخصا معصوما لا يحاسب، مقدسا لا يساءل وصار الخليفة معصوما في فعله وقوله.. وخلط العقل المسلم بين مقام النبوة ومنصب الخلافة..وأخذت السلطة السياسية في

= د.ت) ص٢٥.

(١) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٨٤. وينظر: إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٧٦

(٢) سورة الحجرات، آية، ٩-١٠.

(٣) نهج البلاغة، (دار الشعوب، القاهرة، د.ت) ص٤٧.

(٤) الباقلاني، التمهيد، تحقيق محمود محمد الخضيري، محمد عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة، ١٩٤٧م) ص٢٣٧.

الإسلام وضع العصمة الفعلية.. وأصبح ذلك واقع عام لدى جميع الخلفاء.. كانت المعارضة ممنوعة وغير مسموح بها إذا عارض أحد عد كافرا أو ملحدا أو مرتدا..][1].

إن وقائع التأريخ تؤذن بتكذيب العشماوي، تكذيبا صريحا، حيث اعتُرض على سيدنا عمر ﷺ وهو على المنبر ولم يؤاخذ المعترض[2].

٢- الخلاف بين عثمان بن عفان وبين أصحاب الفتنة.. دون أن يقع التكفير من طرف لآخر[3].

ذلك واقع التأريخ السياسي الذي ينفي زعم العشماوي قداسة الحكام وعصمة الخلفاء وتكفير المعارضين، أما واقع التأريخ الفكري فإن شهادته وشواهده أكثر من أن تحصى[4]. فالإمام الغزالي (ت، ٥٠٥هـ - ١١١١م) وهو القائل: [إن أصول الإيمان ثلاثة، الإيمان بالله وبرسوله، وباليوم الآخر، وما عداه فروع، وأنه لا تكفير في الفروع أصلا إلا في مسألة واحدة وهي أن ينكر أصلا وشيئا علم من الدين بالضرورة، واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيء منه تكفيراً][5].

وعلى هذا النهج استقرت حياة الأمة الفكرية حتى قال الإمام محمد عبده (ت، ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م): [إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر...][6].

وإن الخليفة ليس كاهنا ولا مقدسا، وسلطته ليست جبرية ولا بابوية، والخلافة الإسلامية والحكومات الإسلامية[7] لم تكن في أي وقت أو أي زمن

---

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص١٣.
(٢) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٩٣.
(٣) ينظر: المودودي، نظرية الإسلام السياسية، ص٢٤.
(٤) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٩٣.
(٥) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، (القاهرة، ١٩٠٧م) ص١٥.
(٦) الأعمال الكاملة، تحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق القاهرة، ١٩٩٢م، ٢/٣٠٢.
(٧) ينظر: إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص١٥٨.

أو ظرف حكومة دينية.. والخليفة ليس خليفة الله ولكنه وكيل جماعة المسلمين، وأعماله تستمد قوتها من تنفيذ مصالح المسلمين. وهو يحاسب أمام المحكومين.. وليس له سلطة تحوير القانون والشريعة. وبقاء التعاقد بين الخليفة والجماعة رهن بوفائه لرعيته وبما تريده رعيته منه[(١)].

وهنا ننقل تناقضا للعشماوي في نفسه في كتابه، (الإسلام السياسي) وهذا شأنه في تناقضاته العجيبة الغربية يقول: [أن جمهور المسلمين من أهل السنة،.. لا يرون في الإمامة والولاية ركنا من الدين بل هو في تقديرهم تصرف من الناس في شؤون دنياهم، وفي رأيهم كذلك أن الحكومة في الإسلام ليست دينية تصدر عن أمر علوي من الله بتوضيح أو تعيين أو ترتيب، بل هي اختيار من الناس لصالح الناس وعند جمهور أهل السنة فإن السلطة السياسية ليست دينية على الإطلاق ولم تكن دينية أبدا بمعنى أنها لا تستند إلى حق إلهي، وأن الحكام بشر بلا عصمة أو قداسة][(٢)].

هذا هو رأي جمهور أهل السنة، حكومة إسلامية مدنية.. لم تكن دينية أبدا.. وحكام بلا عصمة أو قداسة -اعتراف العشماوي بأن هذا هو رأي وموقف جمهور أهل السنة ينقض مزاعمه بنفسه عن انقلاب الخلافة إلى الحكم بالحق الإلهي المقدس، أصبح الخلفاء فيه مقدسين ومعصومين.. وينفي الخيالات والافتراءات التي افتراها على الفقهاء الذين زعم أنهم قد استقوا من النظريات الغربية البيزنطية التبرير الفكري لهذا الانقلاب[(٣)].

فهو يريد أن تقطع صلة الحكومات أية حكومة كانت بالدين، على معنى أنها تنفصل موضوعها وغايتها عنه. فأي أمة أو ملة خلطت حكومتها بالدين وجعلتها خلافة من رسول الله فقد أخرجتها عما وضعت له وإن كان بعض الملوك تكلف فأراد تحلية حكومته بصيغة الدين توهما منهم في ذلك وإعلاء

(١) سقوط الغلو العلماني، ص٩٦.

(٢) ينظر: العشماوي، الإسلام السياسي، ص١١٩-١٢٤.

(٣) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٩٧، وينظر: المودودي، نظرية الإسلام السياسية، ص٢٨.

قدر مقامهم في عيون الناس[(١)].

المبحث الثالث

المنهج الغريب لنظر العشماوي في رؤيته للتاريخ

يقول المستشار عشماوي:

[فالخلافة لم تخدم الإسلام حقيقة بل أنها أضرت به حين ربطت العقيدة بالسياسة ومزجت الشريعة بنظام الحكم][(٢)].

[.. ويقول الخلافة لم ترفع قيم الإسلام عالية..][(٣)].

الخلافة الإسلامية كانت ترجمة حقيقة للفكرة الإسلامية عن الحكم، ولا نزاع أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ﷺ كانت تطبيقا دقيقا للفكر الإسلامي، بل أن هؤلاء كثيرا أعطوا أكثر مما يلزمهم إعطاؤه وأخذوا أقل مما يستحقون، وبجانب هؤلاء وجدنا خلفاء تفاوتت صلتهم بالفكر الإسلامي[(٤)].

ولولا الخلافة الإسلامية لم يقم للإسلام نظام ولضاع الدين وانتهى الحكم بالإسلام. ولما قام للإسلام نظام[(٥)].

ويظهر ذلك واضحا جليا في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ حتى ارتد الأعراب وظهر من يدعي النبوة الكاذبة، لكن تصميم الخليفة على محاربة هؤلاء ردهم على أعقابهم. ولولا الخلافة لما وصل الإسلام إلى ما وصل إليه إلى حدود الصين شرقا وإلى حدود فرنسا غربا ولولا الخلافة الإسلامية لما

---

(١) ينظر: مصطفى صبري، موقف العمل والعلم والعالم، ٤/ ٢٦١، وينظر: المودودي، نظرية الإسلام السياسية، ص٤٠، ومحمد ضياء الدين الريس، الإسلام والخلافة في العصر الحديث، ص١٨١.

(٢) العشماوي، الخلافة الإسلامية، ص١٠٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٢.

(٤) ينظر: د. أحمد شلبي، السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي ص٣٧.

(٥) ينظر: المودودي، نظرية الإسلام السياسي، ص٤٢، وينظر: إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. ص١٧٤.

تحطمت دولة الفرس والروم في ذلك الوقت[١].

إن العشماوي طعن في الإسلام والقرآن والرسول ﷺ والصحابة والخلافة والأمة مالم يسبقه إليه أحد من غلاة الطاعنين[٢].

لكن العشماوي لأنه حاقد على الإسلام والمسلمين وعلى تراث الأمة جعله ذلك لا ينظر ولا يبصر إلا المساوئ وكما قال الإمام الشافعي. رحمه الله (ت، ٢٠٤هـ-٨١٩م)

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا[٣]

كراهة من العشماوي للخلافة أو عداء منه للإسلام يرجع انتشار الإسلام إلى فتوحات الخلافة والسلطة والقوة، ليشوه صورة الإسلام (السياسي..العسكري) وقد شوه صورة الإسلام وأساء إليه. حين يقول: [الخلافة لم تنشر الإسلام الحق، ولم تخدم المسلمين. وذلك إنها نشرت للإسلام صيغة سياسية عسكرية أساءت إليه وشوهته. ولو لم يتم غزو البلاد التي أسلم أهلها فيما بعد وتم نشر الإسلام والدعوة إلى الشريعة من خلال الأفراد والجماعات -لا عن طريق السلطة- كما حدث في نشر الإسلام في وسط وغرب أفريقيا وفي جنوب شرقي آسيا لكان ذلك أفضل للإسلام وأنقى لقيمه][٤].

والعشماوي يضلل قارئه عندما يزعم أن (السلطة) هي التي نشرت الإسلام.. بينما حقائق التأريخ تقول: إن السلطة قد قادت الفتح الذي أنجزته في أقل من قرن.. بينما تم نشد الإسلام بواسطة الأمة في عدة قرون.. لو أن الرجل قرأ مرجعا واحدا من كتب التأريخ لرأى كيف انتشر الإسلام دون سلطة.. ثم هذا يكشف تهافت (منطق) العشماوي هل صيغة الإسلام وقيمه، في البلاد التي لم تدخلها جيوش الفتح -مثل وسط وغرب أفريقيا.. وجنوب

(١) أحمد شلبي، السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، ص٥٦.
(٢) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٢٠.
(٣) ينظر: ديوان الشافعي، ص٩١.
(٤) الخلافة الإسلامية، ص٢٢.

شرق آسيا- أفضل من (صيغته وقيمه) بالبلاد التي دخلتها الجيوش الفاتحة؟!.. وبمعنى أكثر تحديدا هل الإسلام في ساحل العاج[١] وفي السنغال[٢] وفي مالي[٣] وفي بروناي[٤]خير منه في مصر والشام والعراق؟![٥].

لكن الشذوذ أن لا يرى كاتب التأريخ مثل العشماوي إلا العورات والخطايا والهزائم والكبوات والتقليد والجمود والقمامة والسوءات والانحطاط دون غيرها من الإيجابيات والحسنات ومظاهر الصحة والتقدم والازدهار والصفحات المشرقة في حياة الأمم والشعوب والحضارات.

إن الخلافة الإسلامية قد فتحت في ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون مع الفارق الجوهري بين فتح التحرير للإنسان والإحياء للمواريث الحضارية.. وفتح القهر والاستعباد[٦].

وفي دار الإسلام التي امتدت من (غانة)[٧] غرباً إلى (فرغانة)[٨] شرقاً ومن حوض نهر الفولجا في الشمال إلى جنوب خط الاستواء، ضمنت هذه الخلافة -مع تمايز الأوطان والأقاليم وتعدد الولايات- للأمة حرية الحركة والإقامة حيث يشاء الإنسان مع خضوعه لولاية الإقليم وتمتعه بكامل الحقوق، فلم تعرف ولايات دار الإسلام القومية المتعصبة ولا الجنسية التي تقصر

---

(١) ساحل العاج: من دول غرب أفريقيا يحدها من الشمال فولتا العليا ومالي، د. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٤٢٧.

(٢) السنغال: من دول غرب أفريقيا، ينظر: أطلس تاريخ الإسلام، ص٤٢٥.

(٣) مالي: من دول شمال أفريقية، ينظر: أطلس التاريخ الإسلامي، ص٤٢٥.

(٤) بروناي: من دول جنوب شرق آسيا، ينظر: أطلس تاريخ الإسلام، ص٤٢٩.

(٥) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٢٩.

(٦) د. أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الرائدة، ٢/٣٣٨.

(٧) غانة: من دول الغرب الأفريقي تحدها من الشمال فولتا العليا ومن الجنوب خليج غانا المحيط الأطلسي وخط الاستواء ومن الغرب ساحل العاج، ينظر: أطلس تأريخ العالم، د. حسن مؤنس، ص٤٢٥.

(٨) فرغانة: بلاد فرغانة المجاورة لبلاد السند شرق البلاد الإسلامية متاخمة لبلاد تركستان، ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ٤/٢٥٣. وحسين مؤنس، أطلس تأريخ الإسلام، ط١، الزهراء، (العراق ١٩٩٧م) ص٤٢٩.

الامتيازات مع نفر دون آخرين، فعاشت على أرض الإسلام وفي ظل تعدد السلطات أمة واحدة جسدت أطول أممية عرفها التأريخ[١] لكن العشماوي لا يرى هذه الصفحة المشرقة التي أجمع عليها المؤرخون لحضارتنا فهو يقطع في جرأة غريبة، [بأن الخلافة لم تحقق وحدة العالم الإسلامي منذ كانت، حيث توجد في وقت واحد خلافات ثلاث: الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في مصر، والخلافة الأموية في الأندلس، وفي فجر الإسلام أبان الخلافة الراشدة، وجدت خلافتان، إحداهما لعلي بن أبي طالب والثانية لمعاوية بن أبي سفيان. وفي أوائل عهد الخلافة الأموية وجدت إلى جانب هذه الخلافة خلافة أخرى كان مركزها مكة وكانت لعبد الله بن الزبير][٢].

وينسى العشماوي أو يتناسى، إن تعدد (الحكومات) لم يوجد التعددية في العالم الإسلامي، ولا تمزقاً في وحدة الأمة، فضلاً عن الحضارة والدين والمرجعية الشرعية لكل تلك الحكومات.

حرصت الدعوة الإسلامية التي ترعاها الخلافة الإسلامية على تجريد[٣] الإنسان من الأوهام والأساطير والخرافات والشعوذة التي يقوم بها مشعوذون يزعمون أنهم وسطاء بين الله والناس، وتحمل الدعوة الإسلامية ميزاناً دقيقاً للحقوق والواجبات حسب الشريعة فلا يجوز التفريط بها[٤].

وتنطلق الدعوة الإسلامية من مبدأ المساواة بين البشر دون اعتبار الثروة ولا الجاه ولا اللون أو العرق؛ وذلك لقول الرسول ﷺ: (الناس بنو آدم وآدم من تراب)[٥].

إن العشماوي يتوسل بكراهية الخلافة وفتوحاتها إلى مقصده الدفين وهو الطعن بالإسلام ذاته. وذلك عندما يقول إن هذه الخلافة قد [غيرت من معالم

---

(١) ينظر: محمد حسين هيكل، حياة محمد، (القاهرة، ١٩٦٨)، ص٥٢٠.
(٢) ينظر: الخلافة الإسلامية: ص٢٣.
(٣) أكرم ضياء العمري، الخلافة الراشدة، ص٣٣٧.
(٤) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص١٦٤.
(٥) رواه الترمذي، الجامع حديث رقم (٣٩٥٦) وقال: ((حديث حسن غريب))، ورواه أبو داود، السنن، ٤/ ٣٣١.

الدين وبددت روح الإسلام وجمدت الشريعة][1]، فالهدف للعشماوي هو الطعن في الإسلام، وهو طعن ينفي أن يكون إسلامنا -في كل البلاد التي دخلتها جيوش الفتح- هو الإسلام الذي أوحى الله إلى رسوله ﷺ [فلا معالمه هي المعالم ولا روحه هي الروح.. ولا شريعته هي الشريعة..] وتلك قمة التكفير[2].

فإن الدراسة المتأنية لكتب العشماوي تجعل دارسها يضع يده على أخبث منهج لتشويه دين الله والقضاء عليه.

وتأمل كلمات العشماوي التي يصدر بها الحكم بالكفر والجاهلية على الدولة وعلى الأمة التي شهدت المظالم التي عددها، إنه يقول: [هذه نماذج من المظالم التي لا يمكن أن تقع إلا في جاهلية وبربرية وهمجية ومن حكام لا يعرفون الله وفي شعوب تؤمن بالله على حرف، وتعتقد في الإسلام على خوف، فلا تقول قولة حق ولا تدفع أي ظلم عن أحد][3].

والعشماوي يطلب منا أن نبحث عن تأريخ الإسلام وأمته وخلافته وحضارته في (كتاب الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني، (٣٥٧هـ، ٩٧٦م)، إن هذا الكتاب لا يعكس إلا هامشاً من حياة المجتمع هو هامش الطرب واللهو والمجون[4] وهو هامش لا تخلو منه حضارة، ولا يبرأ منه تأريخ، لكنه ليس حياة الأمة، حتى تكون كتبه هي مصادر تأريخ الأمة، لكن العشماوي لا يرى تأريخنا إلا في كتاب الأغاني الذي يجده مليئاً بأشعار الغزل في الغلمان والمجون والهجاء والفسق والخمريات. وكيف كانت الحانات ودور الفسق والدعارة والفجور منتشرة في عواصم الدولة..][5].

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص٢٧.

(٢) الخلافة الإسلامية، ص. ٢٧.

(٣) الخلافة الإسلامية، ص١٣٨-١٣٩، وينظر: كتابه، معالم الإسلام، ص٩١.

(٤) القرضاوي، يوسف، الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١١هـ-١٩٩٠م، ص١٧٤.

(٥) الخلافة الإسلامية، ص١٣٨-١٣٩.

أبو الفرج يجمع الصادق وغير الصادق إنه لم يقم اختياره على أساس الصدق والصحة بل نستطيع أن نقول أنه كان يقيم أساس الاختيار على ما فيه من روايات، إنما هي من نسيج الخيال، أو من كل ما هو من الأكاذيب عن المؤرخين[١].

العشماوي لا يرى هذه الصفحة المشرقة التي أجمع عليها المؤرخون لحضارتنا، بل نراه يتهم تأريخنا بالنقيض ويتهم سادة الأمة بالفساد[٢].

يقول العشماوي: [الخلافة لا تعد رمزا للإسلام فالرمز يجب أن يكون من طبيعة المرموز إليه، وإن كان الإسلام في الأصل عدالة وحرية ومساواة ورحمة فإنه يتعين أن تتجسد في أي رمز عنه معاني العدالة والحرية والمساواة والرحمة فإذا كان ذلك وكانت الخلافة -فيما يبين من واقعات التأريخ وأحداثه- مثالاً، ومن يعدها رمزا له إنما يسيء إلى الإسلام ويلطخ سمعته ويشوه صورته. إذ يطابق بين العدالة والمظالم. والحرية والاستبداد والتفرقة والمساواة والرحمة والقسوة، وما أبعد هذه عن تلك][٣]. وارتفع لواء الإسلام عاليا وظل مرفوعا أكثر من ألف عام ممثلا في النظام الإسلامي وهو النظام الذي يرجع فيه الناس إلى شريعة الله وحدها[٤].

لا يعرف الإسلام الفوارق بين الحاكم والمحكوم، ويبني الصلة بينهما على أن يهاب المحكوم الحاكم ويجله وعلى أن يتواضع الحاكم للمحكوم ويسوي نفسه به.

ويمثل ذلك في حفر الرسول ﷺ الخندق مع أصحابه في غزوة الأحزاب[٥].

(١) ينظر: د. محمد أحمد خلف الله، أبو الفرج الأصفهاني الراوية، (مصر، ١٩٥٣م)، ص٢٢٢ وما بعدها.
(٢) ينظر: سقوط الغلو العلماني، ص١٢٩.
(٣) الخلافة الإسلامية، ص٢٣.
(٤) أحمد شلبي، السياسة والاقتصاد الإسلامي، ص٨٢.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٢٢٨.

وقد وضع عمر رضي الله عنه مقياس ذلك عندما سأله أصحابه عن شرطه في الوالي الذي يريده فقال: «إذا كان في القوم وليس أميرهم، كان كأنه أميرهم (لهيئته ووقاره) وإذا كان أميرهم كان كرجل منهم (لبساطته وتعاونه).»[١]. وقيل خطب عمر رضي الله عنه الناس فقال: والذي بعث محمدا ﷺ بالحق لو أن رجلا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه[٢].

وإن الأحنف بن قيس[٣] قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وفد العراق في يوم صائف شديد الحر فوجده يخدم إبل الصدقة فقال عمر رضي الله عنه يا أحنف دع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين فقال رجل من الحاضرين هلا تأمر أحد العبيد ليكفيك هذا، فأجاب عمر: «يا ابن أم هذا وأي عبد للمسلمين أعبد مني ومن الأحنف؟ إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة»[٤].

والحق أن زي الخلفاء الأربعة زي الأنبياء وهديهم هدي الأولياء، وفتوحهم فتوح الملوك الكبار، فأما زيهم فهو الخشونة في العيش والتقلل في المطعم والملبس، كان أحدهم يمشي في الأسواق راجلا وعليه القميص الخلق المرقوع.

ذلك مجمل القول في مكانة المسلم وخصائص الحكومة الإسلامية، إحساس بالمسؤولية، وأن يعمل الحاكم للشعب لا لنفسه، ثم عمل دائب للنهوض بالمسؤولية على أحسن وجه ممكن[٥].

---

(١) ينظر: أحمد شلبي، السياسة والاقتصاد، ص٨٠.

(٢) ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم حمد (ت، ٦٢٠هـ). الكامل في التاريخ، دار الفكر، (بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ٣/ ٣٠.

(٣) الأحنف بن قيس، اسمه الضحاك أدرك النبي ولم يره (ت ٦٧هـ) ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، تحقيق، محمد إبراهيم الأبياري وآخرين، دار الشعب القاهرة١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ١/ ٦٨٠.

(٤) ابن الطقطقا، الفخري، ص٨٢.

(٥) وابن الطقطقا،الفخري، ص٧٣، أحمد شلبي، السياسة الإسلامية والاقتصاد، ص٨٠.

وروي أن علياً أمير المؤمنين رضي الله عنه، استدعى بصوته بعض عبيده فلم يجبه، فدعاه مرارا فلم يجبه فدخل رجل وقال: «يا أمير المؤمنين إنه بالباب واقف»، فلما حضر العبد عنده قال: «أما سمعت صوتي؟»، قال: «بلى»، قال: «فما منعك عن إجابتي؟» قال: «أمنت عقوبتك»، قال علي رضي الله عنه: «الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه»(١).

ومن العدالة التي اتصفت بها الدولة الإسلامية والإنصاف لرعاياهم أن أهل سمرقند قالوا لعاملهم سليمان بن أبي السري: «أن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وأظهر الله العدل والإنصاف فإن كان لنا حق أعطيناه فأذن لنا بوفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا فإن كان لنا حق أعطيناها فإن بنا إلى ذلك حاجة» فأذن لهم فوجهوا منهم قوما إلى عمر بن عبد العزيز، فلما علم عمر ظلامتهم كتب إلى سليمان يقول له إن أهل سمرقند قد شكوا ظلما أصابهم وتحاملا من قتيبة حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي هذا فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم حتى يرجع إليهم بلادهم ويقاتلهم مرة أخرى، .. ثم قال أهل سمرقند: بل نرضى بما كان؛ حينما رأوا عدالة الإسلام(٢).

المبحث الرابع

المواقف العدائية العشماوية لتاريخ الإسلام

يقول العشماوي: [دعوى تزييف التأريخ هذه دعوى عريضة غير مسبوقة مرسلة دون ما تحديد تمتد -دون أن يدري من يعتنقها أو يطلقها- إلى مصدر التراث الإسلامي ذاته فتضفي عليه غلالات من الشك وظلال من الريبة، فدعوى تزييف التأريخ دعوى حديثة لم يقل بها أحد من العلماء القدماء الثقات المشهود لهم بكتابة التاريخ مثل الطبري والسيوطي وابن الأثير](٣).

---

(١) ابن طقطقا، الفخري، ص٢٦.

(٢) ينظر: هذه القصة: ابن الأثير، الكامل، ٤/ ١٦٣، وينظر: محمد الخضري بك، محاضرات في تأريخ الأمم الإسلامية، ١/ ١٨١.

(٣) الخلافة الإسلامية، ص٢٣.

إن العشماوي يدعي أن التاريخ لم يزيف ولم يحرف. فنقول له إن التأريخ ربما تطرق إليه التزييف والتحريف، ومن هنا يجب علينا الحذر في تلقي الأخبار التي دونها المؤرخون؛ فإن الأحداث الأولى لم تصل للمؤرخين مدونة وإنما وصلتهم من الرواة عن طريق المشافهة والنقل.

وكذلك أن معاول الهدم بدأت مع العصر الأول من الإسلام في معالم الدين الإسلامي ومن هذه المعاول هي:

١- الدس الإسرائيلي

منذ أن وجد الإسلام ولد معه خصومه وعاش يلاقي من كيدهم صنوفاً من الفتن وألوانا من الافتراءات، ومن هؤلاء اليهود الذين طردهم الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية لكثرة دسائسهم وفتنهم، فأخذوا يدخلون على الإسلام من كل ثغرة ليحدثوا في الإسلام ما ينقض تعاليمه ويقوض دعائمه ويلفقوا في سير الأعلام البارزين(١).

٢- الدخلاء على الإسلام من الديانات القديمة

في أوائل القرن الثاني من الهجرة ظهر أثر من دخل في الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس والدهرية، حيث أسلم كثير من هؤلاء ورؤوسهم مليئة بأديانهم القديمة، فسرعان ما أثاروا في الإسلام المسائل التي كانت تثار في دياناتهم، فهاجموا الإسلام وأثاروا من حوله الشكوك والشبهات(٢)، وحاولوا هدمه ضمن خطة مرسومة ومبرمجة.

٣- الصليبية العالمية

بعد أن تفشت الإسرائيليات في التأريخ الإسلامي في مواضع عدة جاء دور الصليبيين في الهجوم على أصحاب هذا الدين، بعدما فشلت حملاتهم العسكرية أخذوا ينشرون الأكاذيب عن الإسلام تقرباً للكنيسة وخدمة للنصرانية(٣).

---

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام، (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١)، ص٢٢٩.
(٢) د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التأريخ، ص٥٠.
(٣) ينظر: د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التأريخ، ص٥٢.

٤- الشعوبية والتعصب للجنس العجمي من الفرس والروم ضد العرب.

٥- الاستعمار الأوربي.

٦-صنائع الاستعمار وأذيالهم

الذين تخرجوا من مدارسهم وجامعاتهم، ينشرون ويكتبون ما انطوت عليه صدورهم من الحقد على هذا الدين وأصحابه.

ورداً على زعم العشماوي، أن المؤرخين القدامى لم يذكروا شيئاً عن تحريف التأريخ نجد أن الطبري من المؤرخين القدامى يقول في مقدمة كتابه (تأريخ الرسل والملوك): [ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رُوِّيت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها.

فما يكون في كتابي هذا من خير ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أن لم يعرف له وجها من الصحة ولا معنى له في الحقيقة، فليعلم أنه لم يأت ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا][١].

إن الطبري ألقى العهدة في هذه المقدمة على القارئ، فهو يقول إذا وجدت في كتابي هذا خبرا تستشنعه ولا تقبله فانظر عمن رويناه؟ والعهدة عليه، وعلي أن أذكر من حدثني بهذا فإن كان ثقة فاقبل وإن لم يكن ثقة فلا تقبل، وهذه طريقة المحدثين الذين لم يلتزموا الصحة في كتبهم[٢].

ولكن يعود المستشار عشماوي إلى التناقض العجيب حيث يناقض نفسه بعد صفحتين من كتابه الخلافة الإسلامية إذ يقول: [والذي لحقه التحريف ورسمه التزييف دون أن يجرؤ أحد على تصحيحه هو بعض الأحاديث والحوادث التي نسبت إلى عصر النبي ﷺ وكان ذلك يقع عمدا بقصد تأييد

(١) الطبري، مقدمة كتابه، ص٥.

(٢) عثمان محمد آل خميس التميمي، حقبة من التأريخ، ص٨.

تصرفات تالية أو تبرير اتجاهات حدثت فيما بعد... وأهم الأحداث التي زيفت في عصر النبي ﷺ هي الادعاء ظلما وافتئاتا بأن النبي ﷺ أمر باغتيال كعب بن الأشرف وأبي رافع بن أبي الحقيق اليهوديين](١).

الآن قبل صفحتين فقط ينفي دعوى تزييف التأريخ، وهنا يدعي تزييف خبر قد رواه من أوثق رواة الحديث واجتمع المسلمون على توثيقهما وهما البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين أجمعت الأمة على صحتهما وأنهما يأتيان بعد القرآن الكريم في الحجية، فكيف يجرؤ عشماوي على تزييف وتكذيب هذه الحادثة؟! وكذلك وردت في كتب السير مثل سيرة ابن هشام(٢) وكتب التأريخ الأخرى.

يقول الإمام يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) في شرح صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب مقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود: [لا يحل لأحد أن يقول إن قتله كان غدراً، وقد قال ذلك إنسان في مجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمر به فضربت عنقه(٣)، وإنما يكون الغدر بعد أمان وقد كان كعب قد نقض عهد النبي ﷺ ولم يؤمنه محمد بن مسلمة(٤) ورفقته، ولكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان](٥).

ويقول ابن حجر في شرح حديث مقتل كعب بن الأشرف: [إنه هجا المسلمين حتى آذاهم وشبب بنسائهم، وروى أبو داود والترمذي من طريق

(١) ينظر هذه الحادثة: البخاري، محمد بن إسماعيل، ت٢٥٦هـ، صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب قتل النائم المشرك، وكذلك: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٩٠، وفي باب الحرب خدعة، فتح الباري، ٧/ ١٩٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب مقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود، ١٢/ ٤٠٣.

(٤) محمد بن مسلمة بن مجلز بن عدي الأنصاري الأوسي الحارثي، وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف اليهودي، توفي بالمدينة سنة ٤٦هـ، ينظر: ترجمته: ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ١٢.

(٥) يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، ١٢/ ٤٠٣.

الزهري[1]: [إن كعب بن الأشرف كان شاعرا وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش..] ويقول أيضاً: [إن كعب بن الأشرف قدم على مشركي قريش فحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين، وهذه الأسباب تكفي لأن يكون ابن الأشرف محاربا لله ورسوله وللمسلمين وأنه يحرض عليهم عدوهم][2].

فكل ذلك لم يكن تبريرا لقتله ولم يكن له عهد ولا ذمة وإنما جاهر وأعلن الحرب ضد المسلمين، يقول العلماء: إن المعاهد إذا سب الشارع يقتل، وإن كعباً كان يسب الرسول ﷺ ويسب الدين الإسلامي بشعره لأنه كان شاعرا.

وفي قتل أبي رافع بعث رسول الله ﷺ رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك[3] ببيته ليلاً وهو نائم فقتله، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه.

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: [في هذا الحديث جواز اغتيال المشرك المحارب الذي بلغته الدعوة وأصر على الكفر، وجواز قتل من أعان على حرب على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه، وجواز التجسس على أهل الحرب][4].

يصور المستشار عشماوي في كتابه معالم الإسلام الصحابة الذين امتثلوا لأمر الرسول ﷺ بقتل كعب بن الأشرف وأبي رافع صورة العصابة التي تتسابق في ميدان الغدر والاغتيالات إرضاء لرئيسها وتقربا إليه وتزلفا، مع ملاحظة أن

---

(١) الزهري، أبو سلمة بن عوف الزهري، (ت ٩٤هـ) وقال الواقدي: سنة ١٠٤هـ، ينظر ترجمته: أبو إسحق الشيرازي، (٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م) ص٦١.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٧/٤٢٨.

(٣) عبد الله بن عتيك الأنصاري الأوسي، من بني مالك بن معاوية، أحد قتلة أبي رافع بن أبي الحقيق اليهودي. ينظر ترجمته: ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٣٠٦.

(٤) ينظر: البخاري، مطبوع مع فتح الباري، وشرح الحديث لابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٧/٤٣٨.

الرئيس هنا هو المصطفى ﷺ، فبعض من أحداث القتال المعلن ضد اليهود الذين نقضوا العهد وانحازوا إلى الشرك وأعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين هذه الإجراءات الوقائية التي أمر بها الرسول ﷺ لصد مؤامرات اليهود يسميها العشماوي اغتيالات، ويصور صنيع الأنصار لها باعتباره غدراً حيث تسابقوا على طريقة تنافست فيها الأوس والخزرج طلبا للحظوة عند رسول الله ﷺ(١).

وبعد أن حاول العشماوي استدرار عواطف قارئه على عدو الله ورسوله ودينه كعب بن الأشرف -بالحديث عن اغتياله بليل- واشتراك أخيه من الرضاعة في اغتياله واستدراجه إياه بمكر.. فكل ذلك [تقربا إلى النبي ﷺ وتوددا إليه] وليس ردا للغدر وقياما للجهاد في حرب معلنة.

بعد ذلك مضى العشماوي ليصور تنافس الأنصار على درب الغدر والاغتيالات فقال: [ونظراً للتنافس المستمر حتى بعد الإسلام فيما بين الأوس والخزرج فإنه لما اغتالت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا. فتذاكروا فيما بينهم عدواً للنبي ﷺ يغتالونه حتى يتساووا مع الأوس اغتيالا باغتيال، فذكروا أبا رافع سلام بن أبي الحقيق من يهود خيبر فذهبت جماعة إليه منهم فاغتالته على سرير نومه بعد تناوله العشاء](٢).

والعشماوي يتغافل عن أن المقام كان مقام حرب معلنة بين المسلمين واليهود، والذين نكثوا العهد. وغدروا الموادعة، وتحالفوا مع مشركي مكة وغطفان، وجيشوا الجيوش لغزو المدينة. فقتل المسلمين لبعض زعمائهم إنما تم بأمر النبي ﷺ، في إطار مقدمات المعارك الفاصلة معهم ولم يكن غدرا ولا اغتيالا.. بليل.. وبمكر. وعلى السرير. وبعد تناول الطعام.

والعشماوي يصور القضية على أنها كراهة فردية من الرسول للذين هجوه

---

(١) ينظر: العشماوي، معالم الإسلام، ص٢٤.

(٢) ينظر: معالم الإسلام، ص٢٣-٢٤-٢٥، وينظر أيضا: محمد عمارة سقوط الغلو العلماني، ص٦٥-٥٧-٥٨.

شعرا. وهذا الجهل مما تضيق به الصدور فإن النبي ﷺ لم يكن به الهجاء ولا الإقذاع[١] وإن الصحابة لم يكونوا مجاهدين في سبيل الله وإنما كانوا متنافسين على إرضاء الرسول، باغتيال من هجاه[٢].

والذي يظهر من المستشار العشماوي أنه قد نصب نفسه محاميا عن اليهود يدافع عنهم دفاعا مريرا ولم يكن ذلك غريبا من رجل أظهر ولاءه لأعداء الإسلام وهو من رجال القانون حيث يكون مؤهلا ليصبح محاميا موكلا من قبل المحافل الماسونية[٣].

وإن العشماوي يسوق هذه الصورة، تأصيلا لخلق الاغتيال والغدر في الشخصية الإسلامية، ورجوعا بها إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصدر الإسلام فيقول: [إن ما يمثل خطورة حقيقية في إرهاب الشرق الأوسط المعاصر أن الإرهاب يجد له تبريرا بالأفكار الدينية الإسلامية والآراء الفقهية.. فهو قد ظهر منذ فجر الإسلام، متوشحا بآراء دينية ومنسوجاً بأفكار إسلامية][٤].

العشماوي يريد أن يقول أن صفة الاغتيالات والإرهاب جاءت في الوقت الحاضر امتدادا لفجر الإسلام ليخدم بذلك اليهود الذين يرمون الإسلام والمسلمين بالإرهاب ويريد أن يصف الدفاع الفلسطيني عن دينه ومقدساته وأرضه وعرضه أنه إرهاب.

وإن العشماوي قد وضع نفسه بديلا عن اليهود بل سبق اليهود أنفسهم في الدفاع عنهم. فإن الكاتب اليهودي(إسرائيل ولفنسون) في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب) فيقول: [إن قتل هؤلاء اليهود في سياق الحرب المعلنة منهم على المسلمين]. فما رآه«إسرائيل ولفنسون» (قتالا) صوره العشماوي من

(١) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٦٨.
(٢) مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م) ص٤٨.
(٣) معالم الإسلام، ص٤٩.
(٤) ينظر: معالم الإسلام، ص٤٩.

الأنصار(غدرا ومكرا واغتيالا)، تنافست فيه الأوس والخزرج على إرضاء النبي ﷺ شفاء لصدره ممن هجاه[(١)].

إن الهجاء ليس من صفات النبي ﷺ ولكنها سنة عربية اضطرته إليها طبيعة العرب لحماية أعراض المسلمين فقد كان من هذه السنة عند العرب إنه إذا سكت المشتوم صدق الشاتم فجرى مجرى التاريخ الصحيح، ثم كانت معارك الألسنة لا يسكت فيها إلا الذليل فسكوته ذل، ولا يغلب فيها إلا العيي فعيه ذل آخر، ولولا ذلك ماكان جبريل يؤيد حساناً[(٢)] في الهجاء ولكن الكفاح عن نبيه كما ورد في الحديث: «إن الله ليؤيد حسانا ما كافح عن نبيه»[(٣)].

فكما أن النبي ﷺ استخدم السلاح في رد العدوان نراه أيضا قد استنهض الكلمة والشعر للرد على هجاء المشركين لأعراض المسلمين وسباب الشرك للإسلام، فأقام لحسان منبرا في مسجد النبوة فانبرى ينافح من فوقه بشعره عن الإسلام والمسلمين وكان يستحثه على جهاد الكلمة وكان يقول: «جاهدهم وجبريل معك اللهم أيده بروح القدس إن الله ليؤيد حساناً بروح القدس لا يزال يؤيده. فهجاهم حسان فشفى واشتفى»[(٤)] ومما قال حسان بن ثابت:

هجوتَ محمد فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

---

(١) مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، ص٢١٨. وينظر: محمد عمارة سقوط الغلو العلماني، ص٨٢.

(٢) وهو حسان بن ثابت بن منذر بن عمرو بن زيد الأنصاري الخزرجي ويقال له أبو الحسام لمناضلته عن رسول الله ﷺ بشعره (توفى، قيل الأربعين وقيل سنة ٥٠هـ) ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٧.

(٣) يرويه ابن الأثير في كتابه أسد الغابة في ترجمة حسان بن ثابت، ينظر: أسد الغابة، ٢/ ٧، ويروى بلفظ آخر((أجب عني أيدك الله بروح القدس)) رواه الترمذي في السنن، ٥/ ١٣٨، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ((فذكر نحوه بطرق أحدها رجاله ثقات)) ينظر: مجمع الزوائد، ٨/ ١٢٤. ورواه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٧٣٢٤).

(٤) رواه البخاري، برقم (٤٣٤) ومسلم، والنسائي في السنن الكبرى، ١/ ٢٦٢، والترمذي، ٥/ ١٣٨، وأبو داود والإمام أحمد.

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما فداء[١]

رد حسان هذا على سباب وهجاء المشركين للإسلام والمسلمين الذي كانت تؤيده روح القدس.. وهو في نظر العشماوي (ومقذع. وبذيء)[٢] تلك هي بعض من صور رسول الله ﷺ في فكر العشماوي .

(١) ينظر: ديوان حسان بن ثابت، ص٩، دار صادر بيروت.
(٢) معالم الإسلام، ص٢٦.

الفصل الثالث

موقف العشماوي من القرآن الكريم

المبحث الأول

الرؤية العشماوية للقرآن الكريم

لا يترك المستشار العشماوي لقارئه مجالا للشك في أن تشويهه لصورة الإسلام بل ولمعالمه وروحه وعقيدته وشريعته ودعواه في تبدل وتغير هذا الدين.. منذ عصر المسلمين الأوائل لا يترك شكا في أن دعواه هذه مؤسسة على مطاعنه في ذات المنابع الجوهرية لهذا الدين. وفي مقدمتها الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم، فالرجل المفترض إيمانه بوعد الله وعهده أن يحفظ هذا القرآن من كل ألوان التحريف. ودواعي الشك والريبة. والمفترض إيمانه بمعجزة التحدي بالنص القرآني- لا ترى في كتاباته التي تعرض فيها للقرآن الكريم أثراً للإيمان بهذا الذي جاء به الوحي من الحفظ الإلهي للقرآن الكريم والتحدي به تحديا خالدا على مر الدهور[1]﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2] و ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[3] و ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾[4].

ولا نرى في كتابات العشماوي عن القرآن الكريم أثرا لذلك بل نجد

---

(١) ينظر: محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٢٠.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩.

(٣) البقرة، آية: ٢.

(٤) سورة البقرة، ٢٣-٢٤.

مطاعنه تطاولت على منبع الدين الإسلامي: الذي هو القرآن الكريم. فهو يشكك في [إلهية اللفظ القرآني] عندما يزعم أن القرآن نزل على المعاني وقصد إليها. أما الألفاظ التي يعبر بها عن هذه المعاني[فقد أجاز النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبر عنها بلفظ آخر يفيد المعنى][١] هذه الدعوة الباطلة والافتراء الذي لم يسبقه إليه أحد بأن القرآن غير معجز بألفاظه، إذا كان هذا كما يدعي هذا المفتري. فأين التحدي الذي تحدى الله العرب بفصاحتهم وبلاغتهم عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو يريد بذلك أن يفتح الباب لكل من يريد التعبير عن معاني القرآن بمترادفات ألفاظه أنه قرآن. طالما أنه يعبر عن المعاني التي نزل القرآن عليها والتي قصد إليها.

وهو يدعي ذلك في معرض هجومه على صنيع صحابة رسول الله ﷺ الذي اجتمعت عليه الأمة -واجتماعهم معصوم بنص حديث رسول الله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[٢]، في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما نسخوا المصاحف على حرف واحد، من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، فلقد نزل القرآن على سبعة أحرف تيسيراً وترخيصاً للعرب، فلما اختلف بعض الصحابة في أثناء غزوهم لبلاد فارس وأرمينية[٣] وقد تضافرت الأسباب والدوافع التي جعلت سيدنا عثمان رضي الله عنه يفكر في جمع الناس على مصحف موحد في رسمه وهجائه، يجمعهم على قراءة واحدة[٤]، وكان أول ما بدأه الخليفة الثالث لتحقيق ذلك أن خطب في الناس في المدينة، وفيهم كثير من الصحابة، يستشيرهم ويدعوهم إلى القيام بهذه المهمة، ويروي ابن

(١) ينظر: محمد عمارة، الغلو العلماني، ص٢١.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ٦/ ٣٩٦، (مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت). والطبراني في المعجم الكبير، ٢/ ٢٨٠، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣). فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة، ينظر: السخاوي، المقاصد الحسنة، مكتبة الخانجي (بمصر، ١٣٧٥- ١٩٥٦م)، ص٤٦٠.

(٣) أرمينية: جمهورية أرمينيا جنوب شرق روسيا، عاصمتها (بريفان)، تحدها (جورجيا) شمالا و(تركيا) جنوبا و(أذربيجان) شرقا. ينظر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٣٣.

(٤) د. غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، (بغداد، ١٣٠٢ - ١٩٨٢م)، ص١١٠.

أبي داود عن سويد الجعفي[١] قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: [يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً، أو قولوا له خيراً] في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي بلغني عن المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً فقال ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول أن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا فما ترى؟ قال نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، فقلنا: فنعم ما رأيت][٢].

فكان جمع الأمة على حرف واحد في المصحف -ذلك الذي أنجزته الأمة على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، هو الذي يطعن فيه العشماوي زاعماً أن ذلك قد أغلق باب الحرية على من يريد التعبير عن معاني القرآن الكريم بألفاظ أخرى، مع الزعم أن هذا التعبير قرآن وليس تفسيرا للقرآن[٣].

والرواية المشهورة التي تحوي خطوات العمل الكبير هي التي يرويها أبو عبيد في فضائله، والبخاري في صحيحه، وابن أبي داود في المصاحف وابن النديم في الفهرست، والداني في المقنع، وغير ذلك من المصادر.

فعن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك.. ونص رواية البخاري: (حدثنا موسى حدثنا إبراهيم، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق. فأفزع حذيفة بن اليمان اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن ارسلي إلينا بالمصحف نستنسخها بالمصاحف ثم نردها إليك[٤].

(١) سويد بن عطية الجفعي، (ت٨١هـ) أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره وسكن الكوفة، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٤٩٢.

(٢) ابن أبي داود أبو محمد عبد الله بن جعفر، (ت٣١٦هـ) كتاب المصاحف، ط١، مطبعة الرحمانية (بمصر، ١٩٣٦م)، ص٣٥.

(٣) ينظر: د. غانم قدوري، رسم المصحف، ص١١١.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، ٦/ ٢٢٦.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت[١] وعبد الله بن الزبير[٢] وسعيد بن العاص[٣] وعبد الله بن الحارث بن هشام[٤] فنسخوها في المصاحف[٥].

وقال عثمان للرهط الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا[٦].

يقول المستشار العشماوي، [إن المسلمين الأوائل لم يستفيدوا من اختلاف القراءة حقيقة ولا لغة لأنهم حجبوا أنفسهم عنه إذ لم يعتنوا به وببحثه على أساس منهجي يفيد حقيقة هامة إن القرآن نزل على المعاني وقصد إليها وإذا كانت المعاني تقبل التعبير عنها بأكثر من لفظ فقد تضمن التنزيل صياغتها في لفظ، وأجاز النبي أن يعبر عنها بلفظ آخر يفيد معناه..][٧].

فالقرآن لم ينزل على المعنى وحده وإنما نزل بلفظ يحمل المعنى فالإلهي فيه هو اللفظ والمعنى جميعاً، وإعجازه لم يكن بالمعاني فقط وإنما كان بالصياغات والتركيب والألفاظ وإنما جاء التنزيل على سبعة أحرف التي

---

(١) زيد بن ثابت الذي كان ألزم الصحابة لكتابة الوحي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي تولى كتابة المصحف في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا لصغر سنه. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/ ٣٥٩، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣١٥.

(٢) عبد الله بن الزبير، ولد بالمدينة وهو أول مولود من المهاجرين في المدينة، توفي في مكة أي قتل على يد الحجاج سنة (٧٣هـ). ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ٥١.

(٣) سعيد بن العاص بن أمية، ولد عام الهجرة، وتوفي (٥٩). ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٦٢١.

(٤) عبد الله بن الحارث بن هشام المخزومي، وكان ابن عشر سنين حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٨٠٧.

(٥) ينظر: ابن أبي داود، المصاحف، ص١٨ وابن النديم، الفهرست، ص٤٢ والسيوطي، الإتقان؛ ١/ ١٦٩.

(٦) ينظر: صحيح البخاري، ٤/ ١٩٠٨، وابن أبي داود، المصاحف، ص١٨، وابن النديم، الفهرست، ص٢٤.

(٧) ينظر: حصاد العقل، (القاهرة، ١٩٩٢م)، ص٧٢.

جازت القراءة فيها ترخيصاً للأمة في زمن التنزيل، فهي ترخيص إلهي[١].

وعندما زالت ضرورات الرخصة أجمعت الأمة على أن المصلحة هي جمع القرآن على العزيمة أي الحرف الواحد توحيداً للأمة وخاصة بعد ما بدأ غير العرب يدخلون في الإسلام ويقرؤون القرآن فكان جمع المسلمين على رسم واحد لحرف واحد على المصحف الذي نسخ على عهد عثمان ﷺ تلك هي حقيقة معنى جمع الأمة في قراءة القرآن على حرف واحد في المصحف الذي أشرف على نسخه كتبة الوحي عند التنزيل وهم أنفسهم الذين نهضوا بجمعه أي ضم صحفه في عهد أبي بكر الصديق ﷺ[٢]، ولكن العشماوي لا يكتفي بالطعن في حقيقة أن الأحرف السبعة هي تنزيل وترخيص إلهي.. ولا يقنع بفرية فتح الباب [القراءات بشرية اللفظ] بالطعن على الأمة في جمعها واجتماعها في قراءة القرآن ورسمه على حرف واحد لا يكتفي ولا يقنع الرجل بهذا المستوى من الافتراء على القرآن الكريم والصحابة والأمة، وإنما يذهب ويرى أن اجتماع الأمة على رسم واحد قد كان السبب الذي [ضيّع الإنسان المسلم]، وأصاب العقل الإسلامي في مقتله منذ عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه[٣].

أي والله، يكتب المستشار عشماوي هذا فيقول: [لقد كان اعتماد عثمان بن عفان لقراءة واحدة من قراءات القرآن عملاً خطيراً أن جمع المسلمين على قراءة واحدة من قراءات القرآن عملاً خطيراً، إن جمع المسلمين على قراءة واحدة حفظ لآيات القرآن بلا شك غير أن هذا الجمع قد حفظ النص القرآني. وضيع الإنسان المسلم بعد أن ذوت جذوته وخمدت شعلة الحضارة فدخل في ضوء الجمود والتقليد وعدم الاجتهاد لأنه جعل إنسان النص لا المعنى إنسان النقل لا العقل. إنسان الحرف لا الروح][٤].

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٤٣.
(٢) ينظر: إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية، (القاهرة، ١٩٨٤م)، ١/ ٤٩-٥٠.
(٣) ينظر: حصاد العقل، ص٧٣، ٧٢، ود. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٧٤.
(٤) ينظر: حصاد العقل، ص٧٢-٧٣.

العشماوي يناقض نفسه حيث يقول: [إن جمع المصحف على حرف واحد قد حفظ النص من الضياع وضيع الإنسان] أن حفظ النص أولى لأنه هو الذي يقوم حياة الإنسان وينير دربه[١] لا يمكن أن يضيع الإنسان مع حفظ النص القرآني. وفي الحقيقة لا أحد ممن يحترمون عقولهم يدري العلاقة بين اجتماع الأمة على نص قرآني واحد وبين ضياع الإنسان المسلم وانحداره من العقل إلى النقل ومن المعنى إلى النص ومن الروح إلى الحرف.

يحدث كل ذلك والجميع بازاء نص واحد. ويكون الخلاف والاختلاف وتعدد السيل في الرؤية والفكر والتفسير لذات النص الواحد فكيف كان اجتماع المسلمين على قرآن واحد، هو سبب الكارثة عند المستشار عشماوي؟.

إن تيارات اللفظ والمعنى.. والعقل والنقل. والجمود والتقليد والمعتزلة والفلاسفة والسلفية. وأهل التأويل وأهل الحديث. جميعهم في حضارتنا الإسلامية قد اجتمعوا على قراءة واحدة لقرآن واحد، برسم واحد هو الرسم العثماني فهل منع هذا الاجتماع من تنوع واختلاف رؤيا ومناهج ومذاهب هؤلاء القراء، فأين تأثيرات اجتماع الأمة على الرسم العثماني للمصحف في الانقلاب الذي ضيع الإنسان المسلم كما يدعي العشماوي.

لقد قرأ الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ-١٥٥م) المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة وصاغ في النظر منهجا نصيا نظمه في الشعر يقول فيه:

دين النبي محمد آثار نعم المطية للفتى الأخبارُ[٢]
لا تخدعن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار

قرأ الماوردي، (ت، ٤٥٠هـ-١٠٥٨م) ذات المصحف وكتب في المنهج العقلاني الإسلامي يقول: [إن السبب المؤدي إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها شيئان:

أحدهما: علم الحس وهو العقل، لأن حجج العقل أصل لمعرفة

---

(١) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٢٣.
(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ١/ ٧٩.

الأصول إذ ليس نعرف الأصول إلا بحجج العقول.

وثانيهما: معرفة لسان العرب وهو معتبر في حجج السمع خاصة][1].

وقرأ الغزالي (ت، ٥٠٥هـ-١١١١م) ذات النص القرآني وصاغ للعقلانية الإسلامية منهجا متميزا قال فيه: [إن أهل السنة قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول][2].

وقرأ ابن رشد (ت،٥٩٥هـ-١١٩٨م) نفس القرآن وقال: [إنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له أعني أن الحكمة هي صاحبة الشريعة. والأخت الرضيعة][3].

فأين هو ضياع الإنسان المسلم بضياع العقلانية الذي نشأ من اجتماع المسلمين على نص قرآني واحد كما يدعي المستشار عشماوي، هل منعت وحدة النص القرآني من ازدهار العقلانية الإسلامية؟ أم أنها أثمرت عقلانية مؤمنة انبهر بها علماء الاستشراق الذين افتقدوها في لاهوت الديانات الأخرى. فقال أحدهم: [إن قوة الحركة الاعتزالية مردها جمهور أولئك الذين حاولوا أقصى ما في طوقهم إقامة علم الكلام الإسلامي على أسس منطقية ثم الانسجام بينها وبين الفلسفة التي يجب أن تدرس بوصفها من صميم العقيدة والشريعة][4].

وما بهر هؤلاء المستشرقين ليس خاصية اعتزالية. بل خاصية علم الكلام الإسلامي، الذي جعل من العقل سبيلاً للبرهنة على عقائد الدين. فأين هي

---

(١) الماوردي، أدب القاضي، تحقيق حمد هلال السرحان، بغداد، ١٩٧١م، ١/ ٢٤٧، ود. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٢٥.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد، (القاهرة، مكتبة صبيح، د.ت) ص٢٠٣-١٢١.

(٣) ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق، محمد عمارة (القاهرة، سنة ١٩٨١م) ص ص٣١-٣٢-٦٧.

(٤) الفريد غليوم، الفلسفة وعلم الكلام، ضمن كتاب تراث الإسلام، ترجمة جرجيس فتح الله، (بيروت، ١٩٧٢م) ص٣٧٩.

جناية وحدة القرآن على الإنسان المسلم. وعلى عقلانية الحضارة الإسلامية[١].

لعل المستشار عشماوي والله أعلم الذي طبع على خبث الضمير وحقده على قادة العالم الإسلامي لا يتحرج عن رمي حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه[٢] الذي دعا له الرسول ﷺ أن يفقهه في الدين. يرميه بتأسيس التقليد والجمود فيقول: [إن العوامل التي صنعت التحرير العقلي وحجرت على الفكر الإسلامي كانت وشيكة الظهور بعد النبي مباشرة فهذا ابن عباس ينصح مسلما فيقول: [قلد ولا تجدد] هذه الجماعة تكره الرأي ولا تحب الاجتهاد..][٣].

والعشماوي، فضلا عن أنه لا يوثق ما ينقل من نصوص. ولا يحقق الروايات ولا يدري أو يتغافل عن أن مقام مثل هذه التوجيهات عادة يكون فيما فيه تقليد واتباع من الشعائر والعبادات والأحكام التعبدية التي لا مجال فيها للرأي والاجتهاد والتجديد إن خبث الضمير الذي أصيب به العشماوي. يذهب بالرجل إلى حد تجريد أمتنا وحضارتنا وتاريخنا وتراثنا من العلوم زعما أن غيبة العقلانية عند المسلمين الأوائل وبجناية من وحدة النص القرآني. قد جعلت لذات الأمة. أدبا لا فكرا فيقول ما لم يسبقه إليه عدو جاهل حتى من غلاة المبشرين المنصرين: [لذلك وجد في المحيط الإسلامي أدب ولم يوجد فكر. إنه لم يكن للعرب بصفة عامة على مدى العصور دراسات فكرية..][٤].

ولو أن الرجل قد برئ من خبث الضمائر وقرأ كتابا واحدا مثل (الفهرست) لابن النديم(ت،٤٣٨هـ-١٠٤٧م) فضلا عما كتبه المسلمون وغيرهم من تصنيف العلوم الإسلامية. لما قال هذا الذي طعن فيه الأمة وتراثها مما صور وحدة النص القرآني كالجناية على الإنسان وعقلانيته واجتهاده ومن ثم على تراثه في الفكر والعلوم.

---

(١) ينظر: د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٢٨.

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، له شهرة واسعة عند أهل الحديث والتفسير. ينظر ترجمته: الأصبهاني، حلية الأولياء، ١/ ٣١٤.

(٣) حصاد العقل، ص. ٨٧.

(٤) ينظر: حصاد العقل، ص٩١.

إن ما حدث للقرآن على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه هو مجرد نسخ للمصحف المجموع على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مع اعتماد الحرف الأصلي الذي اجتمعت إليه العرب. وتشير الروايات إلى ترجيح لسان قريش حين ظهور أي خلاف بين زيد المدني وبين من معه من الصحابة القرشيين[١]. أما كتابة القرآن بواسطة كتاب الوحي فإنها كانت تحدث قرين الوحي حينما تنزل آيات القرآن الكريم وتتم القراءة منها. ولم يترك الرسول ﷺ دنياه حتى عارض ما في صدره على ما في صدور الحفظة الذين كانوا كثرة. لقد كانت هناك مصاحف مكتوبة ومجموعة لدى عديد من الصحابة. ثم جاء جمع كتاب الوحي على عهد أبي بكر رضي الله عنه صحائف القرآن، ليتكون منها [المصحف الرسمي] هو الذي نسخ من كتاب الوحي على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، النسخ التي بعث بها إلى الأمصار فجمع القرآن[٢]. وحيث إن ترتيب السور والآيات صنع إلهي وليس صنعاً بشرياً. وصدق الله العظيم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[٣].

يقول أبو عبيد القاسم بن سلام (ت، ٢٢٤هـ-٨٢٧م) في كتابه فضائل القرآن. معنى الأحرف السبعة بأنها تعني سبع لغات من لغات العرب. وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه. هذا ما لم نسمع به قط، ولكن لغات متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش. وبعضه بلغة هذيل. وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ومعانيها مع هذا كله واحد[٤] وهو كما قال ابن مسعود[٥] إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرؤوا كما علمتم، إنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال.

وكذلك قال ابن سيرين[٦]: إنما هو كذلك: هلم وتعال وأقبل ثم فسره

---

(١) ينظر: د. غانم قدوري، رسم المصحف، ص١١٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/ ٣٤٤. (٣) سورة القيامة، آية، ١٦-١٩.

(٤) ينظر فضائل القرآن، ص١٦، كما نقله د. غانم قدوري في كتابه رسم المصحف، ص١٣٢.

(٥) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي (توفى بالمدينة، سنة ٣٣هـ) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى٣/ ١٥٠، أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ٢/ ٨٣٧.

(٦) ابن سيرين: وهو من التابعين الكبار، ولد ست بقين من خلافة عثمان بن عفان توفى سنة، =

ابن سيرين فقال في قراءة ابن مسعود «إن كانت إلا زقية واحدة» وفي قراءتنا ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ والمعنى فيها واحد وعلى سائر اللغات والأحرف لا معنى لها إلا اللغات مع أن تأويل كل حديث منها بين في الحديث نفسه ألا ترى أن عمر قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأ[1] ويقول ابن قتيبة المتوفى (٢٧٦هـ-٨٨٩م) وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه[2].

وسواء أكان عدد السبعة الوارد في الحديث الشريف مقصودا به الحصر كما يذهب إلى ذلك أكثر من أشرنا إلى آرائهم أم أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل المراد بالسبعة التيسير، أنه يشتمل اختلاف اللهجات وتباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف الألسن وتفاوت التعليم ويشتمل اختلاف بعض الألفاظ وترتيب الجمل بما لا يغير به المعنى[3] المراد. وأما المصحف العثماني فقد ذهبت جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين أن هذه المصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها في الأحرف جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل.

المبحث الثاني

حفظ المصحف من التغيير والتحريف

في نظر العشماوي

تعهد الله تعالى بحفظ القرآن الكريم عن التحريف والتغيير والتبديل والخطأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾[4] بهذه الصيغة

= ١٠هـ، ينظر: الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٨٨.

(١) ينظر: صحيح البخاري، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، رقم الحديث (٤٠٧٦)، ٢/ ٦٨، وصحيح مسلم، باب أن القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث (٨١٨)، وينظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى ابن تيمية، (القاهرة، ١٣٢٦هـ) ١/ ٣١٢.

(٢) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٤٠١-١٩٨١، ص٣٦.

(٣) ينظر: السيوطي، الإتقان، ١/ ١٤١.

(٤) سورة الحجر، الآية، ٩.

المليئة بأدوات التأكيد. فلقد غدا هذا العهد الإلهي إحدى معجزات صدق القرآن. وذلك أن تأريخ الإسلام قد عرف ألوانا من الزندقة وطائفة الزنادقة كان أغلبهم من دعاة إحياء (المانوية)[١] والمذاهب الفارسية القديمة. ومع هذا فلم يشكك زنديق في نص القرآن الكريم ولم يزعم ملحد ولا مرتد بوجود أخطاء في آياته الكريمة، ولم يذهب أحد إلى ما ذهب إليه العشماوي.

لقد عرف تأريخ الردة والزنادقة[٢] هزلا سماه أصحابه تقليدا للقرآن من مثل سجع مسيلمة الكذاب (١٢هـ، ٦٣٣م)، وزمرد بن الراوندي (٢٩٨هـ، ٩١٠م)

وكانت حتى هذه المحاولات الهازلة للتقليد تتم فتشهد للقرآن بأنه النموذج الذي يحاول حتى الزنادقة أن يقيسوا عليه فيتطلعوا إلى محاكاته. فكانت محاولاتهم وكان إخفاق هذه المحاولات جميعا شهادة لفرادة وإعجاز هذا القرآن الكريم.

لكن زنديقا واحدا لم يدّع وجود أخطاء في نص القرآن[٣]..ولو كان هناك مجال لمثل هذا الادعاء، لما غفل عنه أساطين العربية من بلغاء العرب الذين كان التحدي بالقرآن لهم معجزة من معجزات الإسلام حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[٤] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن

---

(١) من الفرق الفارسية القديمة نسبة إلى ماني صاحب أسابرقان الذي يعدونه خاتم الأنبياء وهم من القائلين بإله الخير هو النور وآخر للشر وهو الظلمة، ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار الهمداني، تحقيق محمد الخضيري، (القاهرة، د.ت) ٥/ ١٤٠.

(٢) الزنادقة جمع زنديق، والزنديق بالكسر من الثنوية كما في الصحاح وهو القائل بالنور والظلمة كما في العباب أن الزنديق نسبة إلى الزند وهو كتاب المجوس الذي كان في زمن بهرام بن هرمز بن سابور ويدعي متابعة المسيح عليه السلام. ينظر: الزبيدي، تاج العروس شرح القاموس، مطبعة الكويت، ٢٥/ ٤١٨، مادة (زند).

(٣) ولكن بعض الشعوبية قالت بتحريف القرآن وأنه فيه أخطاء نحوية، ينظر: الغرباوي حسن حميد عبيد، الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة، (بغداد، ١٩٩٣م) ص٢٠٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣-٢٤.

يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾[1][2].

أما المستشار عشماوي فإنه قد جاء ليشكك في صحة آيات من القرآن الكريم. بعد أن سبق وفتح الباب لدعوى بشرية النص القرآني-فاستند بسوء قصد وخبث ضمير إلى رواية معلولة بتنبيه راويها ذاته على علتها وتهافتها ليصل إلى ما لم يجرؤ عليه الملحدون والزنادقة والمرتدون من الطعن في صحة آيات القرآن وتنزهها من الأخطاء[3]. نعم والله صنع العشماوي ذلك.

ولفهم خلفيات هذا الادعاء، ولإدراك حقيقة سوء قصد الرجل نسوق حقيقة وقائع التاريخ في هذا الموضوع لنصل إلى صنيع العشماوي في تحريفها وتغييرها، والسير وراء الشعوبيين والمستشرقين والحاقدين على تراثنا العربي الإسلامي الذي تنكر له العشماوي وقلب له ظهر المجن على رغم ظهور ووضوح وبيان هذا التراث المشع المنير على طول الأيام والدهور.

أولا: مناقشة الرواية

أورد ابن أبي داود في كتابه (المصاحف) هذه الرواية.

حدثنا أبو حاتم السجستاني[4] حدثنا صهيب بن عوف بن أبي جميلة[5] أن الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفا» قال:

١- كانت في البقرة «لم يتسن وانظر»[6] بغير هاء فغيرها «لم يتسنه» بالهاء.

---

(١) سورة يونس، الآية، ٣٧-٣٨.

(٢) ينظر: د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٣٠.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص٣٢.

(٤) أبو حاتم السجستاني: هو سهل بن محمد بن عثمان، (ت ٢٦٥هـ) ببغداد، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط (مصر، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م) ص١٠٠.

(٥) صهيب بن عوف بن أبي جميلة: لم أعثر على ترجمته.

(٦) سورة البقرة، آية، ٢٥٩.

٢- وكانت في المائدة «شريعة ومنهاجا»[١] فغيرها «شرعة ومنهاجا».

٣- وكانت في يونس «هو الذي ينشركم»[٢] فغيره «يسيركم».

٤- وكانت في يوسف «أنا آتيكم بتأويله» فغيره «أنا أنبئكم بتأويله»[٣]

٥- وكانت في المؤمنون «سيقولون لله... لله... لله»[٤] ثلاثتهن فجعل الأخريين «الله... الله».

٦- وكانت في الشعراء في قصة نوح،[٥]

٧- وفي الشعراء في قصة لوط «من المخرجين»[٦] فغير قصة نوح«من المجرمين» وقصة لوط «من المخرجين»

٨- وكانت في الزخرف «نحن قسمنا بينهم معايشهم»[٧] فغيرها «معيشتهم».

٩- وكانت في الذين كفروا «من ماء غير ياسن»[٨] فغيرها«من ماء غير آسن».

١٠- وكانت في الحديد «فالذين آمنوا منكم واتقو لهم أجر كبير»[٩]فغيرها «واتقوا».

١١- وكانت في إذا الشمس كورت «وما هو على الغيب بظنين»[١٠] فغيرها «بضنين»[١١].

ونقل ابن أبي داود السجستاني هذه الرواية في موضع آخر من كتاب

---

(١) سورة المائدة، آية، ٤٨.

(٢) سورة يونس، آية، ٢٢.

(٣) سورة يوسف، آية، ٤٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآية، ٨٥-٨٧-٨٩.

(٥) سورة الشعراء، الآية، ١٠٦.

(٦) سورة الشعراء، آية، ٢٦.

(٧) سورة الزخرف، آية، ٣٢٠.

(٨) سورة محمد، آية، ١٥.

(٩) سورة الحديد، آية٧.

(١٠) سورة التكوير، آية، ٢٤.

(١١) ينظر: كتاب المصاحف، (٤٩-٥٠).

المصاحف عن أبيه قال أبو بكر: [كان في كتاب أبي حدثنا رجل فسألت أبي: «من هو؟» فقال: «عباد بن صهيب عن عوف بن أبي جميلة أن الحجاج غير ما في مصحف عثمان من أحد عشر حرفا».] فذكر ما جاء في الرواية التي سبقت[١].

وظاهر ألفاظ هذه الرواية تشير أن الحجاج غيّر تلك الحروف وقد فهم بعض الباحثين منها ذلك المعنى. وقد أبطلها بعض الكتاب وردها لضعفها ولآحاديات رواتها[٢].

وبعض الباحثين أول هذه الرواية. بعد أن علمنا أن الحجاج قام بخدمة المصحف والمحافظة عليه وقد سبق أن إعجام المصحف تم تحت إشراف الحجاج وبأمر من عنده. وأورد ابن قتيبة في كتابة (تأويل مشكل القرآن)[٣] هذا الخبر وهو يتحدث عن عاصم الجحدري[٤]، وكان الحجاج وكّلَ عاصماً هذا، وناجية بن رمح[٥]، وعلي بن أصمع[٦]، بتتبع المصاحف. وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان ويعطوا صاحبه ستين درهما وكان علي بن أصمع جد أبي الأصمعي يتولى محو المصاحف المخالفة لمصحف عثمان بأمر من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي[٧].

وتشير الرواية التي أوردها ابن قتيبة أن الحجاج كان حريصا على المحافظة على هجاء الكلمات في المصاحف كما هو عليه في مصاحف

---

(١) ينظر: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص١١٧.
(٢) وينظر ذلك: ابن خالويه، الحجة، ص٣٢-٣٣.
(٣) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٥١.
(٤) عاصم الجحدري: هو عاصم بن الحجاج المقرئ المفسر روى عن عقبة بن ظبيان وروى عن حماد بن سلمة وعن يحيى بن معين أنه ثقة، توفي (١٢٨هـ) أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٦/ ٣٣٩. والذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٣٥٤.
(٥) ناجية بن رمح: لم أعثر على ترجمته.
(٦) علي بن أصمع: بن مظهر بن زياد بن عمرو بن شمس، وهو جد الأصمعي وأصمع صاجي، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/ ١١٥.
(٧) تأويل مشكل القرآن، ٣٧.

الأمة، ولما كانت الكوفة منزل عبد الله بن مسعود ﷺ في العراق وما كان من رفضه تسليم مصحفه لإحراقه بعد توحيد المصاحف. فمن المحتمل أن بعض الكلمات تسربت من مصحف ابن مسعود إلى المصاحف العثمانية، وكان هدف الحجاج أن تبقى المصاحف العثمانية موحدة في هجائها[1]. فوكل إلى بعض العلماء محو كل ما هو مخالف لمصحف عثمان. ومن ثم فإن هناك احتمالا قويا أن أولئك الجماعة وجدوا بعض المصاحف لا تخالف المصحف العثماني إلا في حروف يسيرة فرأوا تغييره فقط دون إتلاف المصحف ولعل ذلك ارتبط بالحجاج لأنه هو الآمر به. وإذا نظرنا في نص الرواية نجد أنها تذكر لفظ (غيّر) لا يدل أن يكون التغيير من صواب إلى الخطأ بل وقد يكون من الخطأ إلى الصواب ويكون هنا الصواب تغيرها إلى مثل ما هو عليه في مصاحف الأمة.

ثانيا

في أثناء ولاية الحجاج على العراق ظهرت الحاجة إلى مزيد تنقيط [المصاحف وشكلها] وبرغم أن الحجاج كان من علماء العربية وبلغائها إلا أنه لم يقرب هذا العمل وإنما طلب إلى واحد كان أعلم علماء عصره بالعربية[2]. وهو أبو سليمان يحيى بن يعمر العدواني[3] (ت ١٤٩هـ-٧٤٦م) أن ينهض بهذا [النقط والتشكيل ما ليس بمنقوط ولا مشكول من ألفاظ القرآن]. ويحيى بن يعمر كان من فضلاء عصره ومن ثقاة العلماء من جيل التابعين وأنه أدرك بعض الصحابة ﷺ وكان عارفا بالحديث والفقه ولغات العرب. وأنه درس اللغة على أبيه. وأنه كان فصيحا ينطق العربية المحضة عهد إلى يحيى بن يعمر هذا [ينقط ويشكل ألفاظ المصحف] على عهد الحجاج فنسب بعض

---

(١) ينظر: أبو الطيب اللغوي عبد الواحد بن علي الحلبي(ت٤١٢هـ) مراتب النحويين، مكتبة النهضة (القاهرة ١٩٥٥م)، ص١٠٥. وينظر: د. غانم قدوري، رسم المصحف، ص٧١٤.

(٢) ينظر: د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٣١.

(٣) يحيى بن يعمر العدواني، (ت١٢٩هـ) وهو تابعي وهو أحد قراء البصرة، ينظر: ابن خلكان، أبو عباس أحمد بن محمد (٦٨١هـ) وفيات الأعيان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (مصر، ١٣٦٧هـ-١٩٢٩م) ٥/ ٢٢٣.

الرواة هذا العمل إلى الحجاج كما نسب نسخ المصحف على عهد عثمان بن عفان إليه. مع أن الذين نهضوا بذلك هم كتاب الوحي.

ووجد يحيى بن يعمر وهو يضبط رسم الألفاظ أن هناك ثمانية ألفاظ تحتمل قراءات متعددة. كما في آية «لم يتسن» إن زيدا والجماعة الذين معه سألوا عثمان ﷺ في إضافة الهاء إليه فأمرهم أن يثبتوها فكتبوه «يتسنه» وقد روي أن هذا الحرف في مصحف ابن مسعود «يتسن» بدون هاء[1]. وبعضهم يثبتها عند السكت ويطرحها عند الدرج. والحجة لمن أثبتها أنه اتبع الخط. والحجة لمن طرحها أنه إنما أثبتت ليتبين بها حركة ما قبلها في الوقف فلما اتصل الكلام صار عوضا عنها ولهم في «لم يتسنه» وجهان:

أحدهما: أن تكون أصلية فتسكن للجزم.

والثاني: أن يكون الأصل «لم يتسنن» فأبدلوا من إحدى النونات ألفا ثم أسقطوها للجزم وألحقت هاء السكت[2] فهي قراءة سبعية لا كما زعم العشماوي.

ونجد الحرف الثاني في مصحف ابن مسعود «شريعة»[3].

وفي الثالث في سورة يونس في مصاحف أهل الشام «الذي يبشركم في البر والبحر» وفي سائرها يسيركم وهي من القراءات السبعة[4].

وفي الرابع «أنا آتيكم بتأويله» سورة يوسف وقراءة الحسن «أنا أنبئكم بتأويله»[5].

وفي الخامس «سيقولون لله... لله... لله» سورة المؤمنون.

---

(١) د. غانم قدروي، رسم المصحف، ص٧١٤.

(٢) ينظر: ابن خالويه، الحسين بن أحمد (٣٧٠هـ): الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، (الكويت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

(٣) غانم قدوري، رسم المصحف، ص٧١٥.

(٤) ينظر: ابن وثيق الأندلسي (٦٥٤هـ) الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف، تحقيق، د. غانم قدوري دار الأنبار، (بغداد، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ص٦٥.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩/ ٢٠٢.

فالحجة لمن قرأها بلام الإضافة أنه رد آخر الكلام على أوله فكأنه قال هي لله. ودليلهم أنهما في الأمام بغير ألف. والحجة لمن قرأها بالألف أنه أراد بهن الله، أي هو الله، وترك مردوده على قوله: «لمن الأرض؟... قل لله» والأمر بينهما قريب ألا ترى لو سأل سائل من رب هذه الضيعة؟ فإن قلت: فلان، أردت ربها وإن قلت: لفلان، أردت هي لفلان(١).

والسادس من المخرجين سورة الشعراء، قال ابن عباس أي من المقتولين.

والسابع من المرجومين. جعلها من المخرجين أي من بلدنا وقريتنا. وهذه القراءة المشهورة المتواترة في مصاحفنا والمتداولة بين المسلمين من غير نكير(٢).

والثامن «نحن قسمنا بينهم معيشتهم» وقرأ ابن عباس ومجاهد «نحن قسمنا بينهم معايشهم» فكيف يزعم عشماوي أن الحجاج بدل ذلك(٣). وأيضا كانت في مصحف ابن مسعود(٤).

والتاسع «من ماء غير آسن» من سورة محمد يقرأ بالمد على وزن فاعل وبالقصر على وزن فَعِل فالحجة لمن قرأ بالمد أنه أخذه من قولهم أسن الماء يأسن فهو آسن، والحجة لمن قصر أنه أخذ من قولهم أسن الماء يأسن من أسن كما تقول حذر يحذر فهو حَذِر(٥) وهي قراءة ابن كثير بغير مد بعد الهمزة وقرأ الباقون بالمد(٦).

---

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ص.٢٥٨، وينظر: ابن وثيق الأندلسي، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف، ص١١١، وينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٤٥٧.

(٢) ينظر: القرطبي، تفسيره الجامع لأحكام القرآن، ١٣/ ١١٨-١٣٣.

(٣) ينظر: القرطبي، تفسيره الجامع لأحكام القرآن، ١٦/ ٢٨.

(٤) ينظر: د. غانم قدوري، رسم المصحف، ص٧١٥.

(٥) ينظر: ابن خالويه، الحجة، ص٣٢٨.

(٦) ينظر: غانم قدوري، رسم المصحف، ص٦٩٠.

وفي العاشرة: «فالذين آمنوا منكم واتقوا»[١] سورة الحديد.

حيث هي (وأنفقوا) في المصحف المتداول بين أيدينا ولو كان ذلك محرفا لرده العلماء البارعون في القراءات ولما سكت أحد على ذلك.

وفي الحادي عشر. «وما هو على الغيب بضنين» ويقرأ بظنين ويقرأ بالضاد والظاء، فوجه الضاد يراد به ما هو ببخيل، ووجه الظاء يراد به ما هو بمتهم[٢].

ويمكن القول بناء على ذلك أن هذه المواضع الأحد عشر كانت تخالف ما في المصحف العثماني ولما كان الحجاج يسعى إلى نفي أي خلاف أو تحريف في المصحف كان من الطبيعي أن يأمر بتغييرها أي إصلاحها لأن ما يذكر من مواضع أقرها الحجاج هي التي كانت الأمة قد أجمعت عليها[٣].

ووجد يحيى بن يعمر وهو يضبط رسم الألفاظ أن هناك ثمانية ألفاظ تحتمل قراءات متعددة، فأثبت من بينها القراءة المشهورة وهي «لم يتسنه» اختارها كقراءة مشهورة بدلا «لم يتسن» في آية البقرة ٢٢٩. و«يسيركم» بدلا من «يبشركم» في آية يونس ٢٢. «ولله» بدل (الله) في آيات المؤمنين: ٨٥، ٨٧، ٨٩، .. «من المرجومين» في آية الشعراء ١٦٧. والعكس آية الشعراء ١١٦. «آسن» بدلا من ياسن في سورة محمد ١٥٠. «واتقو» بدلا من «واتقوا» في آية الحديد ٧ .. «بضنين» بدلا من «بظنين» في آية التكوير ٢٤. ووجد ثلاث ألفاظ ضبطها وفق القراءة الوحيدة وهي «شرعة» وليس «شريعة» في آية المائدة «وأئتيكم» وليس آتيكم في آية يوسف ٤٥٠. و«معيشتهم» وليس «معايشهم» في آية الزخرف ٣٢٠[٤].

ونسب يحيى بن يعمر هذا العمل إلى الحجاج في الرواية الضعيفة كما تدل صيغتها على تهافتها كما تقول الرواية (حدثنا رجل... أن الحجاج غيّر...)[٥].

---

(١) سورة الحديد، آية، ٧.

(٢) ينظر: ابن خالويه، الحجة، ص٣٦٤.

(٣) د. غانم قدوري، رسم المصحف، ص٧١١.

(٤) ينظر: أبو بكر السجستاني (كتاب المصاحف) ص١٣٠.

(٥) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعد (ت٤٤٤هـ) المحكم في لفظ المصحف، تحقيق: عزة حسن، (دمشق ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م) ص٣٠.

لقد انطلق العشماوي فرحا من هذه الرواية الأحادية المعلولة دون أن يحقق الأمر تحقيق الغيور على مكانة القرآن ليعرف حقيقة الأمر وحقيقة صانعه- انطلق لِيتّهم بني أمية بعدم تقديس القرآن ولذلك تركوا مدرس عربية هو الحجاج يتدخل في القرآن ويغير فيه، موهما قارئه أن القرآن كانت به أخطاء في النسخ لكن مع هذا ما كان يصح أن يتدخل الحجاج ويغير فيه[(١)]، إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يعتصمون بالقرآن الكريم فهو حبل الله المتين الذي يوحد مشاعرهم وأفكارهم، ويجمع صفوفهم ويؤلف بين قلوبهم وهم متعلقون به، يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ويحفظونه عن ظهر قلب. ولكن الشعوبيين[(٢)] والحاقدين وعشماوي الذي هو من أذنابهم يتهم القرآن بالنقص ويتهم من خدموا القرآن بتحريفه وتغييره حاشا القرآن عن ذلك الزيف الباطل.

المبحث الثالث

جراءة العشماوي على القرآن الكريم

يقول العشماوي: [إن في القرآن أخطاء نحوية ولغوية].

ولا يكتفي العشماوي بهذا التشكيك الذي مر في المبحث السابق في سلامة اللفظ القرآني. يمضي على هذا الدرب الذي اخترعه مدعيا أن القرآن الذي بأيدينا الآن والذي اجتمعت عليه الأمة [لا زالت توجد به حتى الآن بعض الأخطاء النحوية واللغوية][(٣)] يزعم العشماوي اكتشافه لأخطاء نحوية ولغوية في القرآن الكريم لم يكتشفها علماء الإسلام وعلماء العربية القدماء منهم والمحدثون، مع أنه لو قرأ كتابا في نحو العربية أو اطلع على كتب تفسير القرآن لعلم وجه إعراب هذه الألفاظ الثلاثة في هذه الآيات[(٤)]، ولكن

---

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص١٤٧-١٤٨، وينظر: محمد عمارة سقوط الغلو العلماني، ص٣٣.

(٢) ينظر: الغرباوي، الشعوبية، ص٢٠٤.

(٣) ينظر: العشماوي، الخلافة الإسلامية، ص١٤٨.

(٤) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٣٣، و الغرباوي، حميد عبيد، الشعوبية، ص٢٠٤-٢٠٥.

عشماوي أصيب بسوء القصد. وخبث الضمير الذي كلما وجد هفوة في الإسلام يطير بها فرحا لكي يشهر بالإسلام: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ⑧﴾[1].

ففي زعم العشماوي أن «ساحران» في آية ٣٦ من سورة طه صحتها (ساحرين).

إن في هذه الآية عدة وجوه إعرابية[2]:-

١- «إنَّ هذان لساحران» بتشديد النون في إنّ وتحقيقها في نون المثنى في هذان وهي قراءة الجمهور من السبعة[3].

٢- «إنَّ هذانِّ لساحران» وهي كالقراءة السابقة تماما غير أن النون من(هذان) مشددة مكسورة وهي قراءة ابن كثير من السبعة.

٣- «إنْ هذان لساحران» وهي بتخفيف النون في الموضعين[4].

٤- «إنَّ هذين لساحران» بتشديد النون من إن وبالياء في هذا بدل الألف، وهي قراءة سبعية قرأ بها أبو عمرو[5] بن العلاء وعائشة والحسن وآخرون، عمل إن أنها تنصب الاسم وترفع الخبر وهو الرأي المشهور[6].

٥- رفع الجزأين معا، ويمكن توجيه القراءة المشهورة عند جمهور القراء وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ لأن (إنّ) المشددة يجب إعمالها،

---

(١) سورة الصف، آية، ٨.

(٢) كما هو مفصل في كتاب شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري النحوي، الذي فصل فيه الكلام حول هذه الآيات وفند فيها القول المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: ((إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب بالسنتها)). ينظر: باب المثنى من الكتاب، ص ٥٠.

(٣) أحمد مكي، الدفاع عن القرآن، ص٥٦-٥٧.

(٤) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٥٧.

(٥) أبو عمرو بن العلاء اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولا، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة أخذ من التابعين وقرأ القرآن على سعيد بن جبير، (ت ١٥٤هـ). ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ٢/ ٢٣١.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١/ ٢١٤.

وقد أجيب عنها بأوجه:

أحدها: إن لغة القصر في المثنى أن المثنى بالألف في حالة الرفع والنصب والجر دائما تقول: جاء الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان ولها شاهد لرؤبة بن العجاج:

إن أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتاها[١]

ثانيها: (إن) بمعنى نعم، ومثلها فيما حكي أن رجلا سأل ابن الزبير شيئا فلم يعطه فقال: «لعن الله ناقة حملتني إليك» فقال: «إن، وراكبها». أي نعم ولعن الله راكبها و(إن) التي بمعنى نعم لا تعمل شيئا. فهذان مبتدأ مرفوع بالألف. (وساحران) خبر لمبتدأ محذوف أي لهما ساحران والجملة خبر (هذان) ولا يكون (لساحران) خبر (هذان) لأن لام الابتداء لا تدخل على الخبر.

ثالثها: إن الأصل (إنه هذان لهما ساحران). فالهاء ضمير الشأن اسم إن، وما بعدها مبتدأ وخبر، والجملة في محل رفع خبر إن.

رابعها: إنه لما ثنى هذا اجتمع ألفان ألف هذا وألف التثنية، فوجب حذف واحد منها لالتقاء الساكنين، فمن قدر المحذوفة ألف (هذا) والباقية ألف التثنية قلبها في الجر والنصب ياء، ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها[٢]، فهذان لا تزال مبنية في محل نصب اسم إن، وجملة لهما ساحران خبر. وغيرها من الوجوه.

والآية الثانية التي يزعم عشماوي أنها وقعت فيها أخطاء لغوية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾[٣] وقرأ القراء السبعة. «والصابئون»

---

(١) هذا البيت لرؤبة بن العجاج، والشاهد في هذا البيت أن (أباها) لزم حالة واحدة في جميع الأحوال، ينظر: شواهد ابن عقيل، محيي الدين عبد الحميد، (مصر، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)، ١/ ٥١.

(٢) ينظر: ابن هشام النحوي، شذور الذهب، ص٤٩، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١/ ٢١٨

(٣) سورة المائدة، آية، ٦٩.

بالرفع وعليه مصاحف الأمصار والجمهور. وفي توجيه هذه القراءة وجوه:

أحدها: مذهب سيبويه[(١)] والخليل[(٢)] ونحاة البصرة أنه مرفوع بالابتداء وهو منوي به التأخير[(٣)].

وثانيها: أنه معطوف على موضع اسم إن لأنه قبل دخول (إنَّ) كان في موضع رفع وهذا مذهب الكسائي والفراء.

ثالثها: أنه مرفوع معطوف على الضمير المرفوع في (هادوا)[(٤)]، ولكن القرطبي يضعف هذا الأخير ويقول: أن المضمر المرفوع يقبح العطف عليه إلا بعد تأكيده بضمير الفصل[(٥)]

والآية الثالثة التي يدعي عشماوي بأنه ورد فيها خطأ لغوي: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾[(٦)] أي يديهما، واكتفى بتثنية المضاف بدل المضاف إليه مثل قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[(٧)]. فقد اكتفى بتثنية المضاف بدل المضاف إليه[(٨)].

وقال الخليل بن أحمد والفراء. كل شيء يوجد من خلق الإنسان إذا أضيف إلى اثنين جمع نقول هشمت رؤوسهما أشبعت بطونهما ولذلك قال أيديهما ولم يقل يديهما[(٩)].

---

(١) سيبويه، أبو بشير عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد، ويعرف مؤلفه في النحو بالكتاب، (ت على الأرجح ١٨٠هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٤١٣.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العربية والعروض، وهو أول من استخرج العروض وحصر شعر العرب، (ت ١٧٥هـ). ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ٢/ ٣٣٣.

(٣) أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (ت٧٥٤هـ) تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هأ-١٩٧٨م، ٣/ ٥٣١.

(٤) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٣/ ٥٣١.

(٥) القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٢٤٦.

(٦) المائدة، آية، ٣٨.

(٧) التحريم، آية، ٤.

(٨) أبو حيان، تفسير البحر المادّ من البحر المحيط، ٣/ ٤٤٧.

(٩) الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ١٧٤.

أو ينظر فيها إلى جنس السارق والسارقة، يدل عليه قراءة ابن مسعود: «والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم»[١].

ولو أن العشماوي قد جهل الذي قدمناه من ضبط الأحد عشر حرفا وفق القراءة المشهورة والمقررة. وعن وجوه إعراب هذه الألفاظ الثلاثة. لكان أمره واقفا عند جريمة الخوض في كتاب الله بغير علم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]. ولكن جرم الرجل يتعدى الجهل إلى سوء القصد بدليل أنه قد قرأ المصادر التي أوردت هذه التغييرات، بل لقد رجع العشماوي إلى الموسوعة القرآنية، للأستاذ إبراهيم الأبياري، وأشار إلى إيرادها لرواية السجستاني في كتاب المصاحف لكنه هو الشاهد على سوء القصد.

وسكت عن تفنيد صاحب الموسوعة لكل الشبهات واحدة واحدة وأخذ ذلك بعيدا عن التنفيذ والرد[٣]، مما يظهر من سوء قصده وخبث نيته. إن العشماوي الذي يقدم نفسه إلى القراء كمكتشف لم يسبق لأخطاء نحوية ولغوية في القرآن كتاب العربية الأول الذي أجمعت الأمة لإعجازه على أن يكون المعيار الذي تقاس عليه قواعد العربية وصحة أساليبها. فهل يجوز لمن لا يعرف الفرق بين [الفطرة] التي فطر الله الناس عليها وبين [الفطيرة] التي يضعها الخباز في الفرن؟ أن يتجاوز قدره ويتعدى حدوده، ليتكلم في العربية فضلا عن أن يدعي اكتشاف أخطاء نحوية ولغوية في كتاب العربية الأول والمعجز[٤]، إن العشماوي يجمع (الفطرة) على (فطائر) وهو جمع (الفطيرة) و(الفِطرة) تجمع على (فِطَر)، وذلك عندما يزعم: [إن فقه عمر بن الخطاب قد يخالف طبائع الأمور وفطائر الناس][٥].

فهل لمن هذا مستواه حق أي حق في أن يتحدث عن القرآن الكريم ولكم هي افتراءات العشماوي على القرآن الكريم.

---

(١) سورة المائدة، آية، ٥. (٢) سورة الأنعام، آية، ١٤٤.

(٣) ابراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية، ١/ ٣٦ وما بعدها.

(٤) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٣٦.

(٥) العشماوي، (الربا والفائدة في الإسلام)، ص٤١.

الفصل الرابع

الرسول ﷺ في نظر العشماوي

المبحث الأول

العشماوي ينفي العصمة عن النبي ﷺ

إن مطاعن العشماوي تناولت وطالت مقام النبي ﷺ إلا أن الرجل استمر على درب المطاعن فوجه العديد منها إلى ذات الرسول ﷺ.

وإذا كان الإسلام بل وكل الملل والشرائع قد جعلت من «عصمة الرسل» عقيدة من العقائد المعلومة من الدين بالضرورة والتي لا يمكن أن يكون المؤمن مؤمناً إن هو جحدها؛ لأنه على العصمة يتوقف صدق التبليغ عن الله والثقة فيما يدعو إليه الرسل والأنبياء[1] عليهم الصلاة والسلام، فهي من أصول الاعتقاد وعليها تأسس أصول الدين والإيمان.

١- فمما يتعلق بالأمور الاعتقادية، فقد أجمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون من الكفر والبدعة إلا القليل من الخوارج.

٢- ما يتعلق بتبليغ الشرائع والأحكام عن الله تعالى فقد أجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع[2].

والذي يجب أن يقال أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في

---

(١) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٣٩.

(٢) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن التميمي، (ت، ٦٠٦هـ)، عصمة الأنبياء، المكتبة الشرقية، (بغداد، ١٩٩٠م). وينظر: محمد عبده، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق (القاهرة، ١٩٩٣)، ٥/ ٢٧٤.

زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد. أما على سبيل السهو فهو جائز[١].

ويدل على وجوب العصمة خمسة وجوه:

١- أنهم لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً، أشد من حال عصاة الأمة، وهذا باطل، فصدور الذنب باطل. لأن أعظم نعم الله على عباده هي الرسالة والنبوة وكلما كانت نعم الله تعالى أعظم كان صدور الذنب أفحش وصريح العقل يدل عليه[٢].

فثبت أنه لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم العاجل والعقاب الآجل فوق جميع عصاة الأمة، إلا إن هذا باطل بالإجماع فإن أحداً لا يجوز أن يقول إن رسول الله أسوأ حالاً عند الله وأقل منزلة من كل واحد، وهذا يدل على عدم صدور الذنب عنهم[٣].

٢- لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[٤] ولكن الأمر ليس كذلك حيث يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾[٥].

٣- لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير جائز لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾[٦].

٤- لو صدر الفسق عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لكنا مأمورين

---

(١) ينظر: الغزالي، المنخول، تحقيق محمد حسن هيتو، (دار الفكر، بيروت، د.ت)، ص٢٢٥.

(٢) الرازي، فخر الدين، عصمة الأنبياء، ص١٠.

(٣) حسن العطار، حاشية العطار على جمع الجوامع للإمام السبكي المكتبة التجارية الكبرى، (مصر، د.ت)، ٢/٢٨.

(٤) سورة الحجرات آية: ٦.

(٥) البقرة، الآية: ١٤٣.

(٦) سورة الأحزاب، الآية، ٥٧.

بالإقتداء به وهذا باطل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[١]. ولقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[٢] ولما كان صدور الفسق يفضي إلى الباطل فهو باطل.

٥- لو صدرت المعصية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[٣] وهذا بإجماع الأمة باطل، فكان صدور المعصية[٤] باطلا[٥].

أن الأنبياء عليهم الصلاة السلام معصومون عن الكذب خصوصا فيما يتعلق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمة أما عمدا فبالإجماع، وأما سهوا فعند الأكثرين[٦]. فعصمة الأنبياء والرسل في التبليغ أصل من أصول الإسلام شهد به الكتاب وأيدته السنة وأجمعت عليه الأمة، ذلك الذي اعتمدت عليه الأديان حتى لايرتاب فيه أحد يفهم ما معنى الدين، وأحد يتلو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[٧].

ينكر العشماوي فيقول: [إن القرآن الكريم لم يعتبر النبي معصوما][٨].

بل ويذهب أن هذا الاعتقاد دخيل على الإسلام من النصرانية فالرجل

---

(١) سورة آل عمران، الآية، ٣١.

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٥٨.

(٣) النساء، الآية، ١٤.

(٤) الرازي، عصمة الأنبياء، ص١١.

(٥) الغزالي، المنخول، ص١٢٥، وينظر: عبد الكريم المدرس، صفوة اللآلي من مستصفى الإمام الغزالي- رحمه الله تعالى- في علم أصول الفقه، ط١، (بغداد، ١٤٦هـ - ١٩٨٦م، ص٣٦١.

(٦) النسفي، نجم الدين عمر بن محمد، العقائد النسفية، (ت٥٣٧هـ)، شرحها، التفتازاني سعد الدين، (ت ٧٩٣هـ)، مصطفي البابي الحلي، (مصر، د.ت). ص١٣٦، و عبد الله الشرقاوي، حاشية الشرقاوي على الهدهدي على العقائد السنوسية، عيسى البابي الحلبي، (القاهرة، د.ت)، ص١١٤.

(٧) سورة النجم، آية ٣-٤.

(٨) ينظر: الإسلام السياسي، ص٣٦.

يجحد عقيدة أطبقت عليها كل العقائد والملل وتأسست عليها الثقة في كل عقائد الدين ويرجعها إلى فكر نصراني دخيل[١].

كذلك يسعى المستشار عشماوي إلى التشكيك في كمال واكتمال تبليغ الرسول الرسالة وما أوحي إليه من ربه. يقول العشماوي: [لقد دهش بعض مستمعي السيد المسيح من تعاليمه، فعجب من دهشتهم وقال لهم: إنه يكلمهم بالأرضيات فما البال لو كلمهم بالسماويات، وعن النبي ﷺ أنه قال: «أوتيت هذا القرآن ومثله معه»[٢] ومفاد قول المسيح وقول النبي ﷺ أن كلا منهما كان يعرف ما لم يستطع أن يقوله لخاصة خاصته][٣] ومفروض أن العشماوي قد قرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[٤].

ومفروض أنه يعرف أن المراد بما أوتي الرسول مثل القرآن هو السنة في رأي البعض وهو لم يكتمها، أو الحكمة بمعنى الإصابة في غير النبوة، والقرآن هو الإصابة في النبوة والوحي، وهو لم يكتمها[٥]. ومفروض أن يعرف بداهة منافاة الكتمان للعصمة بل ولصدق وعد الله سبحانه وتعالى[٦] بحفظ الوحي الذي أوتيه الرسول ﷺ. ولو حدث ذلك لكان مطعناً للمشركين ما كان

(١) ينظر: أصول الشريعة، ص١٤٣.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، ونصه: ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعان على أريكته يقول: ((عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)) ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروهم فإن لم يقروهم فعليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم)). ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، ورواه أبو داود، باب لزوم السنة، ينظر: سنن أبي داود ٤/ ٢٠٠.

(٣) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٣٩.

(٤) سورة البقرة، آية، ١٥٩.

(٥) ينظر: العشماوي، أصول الشريعة، ص١١.

(٦) ينظر: ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد (ت، ٧٤١هـ)، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق، د. عبد الله الجبوري (بغداد، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ص١١٣.

لهم أن يصمتوا عنه حتى يجيء العشماوي فينثر حوله علامات الاستفهام.

وأجمعت الأمة أنه لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المعصية لا الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ أما السهو والنسيان فجائز ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان علماً أن علومهم أكمل فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ وقال الأكثرون هذه العصمة إنما تجب في زمان النبوة، فأما ما قبلها فهي غير واجبة وهو قول أكثر أهل السنة والجماعة(١).

إن الاعتقاد ببعثة الرسل ركن من أركان الإيمان، ومن لوازم ذلك بالضرورة الاعتقاد بعصمتهم من كل ما يشوه الصورة البشرية، ولا يخفى على أحد من أهل النظر في هذا الدين القويم أنه قد قرر عصمة الأنبياء والرسل من الزلل في التبليغ والزيغ عن الوجهة التي وجه الله وجوههم نحوها من قول أو عمل، وخص خاتمهم محمدا ﷺ فوق ذلك بمزايا فصلت في ثنايا الكتاب العزيز. فعصمة الأنبياء في التبليغ أصل من أصول الإسلام شهد به الكتاب وأيدته السنة وأجمعت عليه الأمة(٢).

فهم معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها وعن كل ما يوجب النفرة منهم(٣)، ومما يدل على عصمة الأنبياء وعصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ما روي أنِ خزيمة بن ثابت الأنصاري(٤) رضي الله عنه شهد على وفق

(١) الرازي، عصمة الأنبياء، ص١٠-١١.

(٢) ينظر: شرح الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح العقيدة السنوسية المسماة أم البراهين، ص١١٤.

(٣) ينظر تفصيل ذلك: التفتازاني، سعد الدين، شرح العقيدة النسفية للإمام نجم الدين النسفي، ص١٣٦.

(٤) خزيمة بن ثابت الأوسي الأنصاري، من السابقين الأولين، روى عنه ابنه عمارة أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى فرسا من سواد بن قيس المحاربي فجحده، فشهد خزيمة للنبي فقال له النبي صلى الله علي وسلم: ((ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضرا؟)) فقال: ((صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقا)) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من شهد له خزيمة أو عليه فهو حسبه)). رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (فمنهم من قضى نحبه). وينظر: الرازي، عصمة الأنبياء، ص١٦.

دعوى النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يكن عالما بتلك الواقعة فقال خزيمة: «إني أصدقك فيما تخبر عنه من أحوال السماء أفلا أصدقك في هذا القدر؟» فلما ذكر ذلك صدقه النبي صلى الله عليه وسلم ولقبه بذي الشهادتين، فلو كان الذنب جائزا على الأنبياء لكانت شهادة خزيمة غير جائزة.

المبحث الثاني

النبي ﷺ في مكة وقصة الغرانيق في نظر عشماوي

يقول المستشار، عشماوي، : [كانت قريش تدين بعبادة الله الواحد الأحد. غير أنها لدواعي التجارة وتوجيه العرب وجمعهم تحت لوائها وحشرهم تحت كعبتها، عدت أن أرباب القبائل والقرى وسيلة يتشفعون بها إلى الله، ووضعت تماثيل (أصنام) في الكعبة وكان النبي ﷺ واضحاً محدداً في ترديد رسالة الإسلام بأن اتخاذ هذه الأصنام شفاعة إلى الله شرك به سبحانه، وفيما عدا واقعة الإشارة إلى الأصنام بأنها «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى» والتي سرعان ما قيل للنبي أنها لم توح إليه فنسخت من القرآن تماماً فيما عدا هذه الواقعة المفردة فقد ظل الإسلام على صرامته في عدم قبول أي واسطة وشفاعة لله][1].

قول العشماوي أن قريشًا كانت تدين لله الواحد الأحد ذلك غير صحيح لأن قريشاً اتخذت أصناماً تعبدها من دون الله وجعلت مع الله آلهة أخرى كما صرح القرآن الكريم في الآيات الكثيرة في هذا الشأن، وذلك كل الآيات المكية التي نزلت تخاطب قريشاً وتدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾[2].

القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى حيث يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[3] فهلا نصرهم خلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها

---

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص٧٢.

(٢) الأحقاف، الآية ٢٨.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.

متقرباً بها إلى الله تعالى! فيها تهكم بهم[(١)] أي الكفار.

فهم اتخذوا الأصنام للعبادة وللمشاركة مع الله في الألوهية، تعالى الله عن ذلك، أما مسألة الغرانيق التي يقول عنها العشماوي أن النبي ﷺ نطق بها والوحي نبهه على ذلك، وأنها لم تكن من الله وإنما من الشيطان، وهذه القصة أن محمداً لما رأى تجنب قريش إياه وشاهد أذى أصحابه تمنى، فقال: ليته لا ينزل على شيء ينفرهم مني ويستميل قلوب قومه ودنا منهم ودنوا منه، فجلس يوماً في ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[(٢)] فقرأ بعد ذلك تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، ثم مضى وقرأ السورة كلها وسجد في آخرها، هنالك سجد القوم جميعاً ولم يتخلف منهم أحد، وأعلنت قريش رضاها وقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام أما إذا جعلت لآلهتنا نصيباً فنحن معك، وبذلك زال الخلاف بينه وبينهم[(٣)].

إن هذه الرواية مرسلة مروية عن ابن إسحاق. ويمكن أن يقال: كيف وقع مثل هذا لمحمد ﷺ مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله ﷺ؟، ثم حكيت أجوبة من بعضها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ وليس كذلك في نفس الأمر بل إنما كان من صنع الشيطان لا من رسول الرحمن ﷺ وقيل إنما سجد معه المشركون لأنهم سمعوا أصوات الشياطين في أثناء قراءة رسول الله ﷺ[(٤)].

إن هذا التفسير الذي أورده بعض المفسرين لا يتفق مطلقا مع المقصود من الآية حيث أن إثبات تدخل الشيطان مع رسول الله ﷺ في قراءته نقص للرسالة من أساسها، حيث حاولوا أن يفسروا كلمة «تمنى» في قوله تعالى:

---

(١) الصابوني، محمد علي، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، إسماعيل علي البروسوي، (الدار الوطنية، بغداد، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ٤/ ٦٩.

(٢) سورة النجم، الآية، ١٩-٢٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ١٨٨، و ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٢٥.

(٤) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ١٦٧، والقرطبي، محمد أحمد الأنصاري، تفسير الأحكام، ١٧/ ١٢٤.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾[١].

وحاول بض المفسرين أن يفسروا كلمة (تمنى) بمعنى قرأ[٢]، وذلك بعيد والخروج بكلمة (تمنى) عن معناها الواضح[٣]، وهو طلب الأمر المحبوب مع استقامة المعنى مع الآيات الكريمة لا يتفق وفطنة الرسول ﷺ لأن كل نبي -ومحمد خاتمهم عليه الصلاة والسلام- يحب ويتمنى أن تعم رسالته جميع قومه وأن يهتدوا بهديه ويحرص على ذلك أشد الحرص ولكن الشيطان دائما يصنع العقبات في سبيل هذه الأمنية فيصرف كثيرا من الناس عن سماع دعوة النبي ﷺ ولكن الخير هو الأبقى، وإننا لو سلمنا بأن الشيطان استطاع بوسيلة ما أن يضع على لسان الرسول آية وآيات ليست من القرآن، لتسرب الشك إلى جميع القرآن لأنه حينئذ تصبح كل آية ذات مظنة أنها من وضع الشيطان[٤].

وهناك نواح أخرى تدل على كذب هذه الرواية بصورة قاطعة وهي أننا لو فرضنا أن محمدا ﷺ جال بخاطره أن يترضى قومه، فأجرى الشيطان على لسانه هذه الكلمات التي أرضت قريشا فعدوها ترضية لهم، إذا سلمنا بهذا فأين كانت عقول القوم؟![٥] وهم الذين كانوا معجزة رسولهم القرآن لأنهم أهل بلاغة وعلم بفنون القول وضروب الكلام. كيف مر عليهم التقريع الشديد والامتهان البالغ الذي أعقب هذه الكلمات التي سرتهم وشرحت صدورهم. وكيف يسجدون معه وهو الذي قال بعد ذكر الغرانيق كما يدعون ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾[٦].

---

(١) الحج، الآية، ٥٢.

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ١٦٧.

(٣) د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل، المكتب الإسلامي (بيروت، د.ت) ص٥٧.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٩.

(٥) المرجع نفسه، ص٦٠.

(٦) سورة النجم، الآية، ٢٣.

الرواية رواها الطبري ورواها ابن سعد عن الواقدي، ليس كل ما في رواية الواقدي قويا وصحيحا بل في روايته ما هو مقطوع ومرسل وموضوع[١].

فأما الطبري الذي روى القصة فلم يتكلم عن أسانيد الروايات بإبطال أو تصحيح لكن تأويله بعد ذلك يشعر بأنه ممن ذهب إلى تصحيح الروايات التي حدث بها[٢].

أما الزمخشري الذي ذكر القصة فقد ذكر سبب نزول الآيات بنحو ما ذكر ابن جرير وتأول الآيات بحسب ذلك[٣].

وأما النسفي فقد ذكر الأسباب نفسها للآيات لكنه خالف في التأويل حيث قال إن الشيطان تكلم في سكتة من سكتات النبي ﷺ عند قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾[٤].

أما ابن حجر فقد تحمس للقول بصحة سندها وقال في تخريج أحاديث تفسير الزمخشري بعد عزوه حديث الغرانيق إلى من رواه: «أقل ما يقال عنه أنه مرسل وقد اعتضد بطرق أخرى» كما أورد ما ذكره أبو بكر بن العربي من الروايات التي ذكرها في ذلك مردود ولا أصل له. وقال ابن حجر في الرد على من طعن في إسناد القصة: [وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد فيها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض][٥].

إن الاحتجاج بالمرسل: فإن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل، وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي وحينئذ

---

(١) ينظر: مقدمة ابن سعد، ١/ص.ز.ط. لجنة نشر الثقافة الإسلامية، وينظر: د. ابراهيم علي شعوط، أباطيل، ص٦٠.

(٢) الطبري، التفسير، ٣/١٨٦.

(٣) الزمخشري، تفسير الكشاف، ٣/١٩.

(٤) النسفي، عبد الله بن أحمد، (ت٧١٠هـ)، تفسير النسفي، ٣/١٠٦.

(٥) ينظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت٨٥هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تفسير سورة النجم، ٦/٤٣٩.

يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة. وعلى الثاني فلا يؤمن أن يكون كذاباً كما إن الاحتجاج بالمرسل عند من يحتج به في الفرعيات التي يكفي فيها الظن. أما هنا فإن ذلك ينافي العقيدة في عصمة النبي ﷺ[١].

وقال الخازن في تفسيره أن هذه القصة لم أجدها من أهل الصحة ولا إسنادها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل إنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب[٢].

لقد حكى الفخر الرازي في تفسيره عن محمد بن إسحاق بن يسار أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة[٣].

أما ابن حزم الظاهري فقد جزم بوضع هذه القصة في معرض رده على من لم يوجب العصمة للأنبياء حيث قال: «استدلوا بالحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾ وأما الحديث الذي فيه (وإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فكذب بحت موضوع لأنه لم يصح قط من طريق النقل فلا معنى للاشتغال به إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد»[٤].

بعد الموازنة والمقارنة بين أقوال العلماء وأدلتهم حول قصة الغرانيق نستخلص النتائج الآتية:

١ - إن الغرانيق لم ترد من طرق صحيحة مسندة إلى صحابي ولم يصح إسنادها إلى تابعي إلا ما تقدم من ابن حجر[٥] وقد وجه الرد عليه.

٢ - قد تتابع المحققون من المحدثين والمفسرين على رد هذه القصة والطعن فيها حتى قال كثير منهم أنها من وضع الزنادقة لمنافاتها عصمة الرسول ﷺ ومصادمتها لنصوص كثيرة من القرآن الكريم. منها: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ

---

(١) د. أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ٣١٨.
(٢) تفسير الخازن، ٣/٣٤٦.
(٣) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ٢٧/٢٢٦، والرازي، عصمة الأنبياء، ص ١٠٥.
(٤) ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/ ٤٥-٤٨.
(٥) ينظر: د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل، ص٦٠.

﴿ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾(٣)(٤). فكيف مر بهؤلاء قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ﴾(٥) كل ذلك لو أمعن رواة الغرائب ومروجوها نظرهم فيه ما تورطوا ولا أساؤوا إلى مقام النبوة.

العشماوي يتهم الأمة منذ بدء الإسلام على عهد رسول الله ﷺ بأن الكثيرين منها لم يفهموا الإسلام ولم يفهموا معنى النبوة والرسالة، وأنهم خلطوا النبوة والرسالة بالملك، فكانوا بذلك [محجوبين عن إدراك مفهوم النبوة معزولين عن استيعاب صميم الرسالة بدون الملك أكثر منه بدون النبوة يلاحظون جانب الحكم أكثر مما يلاحظون جانب الدين حتى لقد اهتز إدراك كثير من العرب لرسالة النبي](٦).

إن الفارق كان واضحا كل الوضوح بين الملك وبين الرسالة في دعوة الإسلام منذ لحظتها الأولى وعلى مر تاريخ دعوتها، وهو القائل لمن ارتعد في حضرته «هون عليك ما أنا بملك ولا جبار إنني ابن امرأة كانت تأكل القديد»(٧).

وفي السنة الثانية لبعثة رسول الله ﷺ بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه تشاورت قريش في أمر النبي ﷺ ودعوته فبعثوا إليه عتبة بن

---

(١) سورة الحاقة، آية، ٤٤-٤٦.
(٢) سورة يونس، آية، ١٥.
(٣) سورة الأعلى، آية، ٦.
(٤) ينظر: محمد عبده، الإسلام في قفص الاتهام، ص٧٩، وينظر: د. زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي، ص١٢
(٥) سورة النجم، آية، ٢٩.
(٦) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص٥٧-٦٥-٦٨.
(٧) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٣١٤. ورواه الحاكم في المستدرك، ٢/ ٥٠٦، ورواه ابن ماجه في السنن، كتاب الأطعمة، باب القديد، قال الهيثمي: ((إسناده صحيح ورجاله ثقات)). مجمع الزوائد، ٤/ ٣٥.

ربيعة وكان من سادات قريش فقال للرسول ﷺ: «يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيسًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه». حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد» قال: نعم، قال: فاستمع مني. فتلا عليه قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ الآيات[١]»[٢].

منذ البدايات الأولى للبعثة كانت قريش على وعي تام بالتمييز بين الرسالة -التي جاء بها النبي ﷺ - وبين الغنى والمال والسيادة والجاه والملك وأبو سفيان الذي قاد صراع قريش الذي قال للعباس عند حبسه في مضيق الوادي لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال له العباس إنها النبوة فعاد وقال نعم إذن[٣].

إن النبي ﷺ يربط بين النبوة والدعوة إلى الله تعالى وتوحيد لله والدنيا وقيادة الأمة على هدي الله تعالى ونور الإسلام أما الملك مجردا من الدين وبعيدا عن تعاليم الله تعالى كما يزعم العشماوي فذلك الذي حاربه رسول الله ورده ردا قويا ورفضه رفضا قاطعا بقوله وذلك حينما قال لعمه: «يا عماه، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته». ثم استعبر النبي ﷺ فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي. فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت. فوالله لا أسلمك لشيء أبدا[٤].

---

(١) سورة فصلت، آية، ١-٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية١، / ٣١٤.

(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٤٧.

(٤) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٢٨٤، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٣٢٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/ ٤٢.

وكلام العشماوي لا يصدر من إنسان متفهم عميق الفهم بعيد النظر فإنه ينظر إلى الدين نظرة منفصلة عن الحياة العملية ولا يمكن للإنسان أن ينال الآخرة إلا عن طريق العمل في الدنيا وأن المال هو عصب الحياة وأن الدين إذا انفصل عن الحياة العملية يبقى جامدا لا يتطور مع تطور الزمن وهو ميزة امتاز بها الدين الإسلامي.

المبحث الثالث

النبي محمد ﷺ في المدينة في نظر العشماوي

يقول العشماوي: [أن عبد الله بن أبي كانت له دار للبغاء والدعارة.. هذا فضلا عن أن الواقعة تدل على أن هناك بيوت للدعارة وأماكن للبغاء في نفس المدينة التي يقيم النبي والمسلمون من المهاجرين والأنصار][١].

أقول: ولكن ذلك قبل مجيء الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة. ويقول ابن كثير في تفسير سورة النور: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾. إن جارية واحدة لا كما يقول العشماوي أن بيوتا للدعارة والبغاء لعبد الله بن أبي بن سلول كان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواطئها إرادة الثواب منه فأقبلت الجارية إلى أبي بكر ﷺ فشكت إليه ذلك فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فأمره بمنعها. فأنزل الله الآية[٢]، لا كما يزعم الكاتب بأنها بيوت للدعارة وأماكن للبغاء وليس في هذا البيت ستة إماء -وإنما هي واحدة واختلف في اسمها بين، معاذة، أو مسيكة، أو أميمة[٣].

النبي ﷺ ومشروعية الجهاد

يقول العشماوي: [من يقرأ كتب السيرة على الأخص سيرة ابن هشام يروعه أن يجد الكاتب المؤرخ وهو يسرد أحداث حياة النبي ﷺ خلال فترة وجوده بالمدينة لا يتكلم إلا عن السرايا والمغازي والاغتيال وما شابه ذلك، ويبرز الملك على النبوة ورجحان الإمارة على الرسالة، فما لا شك فيه أن

---

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص٧٧.

(٢) ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ سورة النور، من الآية، ٣٣.

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢٤٧.

النبي ﷺ كان خلال وجوده في المدينة يبشر برسالته التي هي أحسن ويدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. ويجادل في شؤون الدين بالرفق والحكمة والسماحة ويعمل على تطبيق الشريعة بالعقل والإقناع والقدوة ويرى أن جهاد النفس أكبر من جهاد الحرب، ونتيجة لذلك فلقد بدت السيرة والتاريخ الإسلامي وكأنها تكتب عن قائد حربي لا عن رسول الله وتحدث عن ملك عسكري لا عن نبي مصطفى من السماء، وتلح على وقائع قتالية ولا تؤمن في جدال فكري وتؤكد على غزوات وسرايا ولا تؤكد على حوار بالحسنى ونقاش بالعقل وإقناع بالدليل][1].

أن العشماوي يريد أن يعطل شأن الجهاد ويصور أن الذين كتبوا عن رسول الله ﷺ ولم يكتبوا إلا القتال والغزوات. ولكن الأمر ليس كذلك، فإن علماء الإسلام كتبوا كل ما يخص الرسول ﷺ في حياته حتى كتبوا صفة أكله وشربه وملبسه ومشربه وعلاقاته الاجتماعية في سلمه وحربه وعلاقاته مع أهله ومع أقاربه ومع أصحابه[2]، ولكن كتب السير والمغازي اختصت بذكر مغازيه ﷺ وحروبه مع أعدائه ونشر دعوة الإسلام ومحاربة كل من وقف بوجه نشر دعوة الإسلام.

إن من المقومات الرئيسة في الإسلام الجهاد في سبيل الله الذي يحتل مكانا بارزا في بنية النظام السياسي في الإسلام باعتباره عنصرا بارزا من عناصر قيام هذه الدولة وضمانا لاستمرارها بل شرعيتها المتولدة من قيامها بواجباتها التي أهمها الجهاد أحد جانبي العلاقة الدولية بين المسلمين وغيرهم وهما جانبا السلم والحرب[3].

فقد غزا ﷺ المخالفين لدينه من قومه من العرب وفتح بلادهم وضم أموالهم وسبى رجالهم ونساءهم ولا شك أنه ﷺ قد امتد بصره إلى ما وراء شبه جزيرة العرب واستعد للانسياب بجيشه في أقطار الأرض وبدأ فعلاً

---

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص٧٧.

(٢) الترمذي، الشمائل المحمدية، مكتبة الشرق، (بغداد، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م)، ص٥ وما بعدها

(٣) خلاف، عبد الوهاب، السياسة الشرعية، ط، دار الأنصار،(القاهرة، ١٣٧هـ) ص٦٣.

يصارع دولة الرومان (البيزنطية) في الغرب ويدعو إلى الانقياد لدينه كسرى والفرس (الساسانيين) في الشرق، ونجاشي الحبشة، ومقوقس مصر[١].

إن حرب الإسلام لدفع الاعتداء وتأمين الدعوة ومنع إرهاق الناس في دينهم وما كان ليقاتل إلا بعد أن تظهر بوادر الفتنة أو يكون الاعتداء بالفعل[٢]. ومع ذلك إذا كان القتال أمراً لابد منه فلابدّ من فعله وهو أن يخيرهم القائد بين أمور ثلاثة: إما الإسلام ليكونوا مع المسلمين بقلوبهم، وإما العهد ليأمن المسلمون جانبهم، وليؤمن الإسلام دعوته، وإما القتال[٣].

وإن الجهاد هو وسيلة لتطبيق أحكام الشرع في الداخل وحمل الإسلام إلى العالم عن طريق الجهاد في سبيل الله[٤].

ومعنى الجهاد فهو بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة المجتمع الإسلامي وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة وبذل الجهد بالقتال نوع من أنواعه[٥].

أما غايته فهو إقامة المجتمع الإسلامي وتكوين الدولة الإسلامية العميمة.

وأما المراحل التي مرّ بها الجهاد فقد كان الجهاد في صدر الإسلام كما علمنا مقتصراً على الدعوة السلمية مع الصمود في سبيلها وتحمل الشدائد من أجلها[٦]، ثم شرع القتال الدفاعي، ثم شرع بعد ذلك قتال كل من وقف عقبة في طريق إقامة المجتمع الإسلامي على أن لا يقبل من الملاحدة والوثنيين إلا الإسلام وذلك لعدم الانسجام بين المجتمع الإسلامي الصحيح وما هم عليه

---

(١) أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية، دار الفكر العربي، الكويت، د.ت، ص٥٢.

(٢) ينظر: مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، ص٣٧٢.

(٣) أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية، ص٩٤.

(٤) البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، ص١٧٤-١٧٥.

(٥) المرجع السابق نفسه.

(٦) د. محمد علي محمود، الجهاد في التشريع الإسلامي، ط١، دار الاتحاد العربي للطباعة، (القاهرة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)، ص٢٠.

من الإلحاد والوثنية[١].

وأما أهل الكتاب، فيكفي خضوعهم للمجتمع الإسلامي وانضواؤهم في دولته على أن يدفعوا للدولة ما يسمى بالجزية مكان ما يدفعه المسلمون من الزكاة. وعند المرحلة الأخيرة استقر حكم الجهاد في الإسلام وهذا واجب المسلمين في كل عصر إذا توفرت لديهم القوة والعدة اللازمة وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وقد اهتم المسلمون بالجهاد اهتماما بالغاً لأن القرآن الكريم حث عليه حثاً ملحاً، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٦].

وألف الفقهاء والمحدثون في هذا المجال وذكروا أبوابا في تأليفهم وأسموه باب السير والجهاد. وتناولت كتب السير موضوعها تناولا خاصا تغيب عنه النزعة التنظيرية الإدارية التي نشاهدها في كتب الأحكام السلطانية يتبوب فيها العرض المسترسل لجزئيات المباحث الجهادية وما يتعلق بها من قضايا الجهاد وإعداد الجيش وتجهيزه وعدة ترتيب الصفوف وحمله في سبيل الله وتدريبه من كر وفر وحكم الغنيمة وتقسيمها بين المقاتلين، وتحريم غلول وبيان حكم المرتد، وعلاقة المسلمين بأهل الذمة، والمحاربين..[٧].

---

(١) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، ص٩٢.

(٢) التوبة، آية: ١٢٣.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٣.

(٦) سورة التحريم، آية: ٩.

(٧) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت، ٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت) ص١٧٠.

من خلال تحرك الرعيل الأول للجهاد بدأت دائرة الحركة الجهادية تتوسع وتبدأ الروح الجهادية تعم جميع المسلمين ويلاحظ أنه بمجرد إذن الله تعالى بالقتال بدأت الحركة العسكرية الجهادية ضد المشركين الذين اضطهدوا المسلمين[١].

إن حرب الإسلام لدفع الاعتداء وتأمين الدعوة ومنع إرهاق الناس في دينهم وما كان ليقاتل إلا بعد أن تظهر بوادر الفتنة أو يكون الاعتداء بالفعل[٢].

يدعي العشماوي أن الإسلام انتشر بالسيف والقتل يتبع في ذلك أسياده من المستشرقين أعداء الإسلام الذين يقولون إن الإسلام انتشر بحد السيف وذلك مثل المستشرق بروكلمان وغيره، يقولون: [وأخضع سيف الإسلام شعوباً أفريقية وآسيوية شعبا بعد شعب][٣]. لا علاقة بين انتشار الإسلام وبين حروب المسلمين مع الفرس والروم، ثم تتوقف الحروب وتتوارى السيوف، وحينئذ يتقدم الدعاة والمعلمون فيشرحون نظم الإسلام ومبادئه[٤].

وكانت هذه الدعوة السمحة تجذب لها الناس وبخاصة عندما رأت الشعوب المغلوبة الفرق الكبير بين حكم قيصر وطغيانه وبين بساطة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسماحته وتواضعه، وبالدعوة دخل الناس أفواجا في دين الله تعالى. وإن الإسلام لم يأخذ طريقه خلف الصحراء بأفريقية إلا بعد انتشار دولته الكبرى في المغرب. وكانت وسيلة الإسلام لهذه البقاع هي الثقافة والفكر والدعوة. وانتشر الإسلام في إندونيسيا وماليزيا وفي أفريقية فأين القوة التي نشرته في هذه البلاد وجذبت له قلوب الملايين[٥]؟

---

(١) سعيد حوى، الأساس في السنة، دار السلام، (القاهرة) ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م، ص٤١٨.

(٢) محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، ص١٠٢.

(٣) ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٧٨. الدكتور، مصطفى خالدي عمر فروخ، التبشير والاستعمار، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م، ص١٤.

(٤) د. أحمد شبلي، موسوعة التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية، ص٤٤٦.

(٥) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص٤٤٧.

إن انتشار دعوة الإسلام في أفريقيا لم تقم على القسر وإنما قامت على الإقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا قوة ولا طولا إلا إيمانهم العميق بدينهم وعقيدتهم وكثيرا ما انتشر الإسلام بالتسرب البطيء من قوم إلى قوم[1].

والذي يدرك طبيعة هذا الدين يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان، ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح الحرب الدفاعية كما يراها المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين ومن سار في فلكهم الماكر. وإذا لم يكن بد من أن نسمي حركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية فلا بد أن نغير مفهوم كلمة دفاع ونعده دفاعا عن الإنسان ذاته ضد جميع العوامل التي تقيد حريته، وتعوق تحريره، وقد أسس جمهور علماء الأمة الذين يرون أن الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول الحرب، من باب خير طرق الدفاع الهجوم لدفع الشر ونشر الإسلام، وذلك لعالمية الإسلام، فأنزل الله تعالى القرآن لكل البقاع والأصقاع[2]، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[3].

المبحث الرابع

معركة بدر الكبرى في نظر العشماوي

يقول المستشار عشماوي: [حدث أن بعض المسلمين -تغيظاً منهم وحنقاً على مشركي مكة وبتحريض من حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ- اعترضوا قافلة للقرشيين كانت آتية من الشام إلى مكة برئاسة أبي سفيان، قد أفزع ذلك القرشيين وهالهم بشدة، لأنهم رأوا فيما حدث خروجاً على التقاليد العربية وجنوحاً عن الأعراف المألوفة، ذلك أن السلب والنهب وغزو الآمنين

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٢٨.

(٢) ينظر: أبو عيد، عارف خليل، العلاقات الخارجية في دولة الخلافة، ص ٢٧٦.

(٣) سورة القلم، آية ٥٢.

وقطع الطرق على القوافل أمر يقتصر - في تقديرهم وتقاليدهم وأعرافهم - على الصعاليك والأعراب الفوضويين والعدميين الذين لا يقرون تقاليد ولا يحترمون أعرافاً ولا يخضعون لأية قواعد أو أصول...][١].

العشماوي، يصور لقارئه أن بعض المسلمين يضمر حقداً وبغضاً لمشركي مكة بتحريض من حمزة عم النبي ﷺ، وكأنها دوافع شخصية لا علاقة لها بأمر الله تعالى، ومثّلهم بأنهم قطاع طرق يقطعون التجارة على العرب وخروجاً عن الأعراف المألوفة وإن ذلك من صفات الصعاليك والأعراب الفوضويين والعدميين الذين لا يقرون تقاليد ولا يحترمون أعرافاً...، لم يدر العشماوي ولم يقرأ أن المشركين من قريش اجتمعوا على باب محمد ليقتلوه ﷺ فكانت مؤامرة كبيرة وأذاقوهم ألوان الأذى وأنواع العذاب، ولا يعرف عشماوي أن المشركين أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم فأخذوها وباعوها غصباً وعدواناً وحاربوهم في كافة الأصعدة وفي جميع الأمكنة طيلة ثلاث عشرة سنة[٢]. وإن التأريخ يقرر أنهم احتملوا ألواناً من الضغط والعدوان أبان إقامتهم في مكة فلما اشتد عليهم الطغيان تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا بدينهم إلى المدينة لكن قريشاً لاحقتهم ودبرت الوسائل للقضاء عليهم بالمدينة حتى لا يهددوا تجارتهم وحتى لا يستمروا في ذم آلهتهم. فوجد المسلمون أن القوة هي الطريق الوحيد لحماية أنفسهم بعد أن عجزت الوسائل السلمية لمنحهم هذه الحماية[٣].

والآيات القرآنية وردت تؤيد ذلك كقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[٤]، وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّن

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص٧٧-٧٨.
(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢٦١، ٤٦٢.
(٣) شلبي، أحمد، موسوعة التأريخ الإسلامي، ص٤٦٤.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٨.

عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾[(١)].

ويقول الله تعالى في شأن خروج المسلمين لتعرض عير قريش: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾[(٢)]، وغيرها من الآيات الدالة على ذلك.

كل ذلك يا مستشار عشماوي لا يكون مبرراً في أن يتعرض المسلمون لقافلة من قوافل قريش التجارية؟!. ولكي يحصل المسلمون على بعض أموالهم التي سيطر عليها المشركون عند هجرتهم إلى المدينة المنورة؟!.

كان المشركون قد استولوا على أموال المهاجرين الذين خرجوا فراراً بدينهم إلى المدينة إذ كان المشركون أذاقوهم ألواناً من الضغط والعدوان، فلما اشتد عليهم الطغيان تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا بدينهم إلى المدينة فاستولت قريش على كل أموال المسلمين حتى إن الرسول ﷺ عندما عاد إلى مكة في عمرة القضاء في العام السابع، سأله أسامة بن زيد[(٣)] في أي المنازل تنزل؟ فأجاب صلى الله عليه وسلم: وهل ترك لنا عقيل[(٤)] منزلاً؟ نحن نازلون بوادي كنانة، وقد كان عقيل قد استولى على منزل الرسول ﷺ وباعه كما استولى هو وأخوه طالب وكانا كافرين على منازل أبي طالب وحرما أخويهما علياً وجعفر[(٥)(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥. وينظر: السيوطي، أسباب النزول، سورة الأنفال، ص ٣٣٤.

(٣) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل بن عبد العزى الكلبي، صحابي جليل ولد بمكة ونشأ على الإسلام وكان يعرف بحب رسول الله ﷺ، توفي في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه سنة (٥٤هـ)، ينظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ٢/ ٨٣٤ الهامش، ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٦٤.

(٤) عقيل بن أبي طالب ابن عبد مناف القرشي الهاشمي أخو علي وجعفر وكان الأسن، توفي في خلافة معاوية أو في خلافة يزيد، ينظر: ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٤٩٤.

(٥) جعفر بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم النبي ﷺ وأخو علي وكان أسن منه بعشر سنين، أحد السابقين في الإسلام، استشهد في مؤتة سنة (٨هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٤/ ٣٤.

(٦) ينظر: أحمد شلبي، موسوعة التأريخ الإسلامي، ص٤٦٢.

لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس[١]، فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك لظنهم أن رسول الله ﷺ لم يلق قتالاً[٢].

فهذا المأجور الذي ينتمي إلى المستشرقين وإلى الغرب الذين كان هدفهم هدم الإسلام من الداخل وتشويه صورة الإسلام الناصعة ويريد أن يجعل الإسلام ديناً ذليلاً لا يعرف العزة ولا يعرف الدفاع عن النفس، ولكن الذي لا دين له لا يدافع عن الدين والذي لا عرض له لا يدافع عن العرض والشرف الرفيع، والذي لا يتحلى بالمثل العليا لا يدافع عن المثل العليا.

إن الأيدي الخفية التي لا تريد الخير للعرب والمسلمين، وتعاون إسرائيل في تنفيذ مخطط لها ولأحلامها التوسعية والاستيطانية في البلاد العربية، وتؤازر الاستعمار ليبقى إلى الأبد مستحوذاً على خيرات العرب ودار الإسلام، إنما تريد أن يكون المسلمون أذلاء لا يدافعون عن عقيدتهم وشرفهم.

لقد كانت موقعة بدر رغم صغر حجمها في تأريخ الإسلام؛ فقد سماها الله تعالى في كتابه (يوم الفرقان) بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾[٣] لأنه فرق بها بين الحق والباطل. هاهم الأنصار يعلنون قبل بدء المعركة أن التزاماتهم تجاه العقيدة لا تحدها العهود التي قطعوها في بيعة العقبة الثانية. بل جند مطيعون ومضحون من أجل عقيدتهم دون شرط ولا قيد. وهاهم

(١) خطاب، محمود شيت، بين العقيدة والقيادة، ص١٦٣.
(٢) ينظر تفصيل هذه الغزوة في كتب المؤرخين والطبقات، ينظر: ابن سعد، محمد البصري، (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، ٢/ ١١، الطبري، تأريخ الرسل والملوك، ٢/ ٤٢١ وما بعدها، ابن الأثير، الكامل في التأريخ، ٢/ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٢.
(٣) سورة الأنفال، آية ٤١.

المهاجرون يواجهون أقاربهم في المعركة فالابن يلقى أباه والأخ يلقى أخاه، فلا تمنعهم أواصر القربى من قتلهم لأن مصلحة العقيدة فوق كل آصرة وارتباط.

وقد استحق المشاركون في هذه المعركة الوسام الرفيع، بأن أطلق عليهم كلمة (بدري) فقد كانوا يأخذون أعلى العطاءات ويحتلون الصفحات الأولى من كتب الطبقات، وقد أوضحت كتب السنة فضل البدريين وعلو مقاماتهم في جنات النعيم عند رب العالمين(١).

ومن محاولات العشماوي تشويه صورة رسول الله ﷺ في أعين قرائه تقديمه للرسول ﷺ في صورة المالك لماشية والذي لديه رعاة [فلما سرق بعض الناس ماشيته الخاصة وقتلوا راعيه الخاص انتقم منهم انتقاماً بشعاً إذ قطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم بالنار، حتى لقد نزل القرآن مخالفاً لحكمه وناهياً له عن العودة إلى مثل هذه القسوة](٢). مرة أخرى يعود يصور العشماوي رسول الله ﷺ على هذا النحو. فيقول: [في القرآن الكريم(٣)﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣٤﴾(٤)، وسبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ كان قد قطع أيدي وأرجل أشخاص قتلوا راعيه وسرقوا ماشيته ثم سمل أعينهم بالنار. فإذا الآية تنزل وكأنها تبين مخالفة حكم النبي ﷺ والنهي عن سمل العيون](٥).

---

(١) ينظر: ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، (القاهرة، د.ت) ٧/ ٣٠٤. وينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٥٥.

(٢) الشريعة الإسلامية والقانون المصري، ص٨٣.

(٣) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٢٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٣،٣٤. وينظر: الواحدي، أسباب النزول، سورة المائدة، ص ١٤٢.

(٥) الشريعة الإسلامية والقانون المصري، ص٨٣.

يقول البخاري في صحيحه: [إن أناساً من عكل[١] وعرينة[٢] قدموا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام وقالوا: يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمرهم رسول الله ﷺ بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود فبلغ النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتُركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم][٣].

إن الأصل في حكمهم هو قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾[٤] هذه الآية في قول ابن عباس رضي الله عنهما وكثير من العلماء نزلت في قطاع الطريق من المسلمين وبه يقول مالك والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي، وقال قوم إنها نزلت في العرنيين[٥] وكانوا قد ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الرعاة فاستاقوا إبل الصدقة فبعث النبي ﷺ من جاء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقاهم في الحرة حتى ماتوا[٦].

فإذا نحن رجعنا إلى كتب أسباب النزول وصحاح السنة النبوية وتفاسير القرآن الكريم اكتشفنا افتراءات العشماوي على الله ورسوله فالإبل كانت إبل الصدقة ولم يكن الراعي الخاص للرسول ﷺ كما يزعم عشماوي، وهؤلاء

---

(١) عكل: قبيلة تستحمق فيقولون لمن يستحمقونه عكلي وهم من بني عوف بن وائل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ١٤٣.

(٢) عرينة: قبيلة من العرب، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ١١٥.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ٣/ ٤٧.

(٤) سورة المائدة، آية: ٣٣-٣٤.

(٥) ينظر: ابن قدامة المقدسي، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد (ت٦٣٠هـ)، المغني، دار الكتاب العربي (بيروت د.ت)، ١٠/ ٣٠٢.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ١٤٨.

الذين عاقبهم الرسول ﷺ هذا العقاب كانوا قد ارتكبوا عدة جرائم بشعة تتمثل في أنهم:

ارتدوا عن الإسلام.

استاقوا إبل الصدقة وهي إبل المسلمين.

قتلوا الراعي النوبي، الذي اسمه يسار.

مثلوا به عندما قطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في عينيه حتى مات.

تنكروا للمعروف الذي أسداه رسول الله ﷺ لهم بعد أن شفاهم الله من أمراضهم.

فنحن أمام جريمة حرابة واعتداء وغدر وخيانة. فهي محاربة لله ورسوله أي الكفر والارتداد بعد الإسلام، وقتلوا النفس ومثلوا بها، وحاربوا الله ورسوله[(١)].

ولذلك كان حكم رسول الله ﷺ فيهم هو (القصاص) والآية نزلت لتجعل لأمثال هؤلاء حداً من حدود الإسلام هو (الحرابة) وليس القصاص فهي نزلت بتشريع جديد وليس لنهي الرسول عن القسوة كما يغمز ويلمز عشماوي. إنه يدعي أن الآية نزلت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، إن سياق الآية يدل على عدم اختصاصها بالرسول صلى الله عليه وسلم، إن علة إيقاع العقوبة في الأرض مستمرة، إن في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فيه دلالة على عموم لفظ (الذين) وعلى عدم اختصاصها بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ أنه من المعلوم أن العرنيين قد قدر عليهم، إن التقيد بهذه الآية الذي يدل على بيان ما ينبغي فعله مع ما يستقبل من حوادث مشابهة، وفي هذا دليل على العموم وهو العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا إذا ورد دليل على ذلك[(٢)].

---

(١) السيوطي، أسباب النزول، ص٧١.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ١٥٠.

المبحث الخامس

الصحيفة في نظر عشماوي

يصف المستشار عشماوي هذه الوثيقة التي وضعها الرسول ﷺ بأنها [وثيقة شبه جاهلية وليست إسلامية ولم تشر إلى القرآن وتعاليم الإسلام، ولم تبين على ما فيها من قيم وأحكام](١).

إذا كانت (الجاهلية)(٢) في قواميس العربية ومعاجم معاني القرآن هي زمن الحقبة ما قبل الإسلام، حيث يكون الشرك هو محور الاعتقاد فإن العشماوي متفوق على كل أعداء الرسول ﷺ، ليصف عمل النبي الذي أخرج الناس من شرك الجاهلية وحكمها وظنها وتبرجها وحميتها ليصف عمله بأنه جاهلي، لا أثر للقرآن ولا للإسلام ولا لتعاليمهما في حياة الرسول ﷺ.

إن الرسول ﷺ لما دخل المدينة كان المجتمع هناك يتألف من ثلاثة عناصر:

المسلمون من المهاجرين والأنصار.

اليهود من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة.

العرب الذين لم يدخلوا الإسلام بعد(٣).

قد أراد الرسول ﷺ أن يخلق جواً للتعاون والتسامح بين هذه العناصر وبخاصة مع اليهود الذين كانوا يمثلون عنصراً مهماً في المدينة، فتقرب لهم الرسول ووثق صلاته بهم، وتحدث مع رؤسائهم وربط بينه وبينهم برابطة

---

(١) العشماوي، الخلافة الإسلامية، ص١٠٤، وينظر: نص الوثيقة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ١١٩.

(٢) ينظر: الزبيدي، تاج العروس شرح القاموس مادة (جهل)، ابن منظور، لسان العرب، مادة (جهل).

(٣) ينظر: د. محمد حميد الله الحيدر آبادي، مجموعة الوثائق للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (القاهرة، ١٩٥٦م)، ص١٥.

المودة باعتبار أنهم أهل كتاب موحدون[١]، مع إن هذه الصحيفة التي بدأت باسم الله - قد تحدثت عن أمة الدين التي وحدها الإسلام من المهاجرين والأنصار. وعن علاقة أمة الإسلام باليهود وفق ما تقضي به آيات القرآن: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[٢].

نصت الوثيقة على أن المؤمنين أمة واحدة من دون الناس وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.. وإن سلم المؤمنين واحد لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.. وإن اليهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وإنه ما كان من اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله... وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره..][٣].

بل إن هذه الوثيقة الدستورية لو لم يكن فيها إلا المادة التي جعلت المرجعية إلى الله والرسول ﷺ، عند حدوث الأحداث وما يخاف فساده من الاشتجار لكفت في الدلالة على إسلاميتها فهي التجسيد الدستوري للبدء القرآني في الآية الكريمة: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٤]، أي الكتاب والسنة. فكيف تكون إسلامية الدستور إن لم تكن في النص على أن مرجعيته وحاكميته للبلاغ القرآني والبيان النبوي لهذا البلاغ، يا سيد عشماوي؟.

ولكن المستشار لا يتحرج عن اتهام عمل المصطفى ﷺ بأنه [شبه

---

(١) أحمد شلبي، موسوعة التأريخ الإسلامي، ص٢٧١.
(٢) سورة الممتحنة، ٨.
(٣) ينظر: نص الوثيقة عند ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ١١٩، وينظر: محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٤٢.
(٤) سورة النساء، آية: ٥٩.

جاهلي] لا أثر فيه لقرآن أو إسلام[١].

إن هذه الوثيقة طبعت العلاقة بين أفراد المجتمع المدني جميعهم مؤمنهم ومشركهم ويهوديهم، ومن هنا وجب على الحركة الإسلامية أن تفكر في الصيغة الدستورية التي تحكم العلاقات بين المسلمين وغيرهم وإن أساس الدولة القائمة في المدينة قائمة على أساس العدالة الاجتماعية وإن علاقاتهم قائمة فيما بينهم على أساس الحق والعدل والتعاون على البر والتقوى وعمل الخير[٢].

إن هذا الافتراء والاجتراء من السيد عشماوي على رسول الله ﷺ الذي هو غير مقبول وغير معقول وقد سبق كل السابقين واللاحقين وحتى أن اليهود أنفسهم لم يتهموا رسول الله ﷺ بهذا القول بأن عمل النبي ﷺ شبه جاهلي ولا أثر فيه لقرآن ولا لإسلام[٣].

وإن المتتبع للكاتب اليهودي الصهيوني (إسرائيل ولفنسون) في كتابه (تأريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام)، لم يشر إلى هذا الافتراء الذي افتراه العشماوي على تأريخ الإسلام، وهكذا تفوق العشماوي على (إسرائيل ولفنسون) في هذا الافتراء على رسول الله ﷺ وانفرد بما لم يسبقه إليه حتى المشركون، فهم كانوا يعيبون على النبي إخراج الناس من الجاهلية، وأما العشماوي فإنه يحكم على عمله بأنه [شبه جاهلي][٤].

اتهام العشماوي الرسول ﷺ بالجاهلية

وإمعانا من العشماوي في اتهام الرسول ﷺ (بالجري على سنة العرب في الجاهلية). بأنه يقول في كتابه (معالم الإسلام) وكتابه (الإسلام السياسي)[٥] وجريا على سنة العرب في الجاهلية حكم الرسول ﷺ الوفاء

---

(١) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٤٤.

(٢) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها في السيرة النبوية، دار الإسلام، (القاهرة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، ١/٤٠٨-٤٠٩، د. البوطي، فقه السيرة، ص٤٠٩.

(٣) الخلافة الإسلامية، ص٨١.

(٤) نقلاً عن كتاب، سقوط الغلو العلماني، محمد عمارة، ص٤٢.

(٥) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٨١.

بدينه إلى دائنه فقضى الرسول ببيع المدين في دين لم يستطع الوفاء به...»[١].

وإمعانا من العشماوي في خداع قرائه يشير إلى تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ليوهم أنه قال ذلك فإذا ما عدنا إلى تفسير القرطبي، فوجئنا بأكاذيبه التي صنع منها هذا الافتراء فالقصة لم تكن دينا ولا مدينا عجز عن الوفاء بدينه الذي ضاعفه الربا، كما يدعي عشماوي. وليس في الواقعة قضاء نبوي في (سُرَّق)[٢] في الدين الذي عليه وإنما وقائع القصة تحكي أن (سرق) هذا قد ابتاع راحلتين وهرب بهما دون أن يدفع ثمنهما، فلما أحضر إلى الرسول ﷺ ولم يدفع ما عليه قال النبي لصاحب الراحلتين: «اذهب به حتى تستوفي حقك»، فنحن إذا لسنا إزاء دين وقضاء بيع المدين في دينه، وإنما أمام بيع هرب المشتري دون أن يدفع الثمن. وأحكام قضاء بما يشبه حبس المشتري الذي أنفق ما اشتراه وباعه وأنفق ثمنه. حتى يستوفي البائع حقه.. ويؤكد ذلك ما تضيفه وقائع القصة من أن الناس «جعلوا يسومونه به ليفتدوه فأعتقه أي تركه..» وحرره من حبسه[٣].

بل إن القرطبي الذي يموه العشماوي بذكر رجوعه إلى كتابه (الجامع لأحكام القرآن) يشكك في القصة من أساسها عندما بينه على أن راوي حديثها هو ابن البيلماني عبد الرحمن بن أبي زيد[٤] وهو ليس صحابيا. والحديث مرسل. واختلف أهل الحديث في توثيقه، ورواة هذا الحديث لا يحتج بهم[٥].

---

(١) ينظر: العشماوي، الإسلام السياسي، ص٢٥٤

(٢) سُرَّق بن أسد الجهني، ويقال الأنصاري، من بني الدؤل سكن الإسكندرية من مصر، له صحبة. ينظر ترجمة (سرق): ابن الأثير، أسد الغابة، باب السين والراء، دار الشعب (القاهرة د.ت) ٣/ ٣٣٣.

(٣) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٤٣.

(٤) ابن البيلماني، عبد الرحمن بين أبي زيد، (ت ٩٠هـ) وذكره ابن حبان في الثقات وكلن من فحول الشعراء، ينظر: الذهبي، الكاشف ١/ ٦٢٣.

(٥) ينظر: القطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣/ ٣٧١.

المبحث السادس

دفاع المستشار عشماوي عن اليهود

يقول المستشار عشماوي: [إن الإسلام قد تحول في عهد النبي وتحت قيادته إلى صفة حربية](١).

[إن الإسلام تحول إلى اتجاه عسكري جدا منذ غزوة خيبر سنة ٧هـ ذلك أن أهلها لم يكونوا كمشركي أهل مكة الذين عادوا النبي والمؤمنين وأخرجوهم من ديارهم](٢) كما يقول عشماوي: [أن أهل خيبر لم يكونوا قد أساؤوا إلى النبي وإلى الإسلام بشيء](٣).

يعلن عشماوي ـ بجلاء ـ انحيازه التام لليهود وخصوصا يهود خيبر ودفاعه عنهم -بزعمه أنهم مظلومون- ضد الظلم المتمثل في غزو الرسول والمؤمنين لهم دون ذنب ارتكبوه لأن هؤلاء في نظر العشماوي لم يكونوا من المشركين.

إن اليهود وخصوصا يهود خيبر وقادتهم.

١- قد أعلنوا الحرب ضد الإسلام والمسلمين وأنهم قد حالفوا بني النضير الذين سبق أن حاربهم المسلمون. ومنهم أي من اليهود سلام بن الحقيق الذي أمر النبي ﷺ بقتله.

٢- أن هؤلاء القادة اليهود الذين دانت لهم خيبر قد سعوا إلى مشركي قريش ليؤلبوهم على حرب الرسول ﷺ والمسلمين ويعدونهم بالمؤازرة قائلين لهم «إنا سنكون معكم حتى نستأصله»(٤).

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص١٠٤.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

(٤) ينظر: تفصيل غزوته خيبر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/١٠٦، وينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٩، وينظر: المقريزي، أحمد بن علي، ت (٨٤٥هـ) إمتاع الأسماع، صححه، محمود شاكر، (القاهرة، ١٩٤١م) ص٤٥.

٣- وقال اليهود لقريش المشركين: «بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق» من هذه الخيانة اليهودية يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[١].

إلا أن اليهود لم يراعوا عهدهم ولم يفوا بوعدهم ومواثيقهم بل حاولوا مرارا الغدر بالنبي الكريم ﷺ وبكبار الصحابة ﷺ مما اضطر النبي باتخاذ القرار بإبعادهم عن المدينة المنورة.

ولكن (إسرائيل ولفنسون) الكاتب اليهودي أكثر إنصافا من عشماوي حيث يقول إن اليهود أهل توحيد «وهو أن يصرحوا أمام زعماء الشرك بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم.. وكان واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين[٢]

٤- أن قريشا إذا كانت قد حاربت المسلمين يوم الخندق لتثأر لقتلاها في بدر وأحد، فقد كان السبب في اشتراك غطفان في الحرب هو اليهود ووعدوهم بأن يعطوا ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع وحدائق خيبر إذا تم لهم النصر على المسلمين[٣].

٥- إن حيي بن أخطب الذي دانت له خيبر قد سعى على يهود بني قريظة لينقضوا عهدهم مع المسلمين وينضموا إلى حلف «اليهود والمشركين» فلم يزل بزعيم بني قريظة كعب بن الأشرف حتى نقض عهده وبرئ مما بينه وبين الرسول[٤].

٦- لقد اشترك بعض زعماء بني النضير في يوم الخندق.

٧- وبعد هزيمة الأحزاب وبني قريظة ومن شاركهم من زعماء خيبر.. وأوجسوا

---

(١) سورة النساء، الآية، ٥١.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص٢١.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤٣.

(٤) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ٣٤.

خيفة من نقمة المسلمين عليهم من جراء تحريضهم لبني قريظة وقريش وغطفان مع حيي بن أخطب على محاربة المسلمين فسعوا إلى تأليف كتلة منهم ومن يهود وادي القرى وتيماء[١] ثم يزحفون على المدينة وقد علم الرسول بما يدور في خلد يهود خيبر فتهيأ لقتالهم لكنه أجله إلى ما بعد هدنة الحديبية[٢].

وهكذا يرى «إسرائيل ولفنسون» في غزوة المسلمين لخيبر قصاصا.. ويراه محمد سعيد العشماوي ظلما من الرسول والمسلمين ليهود خيبر الذين لم يكونوا مشركين ولم يسيئوا إلى المسلمين ولا إلى الإسلام.، ولعلها المرة الأولى التي نجد فيها الإنصاف والموضوعية من كاتب يهودي والمرة الأولى التي يتفوق فيها مسلم على الصهاينة في ظلم الإسلام. وفي الافتراء على رسوله وعلى المؤمنين. ولا حول ولا قوة إلا بالله[٣]

أيقال من قبل عشماوي ومن لف لفه أنهم فتحوا ديار يهود طمعا في أرض ومال! أيتهمون بأن التعصب الديني دفعهم لطرد يهود وهم الذين دعوهم للإسلام قبل القتال وقبلوا أن يعطوهم الأمان بعد الحصار وأبقوهم في خيبر بعد الاستسلام فمكثوا فيها رغم قتلهم عبد الله بن سهل الأنصاري[٤] حيث اتهمهم بقتله المسلمون. فحلفوا أنهم لم يقتلوه، فوداه الرسول ﷺ وفي قضية قتله شرعت القسامة[٥] وأقرهم بخيبر فاستقروا فيها إلى خلافة عمر بن

---

(١) وادي القرى على طريق حج الشام. و تيماء بليدة في بادية تبوك إذا خرج الإنسان إلى خيبر إليها على منتصف طريق الشام. ينظر: المتقي الهندي، كنز العمال، ٩/ ٢٥.

(٢) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص١٥٧-١٥٨.

(٣) خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط، ط١، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة أم سامر، (بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) ص٨٢.

(٤) عبد الله بن سهل الأنصاري: ولد على عهد رسول الله ﷺ، ينظر: ترجمة ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٢٦٨.

(٥) القسامة، ما يجب على المدعي عليهم من الإيمان: فإن امتنع المدعي عليهم من اليمين.. يحبسوا ليحلفوا وفي رواية أنهم يحبسون حتى يحلفوا ولا يجب القصاص بالنكول بل تجب الدية على المدعى عليهم، ينظر: ابن قدامة المقدسي، المغني، ٨/ ٨٨.

الخطاب رضي الله عنه ثم أجلاهم عنها ضمن خطة عامة، وقد حافظ الخلفاء الراشدون والتزم بها جميع الخلفاء من بعدهم حيث ما زال ممنوعا على غير المسلمين السكن في الديار المقدسة[١].

وفي معرض دفاع العشماوي عن اليهود أن قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ليس بمعنى السلطة السياسية. وإنما الحكم بمعنى «القضاء والفصل بين الخصومات فقط تبعا لسبب نزولها» يقول المستشار العشماوي: [هذه الآية نزلت في يهود المدينة عندما طلبوا من النبي ﷺ أن يقضي في واقعة زنى اقترفها يهوديان ثم أخفوا عنه حكم الزنى[٢] في التوراة وهو الرجم لذلك فقد روي ابن عباس عن النبي ﷺ وعند جمهور المفسرين العمد الثقات أن الآية خاصة بأهل الكتاب فقط وأنها تقضي إن من لم يقض منهم في الخصومات بما جاء في التوراة فهو كافر][٣].

ولا يقتصر العشماوي على هذا فحسب بل يتعداه إلى نفي صفة الكفر عن اليهود أيضا عندما يفسر لفظ الكفر بإنكار الحكم الذي قضى به ولا دليل له على ذلك[٤].

---

(١) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ١/ ٣٣٢، وموفق بن المرجة، صحوة الرجل المريض، ص١٨٤.

(٢) ينظر: العشماوي، معالم الإسلام، ص١٦٥.

(٣) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ٦/ ١٩٠.

(٤) الغزالي، المستصفى، ١/ ٣٩٨.

الفصل الخامس

الحكومة الإسلامية في نظر العشماوي

المبحث الأول

حكومة الله في نظر العشماوي

حاول العشماوي لنفي صلة الدين بالدولة أن يقطع صلة السياسة بالإسلام فهو يحاول ذلك أيضا مع الحكومة بمعنى السلطة والدولة ويسعى إلى نفي إسلامية الحكومة. وعندما أراد علي عبد الرازق أن يقول أن الإسلام دين لا دولة مبتدعا الرأي الذي زعم أن رسول الله ﷺ لم يقم دولة ولا ملكا ولا حكومة في المدينة بعد هجرته إليها[1]. ويزعم أن علماء المسلمين لم يذكروا لنا علوما سياسية لأنهم لم يهتموا بها والسبب كما يدعي كذبا وظلما[2] [إن الإسلام دين لا دولة وإن الخلافة لا تقوم إلا على القبلية والاستبداد والقوة وسفك الدماء][3] وكأنه يتهم هؤلاء الأعلام بالجبن والخوف والمداهنة والنفاق والخداع[4].

ويبدو أن المستشار عشماوي أراد أن يجرب بدعة أخرى لم يسبق إليها متوهما أنها ربما كانت أحسن حظا من بدعة صاحب كتاب (الإسلام وأصول

---

(١) ينظر: الإسلام وأصول الحكم، ص٤٨ (القاهرة، ١٩٢٥م).

(٢) الإسلام وأصول الحكم ص١٢٧. وينظر: كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) للشيخ محمد خضر حسين ص٤٢-٤٤، لنجد كيف ساق العديد من أسماء الكتب التي ألفها العرب والمسلمون في السياسة وفنونها والحكم وأصوله وعدد منها ستة وعشرين كتابا، مثل السياسة الشرعية ابن تيمية، وغيرها.

(٣) علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، ص١٢٩-١٣٣.

(٤) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص١٥٤.

الحكم). فسلم للقارئ بأن رسول الله ﷺ أقام دولة بالمدينة حكومة وحكما لكنه قال أنها حكومة الله. خاصة بالنبي ومثلها في هذا الاختصاص كمثل النبوة والرسالة، تنتهي وتطوى صفحتها بوفاة الرسول ﷺ فحكومة الله لا امتداد لها بعد أن لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى[١].

يعرض العشماوي، هذه البدعة التي تمثل واحدة من أكثر بدعه الفكرية تمويها على عامة القراء ويقدم لها العديد من الصياغات في العديد من الكتب والصفحات الأمر الذي يستوجب عرض نصوص منها.

يقول العشماوي في كتابه أصول الشريعة الإسلامية[٢]، وكتابه حصاد العقل[٣]، والخلافة الإسلامية[٤]، يوجز العشماوي خصائص حكومة النبي في أربعة أشياء:

[١- إن حكومة الله اختيار إلهي للحاكم وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- إن هذه الحكومة تقوم على التحكيم الذي يقبله الأطراف ويرضون بقسمته، ولا تقوم على الحكم الذي يفرض بالقهر والسلطان، فهي حكومة تحكيم وليست حكومة حكم.

٣- إن الشورى في هذه الحكومة عمل يستأنس به النبي ﷺ وليست إلزاما له.

٤- إن حقوق الحاكم فيها هو النبي مقصورة عليه لا تنتقل إلى غيره ولا يرثها أحد.][٥].

تلك خصائص حكومة الله التي وجدت في عهد رسول الله ﷺ كما يدعي عشماوي في كثير من كتبه.

ونقف مع عشماوي لتفنيد ما جاء به من أفكار حول هذا الموضوع.

---

(١) ينظر: سقوط الغلو العلماني، ص١٦٩.
(٢) ينظر: ص١٣٩-١٤١.
(٣) ينظر: ص٤٧.
(٤) ينظر: ص٨٥.
(٥) ينظر: العشماوي، أصول الشريعة، ص١٣٩-١٤١.

يضع عشماوي حكومة الله في مقابل حكومة الناس؛ ليجعل الحاكمية في الأولى لله وحده والحاكمية في الثانية للناس وحدهم وصولا إلى أن حاكمية الله قد انتهت صفحاتها ووقف سلطانها بعد وفاة النبي ﷺ.

وهذا ليس المنطق الإسلامي في كل شؤون العمران الإنساني لأن نظرية الاستخلاف الإلهي للإنسان[١]. تجعل الإنسان هو المستخلف في إقامة حاكمية الله فحكم الله يقيمه الإنسان. ودين الله يقيمه الإنسان. وهو في إقامته بها مجتهد يخطئ ويصيب. وإطار اجتهاده الوحي الإلهي والبيان النبوي لهذا الوحي. هكذا دائما وأبدا[٢].

والعشماوي. يسوي بين كون النبي حاكما وبين كونه نبيا ورسولا مصطفى من الله ويجعلها كلها اصطفاء إلهيا. لينتهي عهدهما معا ويطوي صفحتهما جميعا بوفاة النبي ﷺ[٣].

وليس هذا صحيحا من حضرة العشماوي، فالله سبحانه وتعالى قد اصطفى محمدا ﷺ نبيا ورسولا. ولذلك كانت عصمته في التبليغ عن الله تعالى ورسالته إلى الناس[٤].

أما محمد ﷺ الحاكم في دولة الإسلام الأولى بالمدينة فهو مختار من الناس، وفق تعاقد كما هو في بيعة العقبة عقده الذين أسسوا عليه الدولة التي بايعوا عليها رسول الله، عندما شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله[٥]. وبايعوه على تأسيسها بيعة جديدة غير بيعة الإيمان والإسلام. حيث كان الوحي يرعى تصرف الرسول ﷺ في الحكم فيصوبه إذا جاء مصيبا وينهاه إذا كان على خلاف الأولى[٦]. وكان الاصطفاء الإلهي في النبوة للنبي وحده

---

(١) د.محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٧١.

(٢) ينظر: د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ١/ ٢٣٠ وما بعدها.

(٣) د. منير حميد البياتي، الدولة القانونية، ص١٧٠. محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، نقله إلى العربية، الأستاذ منصور محمد ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، ص٣٥.

(٤) ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان. فقه السيرة، ص٢٣٣.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٦.

(٦) ينظر: البوطي، فقه السيرة، ص٢٢٣.

ليس يتصف بها أحد سواه. فيها كانت الدولة والحكومة فيها مع النبي القائد الإمام. عمال وولاة وأجراء وجباة[١] وقضاة، اختارتهم الأمة بالشورى التي شارك فيها الرسول ﷺ. وكان الصحابة رضوان الله عليهم، على بينة من تمايز نقطتين في التوجيه والقرار نقطة الرسالة والوحي. وفيها السمع والطاعة، والنقطة الثانية الاجتهاد والحكم ويدخل فيها الرأي والمشاركة والشورى ولذلك كان السؤال الذي يسألونه رسول الله ﷺ في كثير من المواقف والمواطن يا رسول الله أهو الوحي؟ أم الرأي والمشورة[٢].

وجدنا أنه ﷺ يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى مما لا علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية ومن أجل هذا أجمع المسلمون أن الشورى في كل ما لم يثبت فيه نص ملزم فيه من كتاب الله أو سنة أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله[٣]. ولو أن العشماوي طالب علم وباحث حقيقي في المعرفة لبحث عن علم علمائنا الذين ميزوا بين ممارسات النبي واختصاصاته وبين تصرفاته بحكم الإفتاء أو بحكم الرسالة أو بحكم القضاء أو بحكم الإمامة وسياسة الدولة والحكومة[٤].

لأن مصطلح حكومة الله تعبير غريب عن فكرنا الإسلامي لأنه لا يرد إلا حيث يكون هناك ادعاء عصمة وقداسة الحاكم الذي يزعم تجسيده في الأرض لحكم الله وليس في الإسلام من يقبل هذا الادعاء. كذلك فإن حاكمية الله في الشريعة إنما يحكم بها ويقضي بها ويسوس بها الناس المستخلفون لله في إقامة هذه الحاكمية بمختلف ميادين العمران بابتداع مصطلح (حكومة الله) لمقابلته بمصطلح حكومة الناس للفصل بين مضامينها. ونسخ حاكمية الله

---

(١) ابن هشام، السيرة، ١/ ٤٤٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢٧٢.

(٣) ينظر: قحطان عبد الرحمن الدوري، الشورى بين النظرية والتطبيق، (بغداد، ١٣٩٤هـ-١٩٧٢م)، ١٤٥ وما بعدها، وينظر: البوطي، فقه السيرة، ص٢٣٣.

(٤) ينظر: القرافي أحمد بن إدريس، (ت٦٨٤)، الأحكام في تمييز الفتاوى وتصرفات القاضي والإمام، تحقيق الشيخ أبو غدة، (حلب، ١٩٦٧) ص٨٦، وينظر: ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، (القاهرة، ١٣٥٢هـ) ١/ ١٤٨.

بانقضاء حكومته بعد وفاة رسول الله ﷺ[١] وهذا شاذ في الفكر ومكر سيئ لا يجوز.

المبحث الثاني

حكومة النبي ﷺ في نظر المستشار عشماوي

يتوسل العشماوي إلى نفي وجود حكومة إسلامية في الأصول الإسلامية وذلك عندما يقول: [إن كلمة حكم في كل آيات القرآن لا تقصد السلطة السياسية وما يصدر عنها وإنما تعني القضاء في الخصومات بين الناس كما قد تعني الرشد والحكمة بينما كان يعبر عن سياسة أمور الناس بلفظ الأمر][٢].

كما حدث من النبي ﷺ [طول حياته أنه كان يباشر ما يتصل بالدين ذاته من حيث الدفاع عنه والحفاظ على المؤمنين ورفعة شأن الإسلام فذلك صميم رسالة النبي ﷺ، ولم يقصد إلى سيادة ولم يهدف إلى سلطان ولم يدن من ملك ... وكانت حكومة النبي مع هذا كله حكومة احتكام، شأن حكومات الجاهلية وليست حكومة حكم][٣].

لقد سبق العشماوي إلى هذا القول -وهو نفي الحكومة أو الحكم عن عمل النبي ﷺ - علي عبد الرازق الذي ألف كتابا هو الإسلام وأصول الحكم[٤].

وقال فيه: [إن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغا شرعيا مجردا عن الحكم والتفسير وعدت السلطة السياسية في مصر في ذلك الوقت أن الكتاب موجه ضدها وفي وقتها ألغيت الخلافة من قبل (أتاتورك) وإن إلغاء الخلافة أثار حماس المسلمين في العالم وفي مصر بالذات. وإصدار مثل هذا الكتاب في هذا الوقت الذي يتهجم به على الخلافة الإسلامية أثار ضجة في مصر وفي

(١) ينظر: د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ص١٣٩.

(٢) الخلافة الإسلامية، ص٨٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٥.

(٤) هذا الكتاب طبع ونشر في عام ١٩٢٥م أي بعد إلغاء الخلافة بسنة واحدة.

العالم الإسلامي[١] مما دفع هيئة كبار العلماء في مصر أن يصدروا حكما على المعني ومحاكمته[٢].

إن الإسلام ليس دينا أخرويا يربط الإنسان بربه فحسب بل هو دين دنيا في آن واحد فكما ربط الإنسان بخالقه بالعبادات ربطه بأخيه الإنسان بالمعاملات وسلكه في نظم وقوانين معينة وجعل من الفرد المسلم إنسانا اجتماعيا تنظمه علاقات محددة ومرسومة تقوم على أساس المحبة والتعاون والترابط تسمو بالحب والتسامح حتى تبلغ ذروة الإنسانية المثالية[٣]. حيث يقول الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٤].

لماذا يستغرب العشماوي وغيره من الكتاب من أمثاله أن يكون رسول الله ﷺ [رسولاً ومؤسس دولة في آن واحد] أيكون أقل من موسى وداود وسليمان (عليهم السلام)؟. إن عمل الرسول للدولة لا يخرجه عن حدود رسالته. إن الإسلام أقام شؤون الدنيا كلها على أساس من الدين واتخذ من الدين سندا للدولة ووسيلة لضبط شؤون الحكم وتوجيه الحكام والمحكومين[٥].

يقول العشماوي، ومثيله علي عبد الرازق -إن ولاية النبي ﷺ على قومه لم تكن إلا ولاية روحية فقط[٦] وهذه الدعوى خطرة جدا تمهد للفكرة التي تحاول أن تندس بين صفوف المسلمين وتدعو للتفرقة بين الدين والدولة، والحكم والنظام والسياسة ولو أمعن هؤلاء النظر في الآيات القرآنية لوجدوا أن كثيرا من الآيات القرآنية تدعوا إلى طاعة الله ورسوله فيقول الله تعالى:

---

(١) ينظر: الإسلام وأصول الحكم، دراسة ووثائق، محمد عمارة، ص١٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: موقف العقل والعلم والعالم، ص٣٦٦-٣٦٧-٣٧٣.

(٣) ينظر: علي عبد الرازق الإسلام وأصول الحكم، نقد وتعليق، د. ممدوح حقي، منشورات، دار الحياة، بيروت، د.ت، ص٢٥.

(٤) سورة آل عمران، من الآية، (١٣٤).

(٥) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٦٢.

(٦) علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، مرجع سابق، ص٦٢.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ۝٨٠﴾[١]. وطاعة الرسول تقتضي التقيد بأوامره والامتناع عن نواهيه. ونحن نؤمن بأن الرسول ﷺ لم يكن إنسانا عاديا ولا زعيما كسائر الزعماء الدنيويين بل كان نبيا ورسولا لهداية قومه أولا، ثم لهداية البشر أجمعين[٢]. ثم جاء ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه إن القرآن الكريم قد فرض على أولي الأمر أداء الأمانات لأهلها والحكم بين الناس بالعدل ولقاء ذلك فرض على الناس طاعة أولي الأمر كما أوجب على الأمة والدولة بسلطاتها كلها الاحتكام إلى المرجعية الإسلامية، الكتاب والسنة في كل المنازعات[٣]، الأمر الذي يعني إسلامية المرجعية لسائر سلطات الدولة، هذا هو لب مفهوم إسلامية الدولة، حيث يقول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾[٥].

ثم إذا وجب الاحتكام القضائي إلى قانون وشريعة إلهية منزلة من عند الله تعالى. أي إذا كان الوحي الإلهي شرعاً وقانوناً ملزمين دينيا. فما هي الحكومة المؤهلة لتطبيق هذا الشرع الإسلامي الواجب التطبيق وجوبا دينيا؟، وهل يلتزم الشرع الإسلامي والقانون الإسلامي إلا بالقضاء الإسلامي[٦]؟ وهل يقيم ذلك إلا حكومة إسلامية مؤمنة بإسلامية الشرع والقانون والقضاء بالوجوب الديني لإقامته[٧].

وهل تقنن الشريعة الإسلامية تيسيرا للقضاء بها إلا سلطة تشريعية

---

(١) سورة النساء، آية، ٨٠.

(٢) ينظر: علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، ص١٥٨.

(٣) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٥٧.

(٤) النساء، آية، ٥٨. ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم (بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ١/ ٢٨٥.

(٥) النساء، آية، ٥٩، ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم (بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ١/ ٢٨٥.

(٦) ينظر: د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٥٦.

(٧) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٦١.

إسلامية؟ وهل تقيم السلطة التشريعية إلا دولة إسلامية وحكومة إسلامية؟[١]. ويبدو شمول التشريع الإسلامي هو النفاذ إلى أعماق المشكلات الاجتماعية المختلفة. فقد أقام النبي ﷺ أول دولة قانونية قائمة على مقومات الدولة القانونية بمعيار العصر الحديث من وجود دستور وتدرج في قواعده القانونية وخضوع الإدارة للقانون والاعتراف بالحقوق والحريات الفردية ومتضمنة في طياتها وتنظيماتها كافة المقومات التي من شأنها إخضاع الدولة للقانون من فصل بين السلطات وتنظيم رقابة قضائية. وتقرير لمبدأ اختيار الحاكم، ومراقبته وعزله. وبذلك يكون الإسلام قد جاء بدولة فريدة في التاريخ غير معروفة من قبل على الإطلاق[٢].

وليس ثمة شك أن النبي ﷺ أقام دولة في المدينة وباشر فيها اختصاصات لا يباشرها اليوم إلا الرئيس الأعلى للدولة، من ذلك إعلان الحرب وعقد الصلح وإبرام المعاهدات[٣]، والجهاد والحكم التنفيذي والقضائي. وتعيين الولاة والعمال وأمراء السرايا والجهاد[٤].

ومما يفند رأي العشماوي ويرد كيده قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[٥].

---

(١) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٤٦.

(٢) د. منير البياتي، الدولة القانونية، (بغداد: ١٩٩٩هـ-١٩٧٩م) ص٥٥.

(٣) د. ثروت بدوي، النظم السياسية، ص١٥٣.

(٤) ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٨.

(٥) سورة المائدة، آية. ٤٨-٥٠.

إذا وجب القضاء بما أنزل الله وكان لله بنص القرآن (الخلق) و(الأمر) أي السياسة والتدبير ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾[١]، فكيف يقول العشماوي: [أن السياسة لا تكون من الدين أبدا] مع اعترافه بأن السياسة يعبر عنها القرآن بلفظ الخلق والأمر بنص القرآن، أي السياسة والتدبير، فهو معناها في كتاب الله فهي من الدين.

إن الحكومة الإسلامية هي المؤسسة على الإسلام، وعلى العدل الإسلامي لا أي عدل فالعدل مضمون ليبرالي وآخر شيوعي وثالث إسلامي، وتمايز الحكومات تبعا لتمايز مرجعيها التي تمايز بين مضامين العدل عند كل منها وكذلك الأساس الأخلاقي للحكومة هو مصدر تمايز الحكومات[٢]. وليس سببا في تمييع الحدود بينها فمن الحكومات ما ترى في الأخلاق أعرافا بشرية نسبية متطورة. ومنها ما تراها ثوابت دينية. ولا شك أن لليهودية أخلاقا غلب عليها (الواقع المادي)[٣] وللنصرانية أخلاقا غلب عليها[٤] الوسطية بين الواقع والمثال[٥].

وكذلك الحال مع الإيمان الذي تتأسس عليه الحكومات إيمان بماذا؟ بالوضعية المادية؟ أم بالدين؟ وبأي دين؟ بدين يرى الله مجرد خالق مبدع (ما لقيصر لقيصر)[٦] أم بدين يرى قيصر وماله والوطن وأهله لله. حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾[٧].

فنحن بهذا أمام تمايز المرجعيات والفلسفات والعقائد والأنساق الفكرية التي تنطلق منها وتتأسس عليها الحكومات في الإسلام في هذا الميدان. مرجعية

---

(١) سورة الأعراف، ٥٤.
(٢) ينظر: زاهد عزب الزعبي، الإسلام ضرورة عالمية، مصر١٩٧١ م) ص٢١٦.
(٣) ينظر: إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٩٢.
(٤) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٥٣.
(٥) د. مصطفى السباعي، الدين والدولة في الإسلام، دمشق ١٩٥٢، ص٢٥.
(٦) هذه العبارة، إنجيل متى آية ٢١ من الأصحاح الثاني والعشرين.
(٧) سورة الأنعام، آية، ١٦٢.

لتميزها الحكومة الإسلامية عن غيرها من الحكومات[١]. ولذلك جاءت مخاطبة للإنسان كله بعقله وروحه. مخاطبة الذات الإنسانية بكل مفهومها وخصائصها ولا يقصر مخاطبته على ناحية معينة ولو أن المستشار عشماوي كان طالب علم حسنت مقاصده ونواياه، أو باحثا عن الحق بإخلاص لوجد عند ابن خلدون النظرية الأدق في هذا الميدان والسلطات الحكومية[٢].

مميزات حكومة النبي ﷺ

إن الحكومة التي ﷺ أسسها النبي محمد ﷺ تحمل جميع مقومات الدولة الفنية حيث كان له من يساعده ويستشيره ويقوم بمقام الوزير، وهما كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وكان صاحب السر حذيفة بن اليمان[٣]، والآذن أو الحاجب الذي ينظم الدخول على رسول الله ﷺ وكان يقوم بهذه المهمة كل من أنس بن مالك[٤]، ورباح بن أبي مسروح[٥]، وأما المعلم فإن عبادة بن الصامت[٦] يعلم القرآن، وعبد الله بن سعيد بن العاص[٧] يعلم الكتابة[٨].

---

(١) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٥٨.

(٢) ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص١٥٠-١٥١.

(٣) حذيفة بن اليمان: يكنى أبا عبد الله واسم اليمان حسيل بن جابر وكان من كبار الصحابة (ت، ٢٦) ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (٤٦٣هـ) الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش الإصابة.

(٤) أنس بن مالك: بن النضر بن ضمضم الأنصاري خادم الرسول ﷺ يكنى أبا حمزة (ت٩٣هـ) على الأرجح، ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٧١، وابن حجر، الإصابة، ٢/ ٧٠.

(٥) رباح بن أبي مسروح: مولى رسول الله ﷺ وكان حاجبا لرسول الله ﷺ بإذن رسول الله ﷺ، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٢٣٢. الإصابة ١/ ٥٢.

(٦) عبادة بن الصامت بن جيش الأنصاري وكان من النقباء (ت ٣٤هـ) ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٤٥٠.

(٧) عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية استشهد بمؤتة وقيل باليمامة، ينظر: ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٣١٩.

(٨) علي بن محمد الخزاعي (ت ٧٨٩هـ)، تخريج الدلالات السمعية، شرح عبد الحي الكتاني، الذي سماه التراتيب الإدارية والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية، طبعة (الرباط ١٣٤٦هـ) وصور في بيروت، ١/ ٣٤٠، وينظر: إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٧٨.

ومما يدل على اهتمام النبي ﷺ بالعلم وبالقراءة والكتابة نجد أن النبي ﷺ بعد غزوة بدر فتح أول مدرسة للتعليم حيث جعل فداء كل أسير أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ونجده ﷺ يعين الولاة في حال غيبته ﷺ عن المدينة وفي الأمصار حيث سأل أبو ذر رضي الله عنه أن يوليه الإمارة:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[١] وقوله عليه الصلاة والسلام يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها. وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها.»[٢].

ونجد أن النبي ﷺ ينظم علاقات الدولة في الخارج حيث كان أول عمل عمله بعد فراغه من إرساء دعائم الدولة الإسلامية إرسال الرسل إلى الملوك والأباطرة والقياصرة الذين عاصروه من أجل نشر دعوة الإسلام[٣].

وأما في مجال النظام الداخلي والعلاقات الاجتماعية ترى مجموعة الوثائق السياسية على عهد النبوة والمعاهدات مع اليهود وصلح الحديبية مع قريش[٤].

وأما في الشؤون العسكرية والغزوات والشؤون الداخلية كان الرسول ﷺ يديرها على ضوء المبادئ التي جاء بها والتي تهدف إلى تحقيق إنسانية الإنسان عن طريق إحقاق الحق وإبطال الباطل دون نظر لصلة قربى أو هوى أو مصلحة، أو غير ذلك من مقاييس الناس التي تفرق بين بني البشر. ومن

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، رقم الحديث (١٨٢٥)، ١٢/٤٥١.

(٢) صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، في كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة، ٦/٢٦١٣. ومسلم الأمارة. ١١/١٢٦.

(٣) أبو عيد عارف خليل، العلاقات الخارجية في دولة الخلافة. ص٣٠٧.

(٤) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ص٨٠-٨١.

ذلك قول الرسول ﷺ «ما هذا يا صاحب الطعام؟ من غشنا فليس منا»[١]. «لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها»[٢]. وكان عليه الصلاة والسلام يقيد من نفسه ويكثر استشارة الصحابة فيما ليس فيه وحي، ولا يرى غضاضة في النزول على رأي بعضهم[٣]. فهل يمكن بعد هذا لعاقل أن يقول: [إن السياسة ونظام الحكم في الإسلام ليست من أصول الدين والشريعة بما يعني أنها من أعمال الناس التي قد يخطئون فيها ويصيبون][٤].

ألا قاتل الله الهوى والعمالة لأعداء الله لأنه يعمي عن رؤية الحقيقة الجلية الواضحة التي لا سبيل لإنكارها من أن رسول الله ﷺ كان إماما في المحراب وقاضيا يحكم بين الناس بشرع الله تعالى، وحاكما يدير شؤون دولتهم، وهذه مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم التقى فيها الدين بالسياسة؛ لأن الدعوة التي جاء بها لم تكن دعوة توحيد فحسب، ولكنها كانت نظاما سياسيا كاملا. إن الرسول صلى الله عليه وسلم نظم حكومته التي حققت العدل والمساواة بين الجميع على أحسن ما يكون النظام في الشؤون الداخلية والخارجية[٥].

المبحث الثالث

حكومة التحكيم.. لا الحكم

يقول المستشار عشماوي: [(إن حكومة النبي كانت حكومة تحكيم لا حكومة حكم) شأن حكومات الجاهلية وليست حكومة حكم بمعنى أنه لم يكن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث: (١٦٤). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ١/ ٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، ٦/ ٢٤٩١. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الحدود، ٣/ ١٣١٥، أبو يوسف كتاب الخراج، ص١١٦.

(٣) ما فعله عندما أشار إليه الحباب بن منذر في معركة بدر، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٢٧٢.

(٤) العشماوي، جوهر الإسلام، ص١٥٧-١٥٨.

(٥) الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢/ ٣٥.

يلزم الناس الالتجاء إليه للفصل بين الخصومات][1].

بمعنى أن النبي ﷺ لم يكن ليحكم في القضايا إلا إذا رفعت إليه في الخصوم محتكمين إليه على أن يرفضوا حكمه في ذلك أو ينفذوا طواعية واختيارا، وهذا عكس حكومة الحكم. فحكومة الحكم تفرض القانون على رعاياها كما تلتزم الالتجاء إلى سلطاتها ومحاكمها ثم تنفذ الحكم بالجبر والقوة إن اقتضى الأمر ذلك.

والشواهد الواقعية تخالف رأي العشماوي حيث. يروى في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد. قال يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما هلك بنو إسرائيل إنهم إن سرق فيهم الشريف تركوه وإن سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[2].

(وكان صفوان بن أمية نائما على رداء له في مسجد رسول الله ﷺ فجاء لص فسرقه فأخذه فأتى به النبي ﷺ فأمر بقطع يده فقال يا رسول الله أعلى ردائي تقطع يده؟ أنا أهبه له فقال. فهلا قبل أن تأتي به ثم قطع يده)، رواه أهل السنن[3].

ويصل العشماوي في إساءة الأدب مع الله ورسوله حيث يجعل حكومة الله التي كان الوحي هو الذي يسوس أمر المؤمنين، يصل به سوء الأدب أن يشبهها بحكومات الجاهلية فيقول: [حكومة النبي حكومة احتكام شأن حكومات الجاهلية وليست حكومة حكم][4].

---

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص٨٥، الشريعة الإسلامية والقانون المصري، ص٥٥.

(٢) رواه البخاري، ينظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ٤/ ١٧٣، وينظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص٦٥.

(٣) ينظر: أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ٤/١٢٦، وينظر: الموطأ، ٢/ ٤٩، وينظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٦.

(٤) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص٨٥، الإسلام السياسي، ص٧.

نتساءل مع عشماوي، هل الحكومة والدولة والسلطة التي تولي العمال على الوظائف والأقاليم، وتحرر لهم كتب التولية والمهام التي إن هم نهضوا بها استمرت ولايتهم وإن هم لم يوفوا بها عزلوا. أهذه حكومة تحكيم أم حكومة حكم ملزم؟(١).

إن مما بقي لنا من وثائق دولة النبوة أكثر من مائة وثمانين كتابا وعهدا ومعاهدة، كتبها رسول الله ﷺ إلى الولاة في أقاليم الدولة في هذه المكاتبات تحديداً لحدود الولاية. والمياه والزراعة والأرض والقوانين المنظمة للمعاملات الدنيوية إجمالا حينا تفصيلا دقيقا في كثير من الأحايين وقواعد العلاقة بين الوالي وقومه وبين الآخرين. مشركين كانوا أم من غيرهم(٢).وذلك فضلا عن قواعد وأحكام العلاقة مع عاصمة الدولة. ورسلها وأمرائها وفي كثير من هذه الوثائق تعدد المبادئ والقوانين تقرأ العبارة التي تنص على أن هذا هو عهد الله وميثاقه، لا يبدلونه قولا، ولا يريدونه فرقة... حكم لا تبديل له(٣)... فهل هذا تحكيم واختيار يا عشماوي؟ وفي بعض هذه الوثائق: [فمن وجد بفعل من ذلك شيئا فإنه يجلد وتنزع ثيابه وإن تعدى فيؤخذ فيبلغ به محمدا النبي](٤).

فهل هذه قواعد تحكيم اختياري يا عشماوي؟!. أم قوانين تنص على الإلزام في الأحكام لجميع الأنام في تلك الأيام المشمولين بذلك النظام وأخذ المخالفين وسوقهم إلى حكومة المركز عند القضاء والاحتكام.

ودولة حكومة التحكيم الاختياري التي يتحدث عنها عشماوي مقتضاها هذا تصوير العشماوي أن يكون قضاؤها أو تحكيمها متركزا في الرسول لأنها لا توجد إلا حينما يوجد نبي(٥)،بينما واقع حكومة النبي يستنكر وينكر هذا

---

(١) ينظر: د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٧٥.

(٢) ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٨.

(٣) ينظر: أبو عبيد كتاب الأموال، ص٢٦-٢٧.

(٤) ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص٢٨٢، وينظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٦٦.

(٥) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص٨٥.

الوهم العشماوي فالقضاء في هذه الدولة كان إذا لم يوجد النص يقوم على الاجتهاد. اجتهاد النبي ذاته الذي قال: «إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن من بعض فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من نار»(١).

وقضاء معاذ بن جبل(٢). الذي سأله النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن فقال له «كيف تقضي؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم يكن بكتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله. قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي، فقال رسول الله ﷺ «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله»(٣) وغيرهم من الولاة والقضاة.

وهناك فرائض وقوانين وزكوات والصدقات وكذلك العشور والجزية أقام على جبايتها بعد تقرير النصاب فيها العاملون عليها. هل كانت أحكامها ملزمة أم تحكيما اختياريا. أننا يا عشماوي أمام سلطة ودولة وحكومة تسوس الرعية بالاجتهاد، الاجتهاد في تطبيق النص إن وجد. والاجتهاد في القياس عليه إن لم يوجد.

وأما ما يقوله عشماوي إنها كانت حكومة تحكيم كحكومات الجاهلية فهو محض وهم وافتراء(٤).

والله سبحانه وتعالى أرسل الرسول ﷺ ليطاع ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٥). وطاعته هي طاعة الله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾(٦). ولم يرسله ليطيعه من أراد ويعرض عن

---

(١) رواه البخاري، ينظر: البخاري الذي بهامش فتح الباري، كتاب الطب، ١٢/٢٩١.

(٢) معاذ بن جبل: معاذ بن جبل بن عمر بن أوس الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في العلم بالحلال والحرام (ت١٧هـ) بالطاعون في الشام، ينظر: ابن حجر، الإصابة، ٣/٤٢٦.

(٣) أبو داود، السنن، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم الحديث (٣٥٩٢)، ٢/٣٠٢. رواه الترمذي في السنن، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، رقم (١٣٤٢).

(٤) محمد عبد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص١٥.

(٥) سورة النساء، من الآية، ٦٤.

(٦) سورة النساء، آية، ٨٠.

طاعته من أراد وخاصة بعد اختيار الإيمان والتزام عقده وتبعاته. ونفي الإكراه والسيطرة والجبر الذي وردت فيه آيات القرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[١] ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾[٢] ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾[٣]. كله وارد في الاعتقاد الديني. أما بعد الالتزام بالعقيدة والشريعة فإن الأحكام فيها مورد التكليف وليس مورد التحكيم الاختياري! والخيار الحقيقي الوارد في القرآن بصدد شؤون الحكم هو بين الالتزام بحكم الرسول ﷺ وبين الرجوع عنه إلى حكم الجاهلية ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾[٤].

زعم العشماوي بأن حكومة النبي حكومة تحكيم يلجأ إليها الناس مختارين وينفذون أحكامها راضين طائعين وليست حكومة حكم تفرض على المواطنين باسم القانون أن يلجؤوا إلى سلطاتها وأن يخضعوا لأوامرها وأن يصدعوا لتنفيذ أوامرها.

كيف يرى العشماوي في الآية الكريمة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[٥]. كيف يرى منها تحكيما اختياريا ملزما؟ وهي التي علقت الإيمان بالدين وهو تعاقد بايع عليه المؤمنون على الالتزام بالأحكام والشواهد في أقضية الرسول ﷺ وفي سياسته للدولة على أن المدعى عليهم كانوا يؤخذون، ويستدعون، وأن الأحكام كانت تنفذ على من صدرت عليهم، كما هي مدونة في كتب الحديث وكتب الفقه أكثر من أن تحصى في هذا المقام.

من هذه الشواهد القضائية، عن أنس رضي الله عنه قال: [خرجت جارية وعليها أوضاع[٦] بالمدينة، فرماها يهودي بحجر قال: فجيء بها إلى النبي ﷺ وبها رمق فقال لها رسول الله ﷺ: «فلان قتلك؟» فرفعت رأسها. فأعاد عليها قال:

---

(١) سورة البقرة، آية، ٢٥٦.
(٢) سورة الغاشية، آية، ٢٢.
(٣) سورة ق، آية، ٤٥.
(٤) سورة المائدة، آية، ٥٠.
(٥) سورة النساء، آية، ٦٥.
(٦) مفردها وضع، الحلي في رقبة المرأة والجمع أوضاع، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، مادة وضع، ٢١/ ٣٤٤.

«فلان قتلك؟» فرفعت رأسها قال لها في الثالثة: «فلان قتلك؟» فخفضت رأسها فدعا به رسول الله ﷺ، فقتله بين حجرين][1].

فالمجني عليه جيء به، والجاني دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم، والحكم نفذته السلطة والحكومة ولم يترك الأمر للتحكيم الاختياري.

ومن هذه الأمثلة القضائية عن سماك بن حرب أن علقمة بن وائل حدثه قال: «إنه لقاعد مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل يقود آخر بنسعه (أي سير مضفور) فقال: «يا رسول الله، هذا قتل أخي»[2]، فهنا متهم مقبوض عليه مقيد يقاد إلى الحكومة دونما تخيير.

وإن صفوان بن أمية «نام في المسجد وتوسد رداءه، فجاء سارق فأخذ رداءه، فأخذ صفوان السارق فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر به الرسول أن تقطع يده»[3]، فالمدعى عليه قد اقتيد إلى المحاكمة ونفذ فيه الحد دون تحكيم أو اختيار.

تلك هي حقيقة ما ادعاه العشماوي على النبي صلى الله عليه وسلم من أنها كانت مثل حكومات الجاهلية تقوم على التحكيم الذي يقبله الأطراف ويرتضون نتيجته، ولا تقوم على الحكم الذي يفرض بالقهر والسلطان.

إن ما جاء به الإسلام من أحكام إنما هو يفرض على الأمة من قبل الله تعالى غير ما يريد عشماوي أن يجعل الأحكام اختيارية ولكن الأحكام جاءت بمصالح الحياة وإعمار الأرض، هل صحيح أن الله ورسله لا يعبأ أن بالناس وإن الدين منفصل تماما عن الدنيا[4]. انظر ما يقوله ابن خلدون رحمه الله وقارن مع ما قاله هؤلاء لتعرف الدجل والمكر وفساد الطوية: [اعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية للآخرة ومن فقد مطيته فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب إلى تركه، وإهماله

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحدود، ٤/ ١٨٧.

(٢) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، رقم الحديث (١٦٨٠) ١١/ ١٨٤.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الحدود، ٢/ ٤٩.

(٤) ينظر: إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص١٦٦.

بالكلية أو اقتلاعه من أصله إنما قصده تعريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا..][١].

فتعرف بعد ذلك أي الرأيين أقرب إلى الشريعة والإسلام إذا تذكرت أن الله تعالى قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[٢]. فالدنيا أعظم نعمة في نظر الإسلام إذا صرفت إلى طاعة الله تعالى وكانت صالحة. ومن هنا اقتضت حكمة الله عز وجل أن يرسل الرسل بالأديان والشرائع ليوجه الدنيا إلى الحق والخير والصلاح. فالدنيا ليست منفصلة عن الآخرة ولا ضدها والدين كذلك ليس منفصلا عن الدنيا ولا ضدها ولا الروح منفصلة عن المادة ولا ضدها، ولذا جاء الإسلام نظاما كاملا شاملا للدين والدنيا والروح والمادة هذا كما بينه القرآن ودعا إليه كل علماء الإسلام واعتقده المسلمون لا كما يزعم عشماوي ومن سبقه من أعداء الإسلام[٣].

أما دعوى العشماوي بأن [الشورى في هدف الحكومة النبوية حكومة الله هي عمل يستأنس به النبي وليست إلزاما له لأنه يحكم بنور الله][٤]فإنها أكثر تهافتا من باقي دعاواه في هذا الموضوع. فالشورى فريضة إليه وأمر من الله لرسوله ﷺ جاء به القرآن الكريم إذ أجمع علماء الأمة على أن الأمر فيه للوجوب .﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[٥]. ولذلك أجمع علماء الأمة أنها من (قواعد الشريعة) و (عزائم الأحكام)، حتى قالوا: [من لا يستشير أهل العلم وأهل التقوى فعزله واجب وهذا مما لا خلاف فيه][٦] فهي أصل الدين وسنة الله في العالمين وهي حق على عامة الخليقة من الرسول إلى أقل خلق بعده في درجاتهم ومن هذا المنطق السنة النبوية القولية والعملية التي تؤكد التزام الحكومة النبوية بالشورى[٧].

---

(١) ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص١٨٠.
(٢) سورة يونس، آية، ١٤.
(٣) علي بن رين الطبري، الدين والدولة، تحقيق: عادل نوهيقي، دار الأوقاف الجديدة، (بيروت ١٩٧٧) ص١١٠.
(٤) الإسلام السياسي، ص٨.
(٥) سورة آل عمران، من الآية، ١٥٩.
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/٢٤٩.
(٧) ابن الأزرق أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٨٩٦هـ) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: د. علي سامي العراق، ١٩٧٧م. ٢/٣٠٢.

فأبو هريرة ﷺ يقول: «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»[(١)].

وفي حديث النبي إلى أبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما»[(٢)]. تشريع صريح لالتزامه بالشورى والتزامها له، ونزول الرسول ﷺ على شورى المؤمنين، ومراعاة قواعد الأكثرية والأقلية يوم بدر في اختيار مكان المعركة وفي الموقف من أسرى بدر. ويوم أحد وفي الاتفاق مع قادة نجد وغطفان يوم الخندق. في هذه المواطن وغيرها شواهد على التزامه بالشورى فيما وجبت به الشورى[(٣)]. وأما تعليل عشماوي، لاستغناء الرسول ﷺ عن الالتزام بالشورى [لأنه يحكم بنور الله] فهو تعليل يحتاج إلى بيان، فنور الله هو الوحي المعصوم والرسول ﷺ، معصوم في بلاغه وفي بيانه للناس[(٤)]. والعشماوي قد خلط بين الأمور خلط من لا دراية له بأوليات العلم الديني. فهو مرة يتحدث عن أن حكم النبي هو حكم الله لأن رؤية الله للنبي هي رؤية الوحي الإلهي ونور الرسالة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾﴾[(٥)].

هذا صحيح في الوحي فما أراه الله لرسوله هو ما مثله له وأنزله عليه، ولا يدخل بالاجتهاد قضاءً أو حروبا أو سياسة للأمور. والعشماوي يعود فينقض نفسه. لاحظ تخليط الجهل بين الحكم والرأي والفتوى ولكل منها معنى مختلف في العلم الإسلامي وليس حكم الله فالشورى فيما فيه اجتهاد وشورى، كانت ملزمة لرسول الله ﷺ في ممارسته لإمامة الدولة وسياسة الأمة. وحكمه في السياسة كان اجتهادا في تطبيق النصوص إن وجدت[(٦)].

---

(١) رواه الترمذي، ينظر: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمود شاكر دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ٤/ ٢١٣.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد. ينظر: أحمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، المسند، مصر ٤/ ٢٢٧. والترمذي، السنن، باب فضائل أبي بكر وعمر، رقم الحديث (٣٢٦٩).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٢٧٢. (٤) ابن الأزرق، بدائع السلك، ١/ ٣١١.

(٥) سورة النساء، الآية ١٠٥.

(٦) ينظر: القرافي، الأحكام في تمييز الفتاوى وتصرفات القاضي والإمام، ص٤٣.

بيت القصيد للعشماوي ـ دعواه ـ انقضاء حكم الله ورسوله ﷺ بوفاة الرسول ﷺ. فهو يريد أن يقول أن الحكم بالوحي هو حكم الله. وحكومته أمر خاص بالرسول ﷺ وحده ينقضي بوفاته لأنه لا وراثة فيه. فحقوق الحاكم فيها أي الحكومة الإلهية هو النبي محصورة عليه لا تنتقل إلى غيره ولا يرثها أحد(١). وإنه لا خلافة في النبوة لأن النبوة لا تورث ولا خلافة للنبي في نظام الحكم لأن هذا الحكم خاص به وحده(٢). وإنا لله وإنا إليه راجعون، ومن البلية أن الحركات التي تثار في الأزمة الأخيرة وترمي إلى محاربة الإسلام في بلاده بأيدي أهله والتي لا شك أنه الكفر وأخبث أفانين الكفر، يباح فعلها لفاعليها ولا يباح تسميتها باسمها لمن عارض تلك الحركات وحارب المحاربين. كأمثال العشماوي الذي سعى ويسعى إلى فصل الدين عن الدولة والسياسة عن الحكم عن صراعاتها مستقلاً أحدهما عن الآخر من غير أن يكون أي إخلال أو إضرار بأي منهما. لكن حقيقة الأمر أن هذا الفصل مؤامرة على الدين للقضاء عليه، وقد كان في كل بدعة أحدثها العصريون في البلاد الإسلامية كيد للدين ومحاولة الخروج عليه لكن كيدهم في فصله عن السياسة أدهى وأشد من كل كيد في غيره فهو ثورة حكومية على دين الشعب بل ارتداد عنه من الحكومة أولاً ومن الأمة ثانياً، إن لم يكن بارتداد الداخلين في حوزة تلك الحكومة باعتبارهم أفراداً وباعتبارهم جماعة، وهو أقصر الطرق إلى الكفر والعياذ بالله(٣).

فإذا كان المثل الأعلى للحكومة أو المحكمة أن تكون قانونية بحقيقة معنى الكلمة وكان التفاضل بين حكومة أو بين محكمة ومحكمة بقدر صدق استنادها إلى القانون وبقدر ما تكون الكلمة العليا فيها للقانون لا لشخص من الأشخاص ولا لطبقة من الطبقات ولا لحزب أو أي قسم من أهل البلاد،

---

(١) أصول الشريعة، ص١١١.

(٢) الإسلام السياسي. ص٥٨. وجوهر الإسلام، ص١٥٦.

(٣) مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، المكتبة الإسلامية، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، ٤/ ٢٨١، ومحمد مأمون فجا، عرض محمد علي، مراجعة د.كامل محمد إسماعيل، (الفكر الخوالد، للنبي محمد ﷺ، مصر، د.ت، ١٨٧.

وإذا كان الأمر كذلك فالحكومة المستندة إلى قانون هو صنع الحكومات نفسها أو صنع القوى المتساندة مع الحكومات لا تكون حكومة قانونية بحقيقة معنى الكلمة إلا أن تكون الكلمة العليا في أية أمة للقانون. لا لأناس معدودين ممتازين ومتغلبين على غيرهم بأي وجه من وجوه الغلبة. ولا يسلم القانون البشري أن يكون واضعه بعض الأمة فهو يمثل دائما بعض الآراء ولا يمثل في أي أمة رأي الجميع وما يستند إلى رأي البعض لا يكون قانونا لتمام معنى الكلمة خاليا عن التحكيم. ومن هنا يظهر خطأ الذين يعيبون قوانين الشرع ويصفونها بالجمود وعدم قبول التغيير[1].

---

(١) مصطفي صبري، موقف العقل والدين، ٤/ ٣٤٥، وينظر: إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٨٣.

الفصل السادس

الخلفاء الراشدون

المبحث الأول

مؤتمر السقيفة في نظر عشماوي

ولم يقتصر المستشار عشماوي على تحليل الدولة والحكومة في عهد النبي ﷺ فقط وإنما تابع فكرته ومنهجه في ذلك إلى حقبة الخلفاء الراشدين ﭫ ومن بعدهم وسار على نفس المخطط المرسوم له.

يقول عشماوي: [أثر وفاة الرسول ﷺ، سارع الأنصار إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة وحدهم لتأمير كبير الخزرج سعد بن عبادة ﭬ، ومكث علي بن أبي طالب والزبير وربما باقي الهاشميين في بيت فاطمة زوج علي ﭭ، وهرع بعض المهاجرين إلى أبي بكر وعمر ﭭ وربما مع جماعة منهم إلى السقيفة حيث دار الكلام على مبايعة سعد بن عبادة، ثم على مبايعة أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار، ثم على أن يكون من المهاجرين أمير ومن الأنصار وزير، ثم بويع أبو بكر فجأة. ثم انضم إلى مبايعته عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وبشير بن سعد أحد الأنصار وابن عم سعد بن عبادة، ثم حدث لغط في السقيفة. انتهى بأن نزى المهاجرون على سعد بن عبادة فأوسعوه ضرباً حتى أوشك أن يموت، في اليوم التالي تمت البيعة لأبي بكر أول الخلفاء][1].

إن الذي يقرأ ما كتبه عشماوي وبعض المؤرخين[2] في مؤتمر السقيفة

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص١١١.

(٢) مثل الذي ورد في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب خطأ لابن قتيبة.

يوم وفاة الرسول ﷺ، يدرك من أول وهلة أن الغرض من الإسهاب في وصف ما دار بين المهاجرين والأنصار من النقاش الحاد ثم الجدل الغاضب ثم المغاضبة والالتجاء إلى السيف والقوة يدرك الغرض من كل ذلك وهو شيء واحد. إظهار أصحاب رسول الله ﷺ في صورة المتكالبين على حطام الدنيا والرياسة حتى وصلوا إلى التشكيك في صحابة الرسول ﷺ.. وأظهروا الرعيل الأول بالمظهر التافه وسهل عليهم أن يتناولوا كل واحد منهم بالطعن والتجريح. ثم يقولون للعرب والمسلمين انظروا إلى أجدادكم وبناة مجدكم كانوا هكذا إلى جانب الحرص والطمع والتكالب على الحطام الحقير، والمال الزائل، والمكانة الفانية(١)، يقول عشماوي: [ولما فوجئ المسلمون بوفاة الرسول ﷺ اضطربت جماعتهم، واهتزت نفوسهم حتى اختاروا أبا بكر خليفة له ولم يتحدوا في هذا الوقت(٢) نتيجة الظروف المضطربة وانعدام الفكر السياسي عن طبيعة خلافة النبي والنظام الذي يتعين على الخليفة التزامه وساعد لفظ الفهم ومما قد يفيد بمعنى وراثة كل الحقوق والالتزامات وذلك على بلبلة الفهم واضطراب التصرفات وبقاء الغيوم في المحيط الإسلامي. حتى انتشر ظلام دامس، اختفت فيه الحقائق وتغير شكل المفاهيم وتصادمت الوقائع](٣).

العشماوي، يرسم للصحابة جميعاً مهاجرين وأنصار عقب وفاة رسول الله ﷺ صورة بائسة ويلملم سطورها الصفات السليبة التي تنشئ الجهل والتخلف والعجز. «فجماعتهم مضطربة» «ونفوسهم مهتزة» وكذلك موازينهم وجماعاتهم ومعاييرهم مختلفة تحيط بهم الغيوم وينتشر من حولهم الظلام الدامس، اختفت عنهم الحقائق فلم يعرفوا بين ما هو لله وما هو للناس في طبيعة الخلافة ونظامها، جمع العشماوي كل هذه الصفات من قاموس السلبيات ووضعها مكثفة في عدة أسطر يرسم لوحة من العجز اليائس واليأس العاجز لصحابة رسول الله ﷺ.

(١) د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل، ص٩٦.
(٢) أصول الشريعة، ١٠٨
(٣) ينظر: العشماوي، أصول الشريعة، ص١٣٨-١٤٩. والخلافة الإسلامية، ص١١١-١١٢-٩٧.

إن هذا الهجاء من جانب العشماوي للصحابة ﷺ يتكرر كثيرا في كتبه.

إن السياسة هي تدبير شؤون العمران الإنساني، ومذاهبها وماهياتها تتعدد بتعدد المرجعية الحاكمة لها، هل هذه المرجعية هي الهوى؟ أم العقل الإنساني وحده؟ أم العقل المحكوم بالشريعة؟ والأخيرة هي الخلافة. فالخلافة موضوعة في الأصل لكون الشخص خلفا لأحد، ومن ثم سمي من يخلف رسول الله ﷺ في إجراء الأحكام الشرعية خليفة.

والخلافة في الاصطلاح هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ[١].

إن منزلة الخليفة من الأمة كمنزلة الرسول من المؤمنين، له عليهم الولاية العامة والطاعة العامة وله حق القيام على دينهم يقيم فيهم حدوده، وينفذ شرائعه، وله بالأول حق القيام على شؤون دنياهم أيضا، بيده وحده زمام الأمة، فكل ولاية مستمدة منه، وكل خطة دينية أو دنيوية متفرعة عن منصبه، فهو الحاكم البدني والروحي، وهذا بخلاف ما كان في الغرب في العصور الوسطى[٢].

نشأت الخلافة كصورة اقتضتها الحالة الإسلامية عقب وفاة النبي ﷺ، فهل الإسلام لم يأت بنظرية الاستخلاف والخلافة؟، فجعل المرجعية عند التنازع لله والرسول ﷺ فهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، ألم يرد المسلمون عمران مجتمعهم بالشريعة، والاجتهاد بالعقل الملتزم بوحي السماء؟ وأين الاضطراب واهتزاز النفوس؟ الأمر حول اجتهادات الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة قد حسم -رغم عظم الموضوع- في لحظات عندما اتفقوا جميعا على ما اقترحه أبو بكر من توزيع الاختصاصات بين مؤسسة المهاجرين ولها الإمارة ومؤسسة الأنصار ولها الوزارة[٣]، حيث قال منا الأمراء ومنكم

---

(١) وينظر: الماوردي الأحكام السلطانية، ص٥، د. حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، (القاهرة، ١٩٣٩م). ص٢٠.

(٢) محمود شيت خطاب، بين العقيدة القيادة، دار الفكر (بيروت، ١٤٠١هـ_ ١٩٨١م). ص٣٦.

(٣) ينظر: ابن خياط، تأريخ ابن خياط، ص١٠٠.

الوزراء، وغادر قادة السقيفة مجتمعين باستثناء سعد بن عبادة الذي احترموا حقه في الاختلاف[١].

لقد جرى الترشيح بعد استقرار الرأي على استخلاف أحد المهاجرين، فرشح أبو بكر أحد اثنين عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: «بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ»[٢] وذكر فضل أبي بكر قائلا: «ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟» قالوا: «نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر»، وذكرهم بمواقفه في حادثة الهجرة، ثم بايعه عمر فبايعه المهاجرون ثم تابعه الأنصار[٣].

ومن استعراض الروايات الصحيحة لاجتماع السقيفة ومبايعة أبي بكر خليفة، نلاحظ أن الاجتماع لم يدم طويلا ولم تجر فيه نقاشات طويلة بين المهاجرين والأنصار، أو تنافس أو صراع على تولي الخلافة، أو حدة في الكلام أو عراك بين المجتمعين، وهذا كله ما صورته المقالات التي تناقلها المؤلفون المعاصرون، فشوهوا الوضاءة لذلك الاجتماع التاريخي الرفيع الذي قرر مصير الخلافة والدولة الإسلامية.

ولم يكن أبو بكر رضي الله عنه حريصا على الإمارة بل كان كارها لتوليها لما يعلمه من عظم المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى وخوفه من التقصير فيها، حيث قال: «والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط، ولا كنت راغبا فيها، ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا في علانية، ولكني أشفقت من الفتنة.. ما لي ولإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرا عظيما ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم»[٤].

---

(١) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٦٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الحدود، وينظر: فتح الباري، ١٢/ ١٤٤. وينظر: ابن هشام، ٤/ ٦٦٠.

(٣) ينظر: النسائي، السنن، ٣/ ٧٤. وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/ ٢٢٤. واليعقوبي، تأريخ اليعقوبي، ٢/ ١٠٢. وأكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ٢/ ٧١.

(٤) أخرجه موسى بن عقبة في مغازيه، والذهبي في تأريخ الإسلام، ٣/ ٨. وابن كثير في البداية والنهاية، ٦/ ٣٤١، وقال ابن كثير: ((إسناده جيد)). والحاكم في المستدرك، ٣/ ٦٦، =

فما أعظمها من مشاعر! وما أرفع صاحبها وأوعاه لحق الله تعالى وحقوق الرعية! وما أعمق تدينه وأحسن توكله وأجمل تواضعه وأصدق أمانيه! إنه لم يجد أمامه إلا أن يقبل تولي الخلافة ليقود الأمة في طريق الوحدة والإيمان ورفع راية الرسالة الإسلامية رغم أن نفسه لا تطاوعه في تحمل المسؤولية خوفا من التقصير[١].

فأين هو -يا عشماوي- عدم تحديد طبيعة خلافة النبي والخلط بين ما لله وما للناس والاضطراب واهتزاز النفوس؟ بعد الخطبة التي ألقاها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فهي وثيقة فكرية توضح مبادئ نظرية شديدة الوضوح والتحديد حول طبيعة نظام الخلافة، وتمييزه عن النبوة والرسالة، فقال: «إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم...»[٢]. وقد تضمنت الخطبة الوجيزة هذه علاقة الحاكم بالمحكومين، فبين أن مجيئه للخلافة كان بإرادة الأمة وبتعاقد واضح: الطاعة من الناس مقابل التزام الحاكم بالشريعة ورقابة الأمة على سياسته وإعانته على الخير وتصحيح سياسته إذا انحرف[٣]. وقال: «أنا متبع ولست بمبتدع»[٤]. إن هذه المدرسة هي التي رباها محمد ﷺ واطمأن لها كل فرد فيها يعد امتحانات، وتفانيهم في العقيدة الإسلامية، من الذين حضروا هذا المؤتمر، فالحباب بن المنذر الذي ضرب أمثلة عالية من الفداء والتضحية في سبيل الإسلام، وحبه لله ورسوله، وحرصه

=

وصححه ووافقه الذهبي. وينظر: القاضي أبو بكر العربي، العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الثقافة (بغداد، د.ت) ص٩. وينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، عصر الخلافة، ص٥٢، وينظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، النهضة (القاهرة، ١٩٨٧م) ص٢٥٣،

(١) د. أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة، ص٥٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأحكام باب الاستخلاف، ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٣/٢٠٦.

(٣) أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة، ص٥٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٥/ ٢٤٥.

على مصلحة المؤمنين في تقديم استشارته للمسلمين في معركة بدر، وهذا سعد بن عبادة الذي يقول العشماوي: [إن المهاجرين قد وطئوه بأقدامهم][(١)].

فكيف يكون ذلك وإن المهاجرين ليس منهم في هذا المؤتمر إلا ثلاثة فقط أبو بكر وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم فسعد هو نقيب من نقباء العقبة شهد بدرا وخص بوسام أهل بدر وفوق ذلك شهد له الرسول ﷺ بأنه من أهل الجود والكرم. وقال له الرسول ﷺ بعد أن كسا أحد الصحابة «كساه الله من ثياب الجنة»[(٢)].

بعد هذا الثناء من الرسول ﷺ لا يصدق أحد أنه كان يريد أن يحيي العصبية الجاهلية في مؤتمر السقيفة كما يدعي عشماوي، ثم كيف يعقل هذا الخلاف بين الصحابة وجثمان الرسول ﷺ مسجى بينهم. وهم يعلمون أن الخلافة ليست سيطرة ولا مظهراً ولا جاهاً[(٣)] وإنما هي قيادة وتوجيه وتضحية، والخليفة كونه منفذاً للأحكام وحارساً للدين، فهذا الخليفة أبو بكر هو الذي ترك تجارته وفرغ نفسه لشؤون المسلمين حتى اضطر أصحابه أن يعينوا له ما يكفيه من بيت المال[(٤)] هو أبو بكر حينما حضرته الوفاة أمر بإرجاع كل ما أخذه من بيت المال. بل قال: ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أستحقه وإن أرضي التي في مكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم»[(٥)].

لقد طوعت نفس العشماوي أن تجعله يصور الصحابة في سقيفة بني ساعدة لا في صورة الهمج السوقيين فحسب بل في صورة الفوضويين

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص١٠٤.

(٢) رواه البخاري رقم الحديث(٣٤٦٦)، ومسلم رقم (١٠٢٧)، ينظر: المقريزي، إمتاع الأسماع، ص٣٧.

(٣) ينظر، المقريزي، إمتاع الأسماع، ص٣٧.

(٤) ينظر: د. هيكل، الصديق أبو بكر، ص٢٨٢.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الشرق، (بغداد ١٩٧٣)، ص١٠٤.

المتهافتين على حطام الدنيا، [بدأ الأمر بالجدال الحسن ثم تحول إلى العنف وانتهى بالعدوان على سعد ﷺ زعيم الخزرج، وبمنع الأنصار لمجرد التفكير في الاستئثار في الأمارة أو حتى المشاركة فيها حتى لا يجتثوا المهاجرين ويقطعوا شأفتهم مما شجع المهاجرين إلى الالتجاء إلى العنف والنزوع إلى العدوان فنزى المهاجرون على سعد بن عبادة فأوسعوه ضربا حتى أوشك أن يموت][١]

فكيف يتصور هذا وأن أبا بكر خطب فقال: «إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش نحن أوسط العرب أنسابا ليست قبيلة من قبائل العرب وإلا قريش منها ولادة وليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا نفتات دونكم مشورة ولا تنقضي دونكم الأمور»[٢].

إن العشماوي تفوق على غلاة الباطنية من الزنادقة. فالرجل لم يأل جهدا في الطعن صراحة وليس بالواسطة في ذات الإسلام وفي رسول الإسلام، إن قارئ هذه السطور التي قدمها عشماوي عن جيل الصحابة الفريد، أولئك الذين أقاموا الدين وأسسوا الدولة وأصلحوا الدنيا وغيروا مجرى التأريخ.

إن هذه الصورة الكالحة البائسة التي قدمها عشماوي عن الصحابة لو قورنت بالصورة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ الآية[٣].

هذا هو التصوير الإلهي لصحابة رسول الله وتلك صورتهم في فكر

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص٩٨-١١٢.

(٢) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة المنسوب إليه، ١/٦-١١، وينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٢٠٧.

(٣) سورة الفتح، آية، ٢٩.

عشماوي والمقارنة بين الصورتين تغني عن التعليق[١]، لكن الرجل الذي يغلب عليه سوء النية وخبث الضمير هو الذي سود ويسود الفصول في سباب صحابة رسول الله ﷺ[٢].

المبحث الثاني

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في نظر العشماوي

ويتابع العشماوي افتراءاته على الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونراه كيف يصور لنا مواقفه الحازمة في صورة معكوسة وفهم سقيم.

ويقول العشماوي في افتراءاته على الصديق الذي ارتضاه المسلمون لدنياهم كما ارتضاه رسول الله لدينهم: [إن حروب الصدقة التي أعلنها أبو بكر الصديق وانتصر فيها رأيه وعمله تعد منحنى خطيراً في الخلافة ومنعطفا شديدا غيرها فور نشوئها. ومنقلبا سيئاً انحدرت إليه عبر تاريخها... فلقد شرعت حق الخلفاء في اغتصاب الحقوق الخاصة بالنبي والتي لا يجوز أن تنقل منه إلى غيره قريبا له أو غير قريب خليفة أو ملكا أو أميرا أو رئيسا، فمنذ خلط أبو بكر بين حقوق النبي الخاصة وحده كالحق في اقتضاء صدقة من المؤمنين وبين حقوقه كخليفة للمسلمين ورئيسا لجماعتهم... وصار الخلفاء يقتضون حقوق النبي دون أي التزام عليهم وأي رقابة على أفعالهم وأقوالهم وأصبحوا يصرفون إلى أنفسهم معاني وألفاظ الآيات القرآنية التي خوطب بها النبي والتي لا يجوز أن يخاطب بها غيره أو يصرف معناها إلى أحد سواه كان يقال للخليفة أو الأمير أو الرئيس أو الملك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[٣] وغيرها من الآيات التي خوطب بها النبي ﷺ][٤].

ويقول أيضا: [لقد سوغ تصرف الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه

---

(١) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٧٧.

(٢) الدميجي عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى، ص١٤٨.

(٣) سورة الفتح: من الآية، ١٠.

(٤) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص١٠٣-١٠٤.

لكل خليفة وأي حاكم أن يستغل بتفسيره الخاص لآيات القرآن ثم يفرضه بالعنف والقوة على المؤمنين، ويجعل من رأيه حكما دينيا ومن فهمه الفردي أمرا شرعيا...][١] ويقول: [إن حروب الصدقة قنَّن الخليفة أبو بكر فيها نظام إشهار سيوف المسلمين على المسلمين وابتدأ حرب المؤمنين للمؤمنين فحروب الردة كانت موجهة ضد مسلمين موحدين ومن مؤمنين مصلين نحو مؤمنين مصلين وبها بدأ حرب المسلم للمسلم وقتال المؤمن للمؤمن][٢].

فهذا أبو بكر الصديق، إمام السابقين في الإسلام. والمقدم في المهاجرين الأولين وصاحب الرؤية الصافية في المواقف الفاصلة والامتحانات العسيرة في تاريخ الدين والدولة -من الموقف حيال معجزة الإسراء. إلى الموقف حيال الردة- والذي اختاره الله ورسوله الرفيق في الرحلة الفارقة بين الحق والباطل رحلة الهجرة ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

ومن فضائل الصديق في السنة النبوية ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق زوجين فما شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من أهل الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان» فقال أبو بكر: «ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟ قال وهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟» قال: «نعم، أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[٤] ومن حديث آخر عن عمرو بن العاص قال: أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: «أي

(١) الخلافة الإسلامية، ص١٠٤. (٢) المرجع نفسه، ص١١٤،
(٣) التوبة، آية: ٤٠.
(٤) ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، باب فضائل الصحابة رقم الحديث ٣٦٦٦،

الناس أحب إليك؟» قال: «عائشة» قلت: «من الرجال؟» قال: «أبوها». قلت: «ثم من؟»، قال: «عمر بن الخطاب»[١]. هذا فضل أبي بكر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والذي اختاره الرسول لإمامة[٢] الدين واختاره المسلمون لإمامة الدنيا -خلافة ليحرس الدين ويسوس الدنيا بالدين[٣].

هذا هو أبو بكر ﷺ .. فما هي صورته في فكر المستشار (عشماوي)؟ أنه في رأي العشماوي [الذي خلط بين حقوق النبي وحقوق الحكام]، فحدث زيوغ في الخلافة، وحيود في الحكم، يبدو جليا في اغتصاب حقوق النبي، واشتداد نزعة الغزو وانتشار الجشع والعشار وظهور القبلية والطائفية..[٤]، إن العشماوي يضرب عرض الحائط بصورة أبي بكر ﷺ في القرآن. والسنة. والسيرة. والتاريخ... في واقع إقامة الدين وتأسيس الدعوة .. وبناء الدولة وفي وجدان الأمة. ويبلغ به الافتراء إلى حد اتهام الصديق باغتصاب حقوق النبي، بل الإتيان بدين غير دين النبي ﷺ.. وذلك لقد استند إلى بيت من الشعر لشاعر كان يدافع عن المرتدين على دولة الخلافة وسلطتها. يقول:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لهفتا ما بال دين أبي بكر[٥]

وأورد الطبري بيت شعر بلفظ:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر[٦]

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، ٥/ ٢، ومسلم، فضائل الصحابة رقم الحديث (٢١٨٤)، ١٥/ ١٦٢.

(٢) سقوط الغلو العلماني، ص٥٨.

(٣) ينظر: الدميجي، الإمامة العظمى، ص١٣٠.

(٤) الخلافة الإسلامية، ص٨٦.

(٥) الخلافة الإسلامية، ص٢٣٨، وأصول الشريعة، ص١٠٣. تنسب هذه الأبيات إلى الخطل بن أوس وتكملتها:

أيورثها بكرا إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلا رددتم وفدنا بزمانه وهلا خشيتم حس راغبة البكر
وأن التي سألوكم فمنعتم لكالتمر أو أحلى إلي من التمر

ينظر الطبري تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٢٤٦.

(٦) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٢٤٦.

ولكن العشماوي يتلقف رواية صاحب الأغاني ما لدين أبي بكر وذلك كي يستند إلى هذه الرواية في اتهام أبي بكر بالاتيان بدين جديد غير دين محمد.. وذلك جهلا منه بمعنى كلمة دين في بيت الشعر إذ هي بمعنى طاعة وهو معناه اللغوي وهي دين بمعنى طاعة مقابلة أطعنا في الشطر الأول من البيت.

فالشاعر يتحدث عن قبوله لطاعة حكم رسول الله ﷺ وعن رفضه لحكم أبي بكر. ولا أثر لكلمة الدين بالمعنى الاصطلاحي الذي هلل له العشماوي، لقد واجهت الدولة أحداثا انشقاقية وثورات ازدادت حدتها بعد وفاة الرسول ﷺ وجعلت مهمة تثبيت السلطة السياسية للأمة والدولة هي المهمة الأولى ولقد نجح الخليفة في القضاء على الحركات الانتفاضية المرتدة لصالح المبادئ والدولة[١]، وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بنفسه ومعه المسلمون وقال: «والله لأواسينكم بنفسي» فهزم الله المرتدين والطامعين وأيده الله بنصره[٢].

المبحث الثالث

الزكاة

ويتعرض العشماوي لفريضة الزكاة وكيف عالجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما امتنع بعض الناس عن أدائها للدولة الإسلامية فيقول:

[لقد كانت العرب تكره أن تعطي إتاوة لشخص أو قبيلة أخرى على تقدير أن الإتاوة أو الجزية أو الخراج أو الرشوة إذا ضربت عليهم فلذلة فيهم أو خضوع منهم أو خنوع فيهم. وقد عارضت كثير من القبائل بعد إسلامها دفع الصدقة إلى النبي وتمنعت من ذلك وجادلت فيه عن الفهم الدارج لمعنى الصدقة، وإنها حينما لا تقدم إلى الله طواعية واختيارا لفقير أو مسكين أو معوز إتاوة أو جزية أو خراج أو رشوة يسوءهم أداؤها ويذلهم دفعها ولو للنبي

---

(١) ينظر: د. نزار عبد اللطيف الحديثي، الأمة والدولة في سياسة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، (بغداد: ١٩٧٨)، ص٢٢٦.

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٦/ ٣٨٤.

ذاته، وقد حسم القرآن الموقف على هذه المجادلة وتلك الممانعة وأي معارضة بالآية التي نزلت في ذلك[١] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[٢].

فنحن أمام دعوى عشماوية تقول أن قبائل كثيرة تمنعت عن دفع الزكاة وهي مسلمة إلى رسول الله ﷺ معتقدة أنه قد فرض عليها إتاوة أو جزية أو خراجا أو رشوة وأن إخراجها للصدقة لا طوع فيه ولا اختيار. الأمر الذي يجعل فعل النبي معها ذلة وخضوعا وخنوعا منها لرسول الله ﷺ والآية القرآنية التي نزلت ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾[٣].

نزلت تتحدث عن لمز في توزيع الصدقات وجمعها[٤]. وفوق هذا فالزكاة هي الصدقة الفريضة الركن الثالث من أركان الشريعة فرضت على المسلمين وتحدث عنها القرآن الكريم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾[٥] وبعد الهجرة وإقامة الدولة أقيم لجبايتها وتوزيعها في مصارفها الثمانية نظام ينهض به العاملون عليها وأن الآية ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ نزلت عقب غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة[٦]. في صدقة كفارة تطوع بها نفر وتخلفو عن الخروج مع رسول الله ﷺ للغزو.

وفيما أورد القرطبي مزيد تفصيل يكشف تلفيق العشماوي وافتراءه على رسول الله ﷺ وعلى القبائل المسلمة التي زعم خلافها على رسول لله ﷺ. ورفضها فرائض الإسلام يقول القرطبي: [والجمهور على أن آية ﴿خُذْ مِنْ

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص١٠٢. وجوهر الإسلام، ص٨٠٧.

(٢) التوبة، آية: ١٠٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥٨.

(٤) ينظر: السيوطي، أسباب النزول، دار التحرير، (القاهرة: ١٣٨٢هـ)، ص٩٣،

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٤.

(٦) السيوطي، أسباب النزول، ص٩٩، وينظر: د. القرضاوي، يوسف، الإسلام والعلمانية وجها لوجه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ص١٣٢. وينظر: الدكتور محمد عمارة سقوط الغلو العلماني، ص٤٩.

أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ نزلت في شأن المتخلفين عن غزوة تبوك فلما نزلت توبتهم. قالوا: «يا رسول الله، هذه أموالنا التي خلفناها عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا» فقال: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا» فنزلت الآية، فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم وتصدق بها كفارة عن ذنوبهم][(١)].

فأخذ الرسول ﷺ ثلث أموالهم كفارة عن ذنبهم تصدقا بها عنهم الأمر الذي يباعد بين هذا الأمر وبين الصدقة الواجبة المفروضة ذات المقادير المحدودة والمحددة التي فرضها الله تعالى ولم يفرضها الرسول ﷺ من إتاوات ترى فيها الذل والخضوع والخنوع[(٢)] أما دعوى العشماوي ومن تابعهم أن هذا خطاب للنبي ﷺ فلا يلتحق به غيره فهو كلام باطل جاهل بالقرآن غافل عن مأخذ الشريعة ومتلاعب بالدين، فإن الخطاب في القرآن لم يرد به بابا واحدا ولكن اختلفت موارده على وجوه.

١- خطاب موجه إلى جميع الأمة كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[(٤)] ونحوه.

٢- خطاب خص به وحده لم يشاركه غيره لفظا ولا معنى كقوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[(٥)]

٣- ومنها خطاب خص به لفظا وشركه جميع الأمة معنى وفعلا كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[(٦)] الآية وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[(٧)] الآية فكل من دلكت عليه الشمس مخاطب بالصلاة وكذلك كل من قرأ القرآن مخاطب بالاستعاذة[(٨)].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ٢٤٢.
(٢) ينظر: القرضاوي، الإسلام والعلمانية، ص١٣٥.
(٣) سورة المائدة، الآية، ٦.
(٤) سورة البقرة، آية، ١٨٣.
(٥) سورة الإسراء، آية، ٧٩.
(٦) سورة الإسراء، آية، ٧٨.
(٧) سورة النحل، آية، ٩٨.
(٨) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ٢٤٢.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وعلى هذا المعنى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾[١] و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[٢] العشماوي يباهي بخلافه لكل الأمة العلماء منها والجمهور السابقين منها واللاحقين. فكل تسمى (الزكاة الفريضة) صدقه لما بين المصطلحين من عموم وخصوص مطلق، والصدقة أعم من الزكاة التي هي صدقة الأموال تؤخذ إذا بلغت الأموال نصابها، وتصرف إلى مصارفها دون غيرها. والصدقة ما أعطيته في ذات الله للفقراء، والصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع والزكاة للواجب[٣].

لكن العشماوي دائماً يصرح عن خبث نيته وسوء قصده عندما ربط بين أحكام القرآن وأسباب نزولها وكأنه بعمله هذا يريد إحالة أحكام القرآن كل القرآن إلى متحف الديانات ومخزن التاريخ، وذلك عندما ادعى أن كل آيات القرآن لها أسباب نزول وإن هذه الأسباب التاريخية المنقضية التي تجاوزها التطور والواقع والتاريخ هي علة تشريع هذه الأحكام وهي الواقع الذي صنع النص القرآني أو استدعاه، وإن حياة الأحكام قد انقضت بانقضاء الأسباب التي سببتها، فكأنما أصدر الحكم بوفاة أحكام القرآن منذ طوى التاريخ صفحة أسباب نزولها من الوجود[٤]. والواقع التشريعي في الأحكام الشرعية في واقع التطبيق العملي يكذب هذا الادعاء والافتراء السافر من لدن عشماوي. ولكن موقف عشماوي هذا القائل بنزول الآيات على أسبابها، واختصاصها بها هو تطبيق للنظرية الغربية في عصر التنوير الغربي باسم تاريخية النصوص المقدسة. فما فعله التنوير الغربي مع كتب الشرائع المرحلية، فعله عشماوي مع الشريعة الخاتمة والأحكام التشريعية للوحي الخالد. ونفس الغرض أراد أن يفعله عشماوي مع القرآن الكريم بما سطره حول أسباب النزول ويريد أن يطوي

(١) الأحزاب، آية، ١.

(٢) الطلاق، آية، ١.

(٣) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، (الكويت، د.ت)، ٨/ ١٢.

(٤) ينظر: معالم الإسلام، ص١٢٠، الإسلام السياسي، ص٢٤.

أحكام الإسلام والقرآن إلى الأبد، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١].

والقول بأن الصدقة المفروضة إنما كانت تدفع إلى النبي ذاته بصفة النبوة لا بوصف الحكم مقابل صلاته على الناس، هو انحياز صريح واضح لمنطق مانعي الزكاة عن سلطة دولة الخلافة، على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فما دامت الصدقة الواجبة هي حق النبي بصفة النبوة لانعدام مقابلها، وهو صلاته على أصحاب الصدقات. ولو أن العشماوي كان باحثاً عن العلم الإسلامي لوجد في القرآن الكريم في اثنتي عشرة آية تأمر بإيتاء الزكاة كما تأمر بإقامة الصلاة فرائض فرضها الله فرضاً. ومن هذه الآيات هي قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[٢] ومنها ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[٣].

ومن السنة النبوية، قوله عليه الصلاة والسلام: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا»[٤].

ولو أن الرجل قرأ في وثائق الإسلام وتاريخ الإسلام قراءة الباحث عن الحق لرأى عشرات الوثائق والمعاهدات التي جاء بها الإسلام وجاء فيها الأمر بأخذ الصدقات بمقاديرها المحدودة في الزكوات والتي هي غير صدقة الكفارة. فلقد بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل على صدقات اليمن وأمر أن يأخذ من النخل والحنطة والشعير والزبيب العشر أو نصفه حسب نوع سقي الأرض[٥]. وفي كتاب رسول الله ﷺ إلى واليه على نجران باليمن عمرو بن

---

(١) التاريخية والتاريخ، مذهب ونزعة، تقرران القوانين الاجتماعية تتصف بالنسبية التاريخية.. وإن القانون من نتاج العقل الجمعي، ينظر: المعجم الفلسفي، يوسف كرم، ويوسف شلالة، ود. مراد وهبة، طبعة القاهرة، ١٩٧١م، ص، وينظر: حول صلاحية تطبيق الشريعة، القرضاوي، الإسلام والعلمانية، ص١٤٨-١٤٩-١٥٠.

(٢) سورة البقرة، ٤٣.

(٣) سورة النور، ٥٦.

(٤) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، ١/ ١١.

(٥) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٨.

حزم[١]، «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ . .﴾ الآية[٢] عهد من محمد النبي لعمرو بن حزم بعثه إلى اليمن، أمره يتقوى الله في أمره كله وأن يأخذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار وعشر ما سقى البعل[٣] وسقت السماء ونصف العشر مما سقت القرب»[٤] كانت عزيمة أبي بكر رضي الله عنه صادقة وماضية في حرب هؤلاء الذين خرجوا من الدين وحاربوه بعد أن دخلوا فيه مع ما يعمله من الانتفاض الذي كاد يكون في عامة الأعراب ولكن صدق العزيمة بذلك. في كل شيء، أراد أن يخرج بنفسه لمقاتلة المتمردين وأخذ بعض منهم يهاجم المدينة المنورة مقر الخلافة فقال له المسلمون: «ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن لا تعرض نفسك لذلك؛ فإنك أن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً فإن أصيب بعثت آخر»[٥].

اشتغل أبو بكر في أمر الردة بعزيمة لم تعرف لغيره من الأبطال الذين لا ترعوي عزائمهم بالكوارث، ولا تلينهم الخطوب، وما ظنك بهذه النار التي اشتعلت في جميع أنحاء الجزيرة حينما شعرت بفقد رسول الله ﷺ فأطفأها وليد عجاجتها قبل أن تنقضي السنة التي لحق بها الرسول ﷺ بربه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله منّ علينا بأبي بكر الصديق رضي الله عنه»[٦].

---

(١) عمرو بن حزم بن لوذان الأنصاري الخزرجي ثم النجاري، استعمله رسول الله على أهل نجران، (توفي بالمدينة سنة، (٥١هـ)، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٢١٤.

(٢) سورة المائدة، ١.

(٣) البعل، السيح.

(٤) ينظر: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) كتاب الخراج (القاهرة ١٣٥٢هـ) ص٨٠. وينظر: أبو عبيد قاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٠٦، ١٩٨٦) ص٣٢، وينظر: البلاذري، فتوح البلدان ص٨٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣١، وينظر: محمد خضر بك، تاريخ الأمم الإسلامية ص١٩.

(٦) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٣.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، اشرأب النفاق بالمدينة وارتد العرب»[١].

بادر أبو بكر إلى تسيير الجيوش إلى المرتدين ومانعي الزكاة، وعقد اللواء لقتالهم على أحد عشر قائدا في وقت واحد، وأرسل إلى جميع المرتدين كتابا يدعوهم فيه إلى الرجوع إلى حظيرة الإسلام، ويرد الشبه التي نشأت عند موت رسول الله ﷺ[٢] فكان المرتدون فريقين، فريق بذلوا الصلاة ومنعوا الزكاة، وفريق كفروا بالدين كله وآمنوا برسالة الشيطان -أي مسيلمة وطليحة والأسود- فقال الفريق الأول: نؤمن بالله ونشهد أن محمدا رسول الله، ولكن لا نعطيكم أموالنا. فعزم الله لأبي بكر على الحق، فقال: «والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ لأن الزكاة حق المال»[٣].

المبحث الرابع

الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نظر العشماوي

يقول عشماوي: [يلاحظ أن الخليفة الثاني كان دائم التحرج شديد التردد في أغلب الغزوات التي حدثت في عهده والتي تم على أثرها فتح فارس والشام ومصر][٤].

إن الفاروق عمر رضي الله عنه كان شديدا على أعداء الله حريصا على الجهاد وكان في أكثر الأحيان يريد أن يخرج بنفسه لمقاتلة الكفار وخاصة في قتال الفرس ولكن يمنعه المسلمون حرصا عليه وعلى مكانته في توجيه المسلمين وقيادتهم. وكان سيفا بتارا، وموقفه معروف من المشركين

---

(١) المصدر نفسه، ص١١٢. وينظر: اليعقوبي، التأريخ، ٢/ ١٠٩.

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٢٢٣.

(٣) علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق، (القاهرة، ١٣٧٢هـ) ص١٦٢.

(٤) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص١٠٦.

والكافرين، وكتب السيرة والتاريخ مليئة بمواقفه المتشددة منهم، وذلك في حياة رسول الله ﷺ فكيف بعد انتقاله ﷺ؟ وعند ما طلب أبو سفيان أن يشفع له عند رسول الله ﷺ بعد نقضهم معاهدة صلح الحديبية فقال: «أنا أشفع لكم عند رسول الله ﷺ! فو الله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به»[1].

إن الفاروق الذي اجتمعت الأمة على أن تضربه مثلا ومثالا للعدل فهو في نظر العشماوي نموذج (الغلو) (والتشدد) (والاستبداد)[2].

ثم يصف اتجاه عمر (بالتشدد والغلو) ونهجه (بالتشدد والغلو والتضييق على النفس) مع أن مصادر التاريخ وتجربة دولة الخلافة الراشدة قد أفاضت في ذكر وقائع استمساك عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشورى نهجا لإدارة الدولة ونظام الحكم وشؤون المجتمع.. إلا أن العشماوي يقدم لعمر صورة الحاكم المستبد بالرأي من دون الناس حتى في عظائم الأمور العامة.

فيزعم أنه كان خالف رأي الصحابة في شأن أرض العراق بعد فتحها حيث أن الصحابة رأوا أنها توزع بين المقاتلين بعد الفتح ورفض ذلك الرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحده وتركها لأصحابها][3].

ولست أدري من أين جاء العشماوي بهذه الفرية التي هي على الضد من واقع التاريخ. وعلى النقيض من سلوك الفاروق رضي الله عنه فلقد كانت مواقف الخليفة عمر من الأرض المفتوحة سلسلة من النزول على شورى المسلمين[4].

ففي الجابية بالشام التي فتحت سنة (١٧هـ) يذكر البلاذري أن عمر بن الخطاب قدم الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين لأنها فتحت عنوة فقال

---

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/١٣٦، وينظر: الطبري، ٣/٤٦، وينظر: البوطي، فقه السيرة، ص٣٩٠، وينظر: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر، دار الفكر، (دمشق، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م)، ص٤٢٢.

(٢) ينظر: أصول الشريعة، ص١٤٩. وهذا الكلام تقيض لما جاء في ذات الكتاب، ص١٧١، وذلك قوله: ((هذا الذي يدور من أبي بكر وعمر كبيري الإسلام بعد النبي- يدل على فهمهم الصحيح لرسالة الحكم وفهم المحكومين لحدود الحاكم حتى يكون خليفة للرسول)).

(٣) ينظر: أصول الشريعة، (١٦٧).

(٤) د. محمد عمارة الغلو العلماني، ص٦١.

له معاذ بن جبل: والله لئن قسمتها بينهم ليكونن ما يكون ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم، ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون إلى الإسلام يدا فلا يجدون شيئا، فانظر أمرا يسع أولهم وآخرهم. فصار عمر إلى قول معاذ رضي الله عنه[١].

وفي أرض سواد العراق[٢] التي يدعي فيها العشماوي استبداد عمر بالرأي دون رأي الصحابة عن (حارثة بن مضرب)[٣] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد قسمة السواد بين المسلمين فأمر أن يحصوا، فوجدوا أن منهم من يصيبه ثلاثة من الفلاحين، فشاور أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فقال علي رضي الله عنه: «دعهم يكونوا مادة للمسلمين». فبعث عثمان بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فوضع عليهم ثمانية وأربعين درهما وأربعة وعشرين درهما واثني عشر درهما، ويروى عن علي رضي الله عنه: «لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم»[٤].

ويفصل أبو يوسف في أمر الشورى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى في هذه الأرض فيقول لما فتح السواد شاور عمر رضي الله عنه الناس فيه فرأى عامتهم أن يقسمه، وكان رأي عثمان وعلي وطلحة وابن عمر. وكان رأي عمر أن يتركه ولا يقسمه، وبعد المشورة الأولى استشار المهاجرين الأولين فاختلفوا فأرسل إلى عشرة من الأنصار خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم ثم قال لهم: «إني لم أدعكم إلا أن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم فإني واحد كأحدكم ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هو هواي. معكم كتاب ينطق بالحق فو الله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أردت به إلا الحق» وبعد سماعهم وجهة نظره قالوا جميعا: «الرأي رأيك فنعم ما قلت وما رأيت»[٥].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٢٦.

(٢) أرض السواد: وهو من حديثة الموصل إلى عبادان طولا ومن عذيب القادسية إلى حلوان عرضا، د. الكبيسي حمدان، الخراج وأحكامه، بغداد ١٩٩٣، ص١٩٣.

(٣) حارثة بن مضرب: أدرك النبي ﷺ فيما قبل وهو كوفي، ينظر: ابن الأثير أسد الغابة، ١/ ٤٢٩.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص٣٦.

(٥) أبو يوسف، الخراج، ص٣٧، وينظر: أبو عبيدة، الأموال ص٦٦-٦٧.

فعمر ﷺ الذي يصوره العشماوي مستبدا برأيه دون الصحابة جميعا في أمر أرض العراق هو الذي استشار فيها الصحابة المهاجرين والأنصار، قائلا لأهل الشورى [إني كأحدكم ولست أريد أن تتبعوا في هذا هواي ما دعوتكم إلا أن تشركوا في أمانتي فيما حملت من أموالكم. ومعكم من الله كتاب ينطق بالحق][١] بل إن هذه الشورى الواسعة النطاق كانت منهج عمر بن الخطاب ﷺ في مختلف شؤون الدولة حتى الشؤون الصحية.

فعن عبد الله بن عباس أن عمر ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ[٢] لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فقال عمر: «ادع لي المهاجرين الأولين» فدعاهم فاستشارهم فاختلفوا، ثم قال: «ادع الأنصار» فاستشارهم فكانوا كالمهاجرين فاختلفوا كاختلافهم، فقال: «ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح» فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا: «نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء»[٣].

فالخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يسلك في الشورى نهجا يحكمه نظام، فهو قد بدأ بشورى المؤسسات، مؤسسة الهاجرين الأولين، ثم مؤسسة النقباء من الأنصار، فلما لم تحسم المؤسسات الأمر وسع نطاق الشورى باستشارة مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، ثم نزل على أمر المشيرين[٤].

قال البلاذري: [كان للمهاجرين مجلس في المسجد فكان عمر يجلس معهم ويحدثهم عما ينتهي إليه من أمر الآفاق، فقال يوما: «ما أدري كيف اصنع بالمجوس» فوثب عبد الرحمن بن عوف فقال: «أشهد أن رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر: د. قحطان عبد الرحمن الدوري، الشورى، ص٣٤.

(٢) مكان أول الحجاز وآخر الشام بين المدينة وتبوك. ينظر: السيوطي، تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، ٢/ ٨٩.

(٣) رواه البخاري، ينظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ٣/ ٣٥، ومسلم، كتاب السلام، باب الطاعون، رقم الحديث (٢٢١٩)، والإمام مالك في الموطأ، ٢/ ٨٩.

(٤) ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١١، ود. قحطان الدوري، الشورى، ص٣٠٩.

قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»][1].

فنحن أمام مجلس للشورى له انعقاد منظم في مكان محدد من المسجد دار الدولة والحكم يحضره الخليفة يقدم إليه بيانات عما ينتهى إليه من أمر الآفاق والولايات والأقاليم، ويطلب من أهل الشورى الرأي في المستجدات التي طرحتها وقائع الفتوحات، لكن عشماوي مع ذلك يقدم الفاروق لقارئه مستبدا بالرأي دون الصحابة في جلائل الأمور[2].

إن العشماوي يتهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ بتهمة أخرى، بأنه [يرضخ لاتجاه الغزو حتى يوجه سيوف العرب إلى غير العرب وإلا فسوف توجه هذه السيوف إلى العرب أنفسهم][3]، إن العشماوي يحكي موقف زنادقة الباطنية الإسماعيلية من أبي بكر وعمر ﷺ، فيورد قول زعيمهم عبد الله بن ميمون القداح (ت١٨٠هـ، ١٠٩٦م) لأصحابه، الذي توسل به إلى هدم الإسلام وتقويض شريعته وفيه يقول القداح: [سب أبا بكر وعمر وانع عليهما عداوة الرسول وتغيير القرآن وتبديل الأحكام، فإنك إن سببتهما سببت صاحبهما، فإذا استوى ذلك الطعن عليهما فقد اشتفيت من محمد، ثم تعمل بعد ذلك في استئصال دينه][4].

والحق أن نسأل إذا كان العشماوي قد اتهم أبا بكر بأنه قد جاء بدين جديد غير دين محمد، وصور عمر ﷺ بهذه الصورة، فماذا ترك العشماوي للزنادقة والباطنية؟ بل قد تفوق عليهم في هذا الميدان. فإن عشماوي غير ممكن أن لا يعرف هذه البديهيات، ولا يعرف أن في حكومات أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ غاية في العدالة والإنصاف، فإنها مكابرة متناهية، إلا أن الأستاذ يريد أن يرضي أسياده من الماسونية والشعوبية الذين يهدفون إلى

(١) رواه البخاري كتاب الجزية، رقم الحديث (٢٩٢٣) رواه الترمذي كتاب السيرة رقم الحديث (١٥١٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٧.
(٢) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٦٤.
(٣) الخلافة الإسلامية، ص١٦.
(٤) الخلافة الإسلامية، ص٢٠٠.

الطعن في أسلاف هذه الأمة والحط من شأنها، وليس هناك من مسلم عاقل له أدنى علم بالدين الإسلامي شك في كون حكومة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ مثلا أعلى للحاكم الصالح العادل الذي يراعي حقوق الأمة ويسعى في مصالحها أكمل مراعاة ومسعاة(١). وكانت هناك السيادة الحقة للقانون القرآني، ومع ذلك لم يكن هناك ما يمنع من سن قوانين تقتضيها حاجات الناس المتغيرة على شرط أن لا يكون هناك تعارض بينها وبين القانون السماوي المنزل(٢).

إن عشماوي يريد قطع صلة الحكومات أية حكومة بالدين بمعنى أنها تنفصل بطبيعة موضوعها وغايتها عنه، فالدين للشعب والسياسة للحكومة(٣).

المبحث الخامس

الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في نظر العشماوي

أما الخليفة الراشد الثالث ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد كان حظه من قاموس العشماوي وصف ذاته [بالاستبداد، والاستعلاء، والتعابث والتخابث، والتحايل، و...](٤) كل ذلك في نص واحد كأنه قصيدة هجاء، أما عهده بإطلاق [فهو عهد الفساد الحكومي والفساد الإداري والولاة الفسقة وسوء التصرف في بيت المال وأموال المسلمين وحماية الخارجين على القانون والنظام العام واضطهاد المحكومين ونفي المعارضين، وعدم الحكم وفقا لأوامر الله تعالى في القرآن ونهج النبي في السنة، والمحسوبية، والاستيلاء على أموال الدولة وحماية المفسدين وعدم تنفيذ القانون ووقف العمل بالدستور، واعتقال المعارضين](٥). تلك صورة الراشد الثالث والذي

---

(١) مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم، ص٣٧٥.
(٢) ينظر: محمد علي، ترجمة محمد مأمون نجا، الفكر الخوالد، ص١٨٣.
(٣) مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم، ص٣٦١، وينظر: يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجها لوجه، ص١٨٠.
(٤) العشماوي، معالم الإسلام، ص١١٧.
(٥) العشماوي، الخلافة الإسلامية، ص١٠٧ ص١٠٩.

سبق للعشماوي أن رأى في جمعه الأمة على المصحف الواحد جناية على الإنسان المسلم والعقل الإسلامي[١].

إن عشماوي يحمل الخليفة الثالث مسؤولية إضافة بعض الأمور إلى الله تعالى، فعثمان قد نسب كثيرا من الأمور إلى الله سبحانه وتعالى، مثل العمل فقال: (عمل الله)، والخلافة فقال: (خلافة الله) لكنه استخدمها على سبيل المجاز][٢]، فقال عثمان: «لن أتبرأ من عمل الله وخلافته» وبهذا النص كما يقول العشماوي: [وردت في التأريخ الإسلامي لأول مرة صيغة خلافة الله].

ولم يكن سيدنا عثمان بن عفان ﵁ يقصد بها هذا المعنى الحرفي الذي يفيد أن الله استخلفه، وهو أمر شائع في العهد الجاهلي بنسبة كل شيء إلى الله تعالى، كما يقال: (يمين الله) و(شاهد الله) و(كتاب الله) وهكذا[٣].

والعشماوي رجل المتناقضات الممجوجة وغير المألوفة يزعم بأن الرجل قد قال إن الخلفاء خلفاء الله، وهو معنى نشأ في بداية الخلافة على عهد أبي بكر رضي الله عنه، رغم معرفة الجميع واعتراف عشماوي برفض أبي بكر الصديق ﵁ لهذا اللقب.

ثم هو يقول[٤]: إن نشأة هذا اللقب كان في خلافة عثمان، وفي الصحيفة نفسها التي قال فيها هذا وبعد سطور يقدم تأريخا ثالثا لنشأة هذه المصطلحات (خلافة الله) و(خليفة الله) وهو العهد الأموي، فيقول[٥]: [إن تعبير (خلافة الله) و(خليفة الله) تعبير أموي، وقد تلقف معاوية -سليل

---

(١) المرجع نفسه، ص٨٦-١٠٢، والعشماوي، أصول الشريعة، ص١٥٠.

(٢) ينظر: الخلافة الإسلامية، ص١٠٢، وأصول الشريعة، ص١٥٠.

(٣) ينظر: محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٦٥.

(٤) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، ص١٠٦.

(٥) الخلافة الإسلامية، ص١٤٩-١٥٠.

والعشماوي يزعم أن نسبة الأشياء والأعمال إلى الله هي استعمال جاهلي، مع أن هذا التعبير مألوف في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ففي القرآن: وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾، وفي السنة: ((هنا مال من مال الله))، رواه مالك في الموطأ، ينظر: باب الزكاة، ١/ ٢٦٠. وقوله ﷺ: ((من مال الله الذي معك))، رواه البخاري، ينظر: الصحيح، ٣/ ٣٣٦.

المتطلعين إلى الملك- هذين التعبيرين ليجعل منهما صيغة إسلامية لمبدأ حق الملوك المقدس في الحكم، ذلك المبدأ الذي كان شائعا ومنتشرا في الدولة الرومانية التي كانت تحكم سوريا قبل أن يفتحها المسلمون ويولى معاوية عليها، فلقد قال معاوية: «الأرض لله... وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما تركته للناس فبالفضل مني»، وهو في هذا القول لم يكن يرمي إلى المعنى المجازي الذي درجت عليه العرب في لغتها منذ عصر ما قبل الإسلام، ولكنه كان يقصد إلى المعنى الحقيقي الذي يفيد فكرة استخلاف الله له مباشرة وإطلاق الأمر بين يديه يفعل ما يشاء بالمال والعباد][1].

ومن افتراءات العشماوي على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه: [أن عثمان بن عفان فتح خزائن بيت المال أمام أهله وعشيرته بني أمية، فقبل في ذلك كله مبدأ ما يطلق عليه في الآونة الحالية عهد الفساد الحكومي أو الفساد الإداري، وقد أخذ المسلمون على عثمان أخطاء عدة تدلك على هذا الفساد، منها أنهم قالوا:...][2].

وخلاصة هذه المؤاخذات التي ذكرها عشماوي:

١ - أن النبي ﷺ نفى الحكم بن العاص وطرده من المدينة فظل طريدا طوال حياة النبي ﷺ ومدة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه آوى طريد النبي ﷺ.[3]

وقال علماؤنا في جوابه: قد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ وقال أي عثمان لأبي بكر وعمر في ذلك، فقالا له: إن كان معك شهيد رددناه. فلما ولي قضى بعلمه في رده، وأنه خاطب الحاضرين له أن النبي ﷺ سيره إلى الطائف ثم رده رسول الله ﷺ فهو الذي سيره وهو الذي رده كذلك؟ قالوا: نعم[4].

---

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/ ٦٤، وينظر: الطبري، تأريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٥٥.

(٢) الخلافة الإسلامية، ص١٠٧-١٠٩.

(٣) ينظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص٧٩.

(٤) د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل، ص١٤٦.

إن هذه الرواية وهي رواية رد الحكم بعد أن نفاه النبي ﷺ إلى الطائف تتهافت وتضعف من وجوه:

أ - أنها لم تثبت ولا تعرف بسند صحيح.

ب - الحكم من مسلمة الفتح وكان من الطلقاء، والطلقاء كلهم من مكة ولم يعيشوا في المدينة، فكيف ينفيه النبي ﷺ من المدينة وهو ليس من أهلها أصلا؟!

ت - من المعلوم أن النفي أقصاه سنة، ولم يعلم من الشارع أن نفيا مقداره مدى الحياة إلا هذا[١].

٢ - ومن الأمور التي أثيرت حول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه أن عثمان اتخذ أقرباءه عمالا على الأمصار، وأن عثمان ممن أنكر عليه ذلك، والإمام إذا رأى المصلحة في فعل شيء فعله، فقد يرى الإمام الأصلح لتولي الإمارة سواء كان قريبا أم غريبا، كما عين علي رضي الله عنه بعض أقربائه الإمارة كابن عباس رضي الله عنهما وغيره[٢]. وحيث ولى عمر رضي الله عنه المغيرة بن شعبة[٣] وقد اتهم بالزنى، وولى قدامة[٤] البحرين فشرب الخمر متأولا. وإذا أنكر الناس على عثمان رضي الله عنه تولية بعض الولاة فقد أنكر الناس على النبي ﷺ إمارة زيد بن حارثة[٥].

٣ - وأنه فتح خزائن بيت المال لبني أمية.

وقد أجاب عثمان بن عفان رضي الله عنه عن هذا الاتهام الباطل، حيث قال:

---

(١) عثمان بن محمد آل خميس التميمي، حقبة من التأريخ، ص٦٣. وينظر: د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل، ص١٤٦.

(٢) محمد بن يحيى بن أبي بكر الأشعري، (ت٧٤١هـ) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، حققه د. محمد يوسف زايد، دار الثقافة (الدوحة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) ص١٩٠.

(٣) المغيرة بن شعبة بن عامر الثقفي، أسلم قبل عمرة الحديبية، (ت٥٠هـ). ينظر: ابن حجر، الإصابة، ٣/ ٤٥٣.

(٤) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي، أحد السابقين في الإسلام، وهو أخو عثمان بن مظعون، (ت٣٦، وقيل ٥٠). ينظر: ابن حجر، الإصابة، ٣/ ٢٢٨.

(٥) محمد بن يحيى، التمهيد والبيان، ص١٩٠.

«قالوا إني أحب أهل بيتي وأعطيهم، فأما حبي إياهم فإنه لم يمل بي على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإني أعطيهم من مالي ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من المسلمين»[١].

وقد فرق رسول الله ﷺ غنائم حنين على المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة وترك الأنصار؛ لما رأى في ذلك من المصلحة، ورأى عثمان رضي الله عنه ما فيه المصلحة ففعله. وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية، فبدأ ببني العيص فأعطى آل الحكم أي رجالهم عشرة آلاف لكل واحد، فأخذوا جميعا مائة ألف، وأعطى بني عثمان وبني العاص وبني العيص[٢].

فإن قيل أعطى عثمان رضي الله عنه من بيت المال من ليس له فيه حق، قيل لا يثبت ذلك عنه، وكيف يقبل هذا وعثمان رضي الله عنه من أكثر الناس مالا؟ وأكثرهم عطية ومعروفا؟ مع أن العصر لا يخلو من جهال يقولون ما لا يعلمون، فقد قسم رسول الله ﷺ يوما قسما، فقال له رجل: «هذه قسمة ما أريد بها وجه الله» فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب، ثم قال: «رحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من ذلك فصبر»[٣].

وأما تسليم خمس الغنائم لمروان بن الحكم فإن ذلك لا يصح، والذي صح هو إعطاء خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده وجهده في سبيل الله تعالى[٤].

ويقال إن علي بن أبى طالب رضي الله عنه ناظر الناقمين على عثمان حينما خرجوا عليه، وسألهم ماذا ينقمون عليه؟ فذكروا أشياء، منها أنه حمى الحمى، وأنه أحرق المصاحف، وأنه أتم الصلاة، وأنه ولى الأحداث

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه. ص١٨٦.

(٣) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، رقم (٣٢٢٤)، ٥/ ٢٥١. ومسلم، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم (١٠٦٢).

(٤) الطبري، تأريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٤٧، ومحمد بن يحيى الأشعري، التمهيد والبيان، ص١٨٩.

الولايات وترك الصحابة الأكابر، وأعطى بني أمية أكثر الناس. فأجاب سيدنا علي رضي الله عنه: أما الحمى فإنه حماه لإبل الصدقة تسمن، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه، وقد حماه عمر من قبله، وأما المصاحف فإنه حرق ما وقع فيه اختلاف وأبقى لهم المتفق عليه كما ثبت في العرضة الأخيرة، وأما إتمامه الصلاة بمكة فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتمها، وأما تولية الأحداث فلم يول إلا رجلا سويا عدلا، وقد ولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد[١] على مكة وهو ابن عشرين سنة، وولى أسامة بن زيد بن حارثة وطعن الناس في إمارته، فقال: «إنه لخليق بالإمارة»، وأما إيثاره قومه فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشا على الناس[٢].

أو إن الذي أجابهم هو عثمان نفسه رضي الله عنه.

وقيل بأن عثمان ضرب عماراً، وهذا لا يثبت من وجه صحيح، ولو ثبت على فرض ثبوته فإن للإمام أن يؤدب بعض رعيته بما يراه[٣].

وقيل إنه ولى أقواما لا يستحقون الولاية، منهم الوليد بن عقبة[٤]، وقيل إنه شرب الخمر وأقاموا عليه الحد، والذي أقام عليه الحد هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٥].

إن هذه الطعنات والافتراءات الموجهة ضد سيدنا عثمان بن عفان الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين من المستشار عشماوي والتي اختلقها وتبناها من قبله السبئية والشعوبية الحاقدة الذين أظهروا العداء للدولة

---

(١) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، أسلم يوم الفتح، استعمله النبي ﷺ على مكة، توفي آخر خلافة عمر رضي الله عنه. ينظر: الإصابة، ٣/ ٤٥١.

(٢) الطبري، تأريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٤٧-٣٤٨. وابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٢٠٧. ومحمد بن يحيى الأشعري، التمهيد والبيان، ص١٩٠.

(٣) محمد بن يحيى، التمهيد والبيان. ص١٩٠.

(٤) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، وولاه الخليفة عثمان الكوفة ثم عزله عنها. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٤٥١.

(٥) ينظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ١/ ٤٨٩. وينظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص٩٨-٩٩.

الإسلامية وتمردوا على نظام الخلافة وخرجوا عن طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ وأخذوا يظهرون ما هو حسن بأنه سيئ ويفسدون إعماله الحسنة على أنها كلها سيئات، وهكذا كل حاقد وناقم يغمض عينيه ويصم أذنيه عن كل ما هو حسن وجيد ومشرق. ولا يسمع ولا يبصر إلا ما هو شيء مظلم ومثلهم عشماوي نصب نفسه مدافعا عن أعداء الإسلام ولامزا وغامزا الإسلام والمسلمين[١]

إن عشماوي ينقل رواية متهافتة تنقص من قدر سيدنا عثمان رضي الله عنه فيذكرها عشماوي في كتبه ويطير بها فرحا لأنها تقلل من شأن الصحابة فالرواية ينقلها الطبري من تاريخه ويرويها عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها تقول: «اقتلوا نعثلا فقد كفر»[٢]

الرواية تقول قال: حدثنا نصر بن مزاحم. حدثنا سيف بن عمر عن محمد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفي قال حدثنا عمر بن سعد عن أسد بن عبد الله عمن أدرك من أهل العلم أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف[٣]... الرواية

مناقشة أسانيد هذه الرواية قال يحيى بن معين عن سيف بن عمر قال [فلس خير منه] قال أبو حاتم [متروك الحديث يشبه حديث الواقدي] قال أبو داود [ليس بشيء] وقال أبو حاتم بن حبان [يروي الموضوعات] قال. قالوا: كان يضع الحديث[٤].

محمد بن مؤيد روى عن سيف بن عمر[٥]: وسيف بن عمر من هو كما تقدم ذكره أما عمر بن سعد الخولاني، فمتهم بوضع الحديث[٦]. وهو شيعي

---

(١) إبراهيم شعوط، أباطيل، ص١٤٨.
(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٢٤٠.
(٣) سرف مكان بين مكة والمدينة، ينظر: حسين مؤنس أطلس التاريخ الإسلامي، ص٤٥.
(٤) ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٢/ ٣٢٤-٣٢٧.
(٥) أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٨/ ١١٠.
(٦) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٤/ ٣٠٧.

بغيض، قال أبو حاتم: متروك الحديث، قال البخاري: لا يصح حديثه.

وظهرت الرواية متهافتة بهذا الطريق المعروف التي يتذرع بها عشماوي. قال ابن كثير قال أبو معاوية[(١)] عن الأعمش[(٢)] عن خيثمة[(٣)] عن مسروق[(٤)]. قال: قالت عائشة حين قتل عثمان: «تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قتلتموه!». وفي رواية: قريتموه ثم ذبحتموه كما ذبح الكبش. فقال لها مسروق: «هذا عملك أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم أن يخرجوا إليه»، فقالت: «ألا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا». قال الأعمش فكانوا يرون أنه كتب على لسانها وهذا إسناد صحيح إليها.

وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله، زوّروا كتبا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان رضي الله عنه[(٥)].

تقول السيدة عائشة: [قتل مظلوما والله]، وتقول أم سليم: حينما سمعت بقتل عثمان (رحمه الله أما أنه لم يجلبوا بعده إلا دما][(٦)].

قال أبو جعفر الباقر: [كان قتل عثمان على غير وجه الحق][(٧)].

---

(١) أبو معاوية الضرير محمد بن حازم محدث الكوفة روى الأعمش وروى عنه أحمد بن حنبل (ت١٩٥هـ)، الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٤.

(٢) الأعمش: سليمان بن طهران المعروف بالأعمش. كان ثقة عالما فاضلا من أهل الكوفة (ت ١٤٨هـ) ينظر: ابن حلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ١٣٨.

(٣) خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي وثقه ابن معين والعجلي، ينظر: صفوت عبد الفتاح محمود، المغني في معرفة رجال الصحيحين، بيروت، ١٢١٨-١٩٨٧م، ص٧٧.

(٤) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني من التابعين بالكوفة، (ت ٦٣هـ). ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٧٩

(٥) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٥، وينظر: د. عبد المتعال محمد الجبري، حوار مع الشيعة، دار الطباعة والنشر الإسلامية، (القاهرة: د.ت) ص٦٦.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٣٣٥.

(٧) المصدر نفسه، ٧/ ٣٣٥.

قد اتسمت خلافة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بالتسامح والتوسع على الناس في العطاء والاستمرار في حركة الفتوح فظهر في أثناء ذلك الغنى والازدهار الاقتصادي بتدفق الأموال على الدولة، حيث توسع الناس في معايشهم وحظي المهاجرون والأنصار وأصحاب السابقة والجهاد بما لم يحظ به الروادف الذين التحقوا بالجهاد في مرحلة متأخرة. وقد ظهرت نواة المعارضة في الكوفة والبصرة ومصر وقام بالتحريض عبد الله بن سبأ اليهودي[١] في صنعاء أسلم في خلافة عثمان ﷺ، وتبنى دعاية واسعة تنتقد سياسة عثمان وشرعية خلافته وتؤكد على أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة. وقد نسب إليه صفات إلهية.

فالدعاية الواسعة التي قام بإعلانها عبد الله بن سبأ اليهودي ضد الخليفة عثمان ﷺ فأثار بعض القضايا مثل هل المال مال الله أو مال المسلمين؟ وهناك بعض الأمور التي تتعلق بالخلافة مثل مسألة الوحي التي اختلقها هؤلاء الذين أثاروا الشغب بين المسلمين وأثاروا الفتنة الكبرى[٢].

المبحث السادس

الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ
في نظر العشماوي

علي بن أبي طالب ﷺ الذي اختصته الأمة في عفوية بدعائها له كلما ذكر اسمه (كرم الله وجهه) وصاحب الآثار المضيئة في معارك الإسلام. والفقه والاجتهاد والقضاء. طوال حياته وبعد مماته إلى يوم القيامة. فإنه في الرؤية العشماوية [شخص مناور، ورجل مداور، شق عصا الطاعة على الجماعة، وبذر بذور الفتنة في الخلافة وشؤون الحكم، وأراق دماء المسلمين في سبيل

(١) وقد دار جدل طويل حول شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي. ولكن تنوع المصادر من سنية وشيعية يجعل من الصعب القبول بنفي الوجود التاريخي له، ينظر: أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص٦٢-٦٣، د. عبد المتعال الجبيري، حوار مع الشيعة، ص٦٤.

(٢) د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص١٥٠.

الملك والإمارة][١].

فمن تدعو له الأمة (كرم الله وجهه) وهو عند العشماوي [مناور] أي لا يتقي قبيحا ولا يرعوي لحسن. هذا رأي العشماوي في قمم جيل الصحابة الذين صنعهم رسول الله ﷺ على عينه، والذين أقاموا الدين وأسسوا الدولة وقادوا الأمة وغيروا وجه التاريخ[٢]﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾[٣].

يقول العشماوي في كتابه الخلافة الإسلامية: [لم يقتصر الفساد على عهد عثمان وعلى الأمويين وحدهم بل حدث كذلك في عهد علي بن أبي طالب الخليفة الرابع من (بني هاشم) وتكفي في بيان ذلك واقعة واحدة ذات خطورة بالغة أولى من واقعات عدة واصرح من حوادث كثيرة...] على حد تعبير العشماوي، ذلك أن أبا الأسود الدؤلي صاحب بيت المال في البصرة، أرسل إلى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول فيها: «عاملك وابن عمك عبد الله بن عباس قد أكل ما تحت يده بغير علمك»، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه هو ابن عم النبي كذلك حبر الأمة الإسلامية، وكان على ولاية البصرة. فأرسل الخليفة إلى ابن عمه وواليه يسأله فيما وصل إليه، وبعد مرسلات أجاب عبد الله بن عباس رضي الله عنه برسالة استقالته إلى ابن عمه الخليفة جاء فيها، [والله إن ألقى الله بما في بطن هذه الأرض من عقيانها، وبقلاع ما على ظهرها، أحب إلي من أن ألقاه وقد سفكت دماء الأمة لأنال بذلك الملك والإمارة، فابعث إلى عملك من أحببت]. وهي استقالة تتضمن التبجح وعدم الاستحياء،... وبعد هذه الاستقالة العجيبة جمع ابن عباس ما تبقى من أموال في بيت المال. وتقدر بستة ملايين درهم. ومضى بالمال إلى مكة آمنا بها..][٤].

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص١٠٧-١٠٩، معالم الإسلام، ص١١٧.

(٢) ينظر: ابن عبد ربه أبو عمر بن أحمد بن محمد (ت٣٢٨) كتاب العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) ٤/ ٣٣٤.

(٣) سورة الحشر، آية: ٨.

(٤) الخلافة الإسلامية، ص١٠٦.

وهكذا شأن العشماوي، ينشر الخبر ويذيعه الذي يجده في سقطات التاريخ والروايات المتهافتة الشعوبية التي تنقض من سلف هذه الأمة وقادتها. إن الإمام أحمد بن حنبل يقول عن الذي يتوقف في خلافة علي بن أبي طالب قال: [هو أضل من حمار أهله] وأمر بهجرانه. ولم يتردد الإمام أحمد ولا أحد من أئمة أهل السنة في القول أنه ليس غير علي أولى بالحق منه ولا شكوا في ذلك[(١)].

فأهل السنة مجمعون على أن أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم اختلفوا في عثمان وعلي، والجمهور على أن عثمان أفضل من علي ثم اتفقوا بعد ذلك على أن علي بن أبي طالب أفضل ممن بعده[(٢)]. ولما قتل سيدنا عثمان خليفة المسلمين جاء الناس إلى سيدنا علي ابن أبي طالب أن هذا الرجل قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ. فقال: «لا تفعلوا فإني أكون لكم وزيرا خير من أن أكون أميرا». فقالوا: «لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك». قال ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفيا ولا تكون إلا عن رضى المسلمين»[(٣)].

وقد بادر الناس إلى علي ليبايعوه فأظهر رغبته عن الخلافة في تلك الظروف فقال: «والله إني لأستحيي أن أبايع قوما قتلوا رجلا قال فيه رسول الله ﷺ: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»[(٤)] وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد»، فانصرفوا فلما دفن عثمان ﷺ أتوه مرة أخرى وسألوه البيعة وقالوا لابد للناس من خليفة ولا نعلم أحدا أحق

---

(١) أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ٢/ ٧٥.

(٢) ينظر: عثمان بن محمد آل خميس التميمي، حقبة من التاريخ، ص٢٠.

(٣) ينظر: ابن سعد الطبقات الكبرى، ٣/ ١٣١. المسعود، التنبيه والإشراف، دار التراث، بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م) ص٢٥٥-٦٥٦. وينظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ٢/ ٨٩٥.

(٤) رواه مسلم، ينظر: شرح صحيح مسلم رقم الحديث (٢٢٠١) ١/ ١٧٨. وبمعناه في صحيح ابن حبان، ١٥/ ٣٣٦.

بها منك فقال لهم علي بن أبي طالب: «فإني لكم وزير خير مني لكم أمير». فقالوا: «والله ما نعلم أحداً أحق بها منك»[١]، فكيف يدعي العشماوي أنه سفك الدماء لطلبه الملك والخلافة. فذلك ادعاء باطل فكيف يكون ذلك الإمام صاحب السابقة في الإسلام والجهاد والقضاء والعلم. يكون في فكر عشماوي [مناور مداور شق عصا الطاعة وبذر بذور الفتنة في الخلافة]. وموضع اتهام عبد الله بن عباس ﷺ بنهب أموال المسلمين في البصرة وغدره بابن عمه علي ابن أبي طالب الخليفة الرابع وهروبه بالأموال المسروقة إلى مكة وتطلعه للانضمام إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ بعد أن كان مع علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه[٢].

ويشارك العشماوي في هذا الاتهام الباطل طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى)[٣] باعتمادهم على رواية متهافتة رواتها متهمون بالكذب من قبل رجال الحديث ثم أن رجال الحديث لم يتعرض أحد منهم إلى ذكر هذه الرواية وهم المصدر الموثوق به لم يذكروا شيئا من ذلك. وكذلك أصحاب التراجم والمؤرخون الثقات، إن هذه الرواية ضعيفة لأن فيها أبا مخنف. وهذا رجل كذاب كما قال عنه المحدثون. قال عنه ابن معين: ليس بثقة. وقال أبو حاتم: متروك الحديث. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال الذهبي: إخباري تالف لا يوثق به[٤]، فتبين أن سند هذه الرواية تالفة لا يوثق بها. وهكذا شأن الحاقدين على سلف هذه الأمة وقادتها.

وإن ابن عباس مكانته معروفة من النبي ﷺ. ومكانته معروفة من الفقه والدين والورع فهو أرفع من أن يظن به مثل هذا التجاوز والانتقاص من

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/ ٣٣١. وأحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ٢/ ٨٦٥. والمسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٥٦ وينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٤. وينظر: علاء الدين المدرس، الأمة الوسط، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص٢٠.

(٢) ينظر: العشماوي، معالم الإسلام، ص١١٧. وينظر: الخلافة الإسلامية، ص١٠٩.

(٣) طه حسين الفتنة الكبرى، ص٢٢١.

(٤) ينظر: الذهبي ميزان الاعتدال، ٣/ ٤١١، ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٤/ ٤٩٢.

مكانته الذي قال عنه الرسول ﷺ «اللهم علمه الكتاب»[١]، ويروي الإمام أحمد عن طاووس أنه قال: «والله ما رأيت أحدا أشد تعظيما لحرمات الله من ابن عباس. والله لو شاء إذا ذكرته أن أبكي لبكيت»[٢].

فهذه مكانة ابن عباس رضي الله عنه عند النبي ﷺ وعند الصحابة والتابعين ومما يزيد في ضعف هذه الرواية وتهافتها. أن الوشاية نقلها إلى الإمام علي بن أبي طالب. أبو الأسود الدؤلي الذي كانت بينه وبين ابن عباس مغاضبة وانزعاج. يروي الإمام الطبري في حوادث (٤٠هـ) أنه مر عبد الله بن عباس على أبي الأسود الدؤلي فقال له: «لو كنت من البهائم لكنت حملا، ولو كنت راعيا ما بلغت المرعى ولا أحسنت مهنته في المشي»[٣] فكتب أبو الأسود الدؤلي إلى علي بن أبي طالب: [أما بعد فإن الله عز وجل جعلك واليا مؤمنا وراعيا مسؤولا، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحا للرعية توفر لهم فيئهم. وتكف نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي في أحكامهم. وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يده بغير علمك. فلم يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمك الله فيما هنالك واكتب إلي برأيك فيما أحببت أن آتيه إليك والسلام][٤].

وعلى فرض أنه لو صحت هذه الرواية لم يكتب أبو الأسود الدؤلي. إلا فور المغاضبة التي بينه وبين ابن عباس رضي الله عنه والتي ذكرها الطبري مقرونة بكتاب أبي الأسود الدؤلي. ومعنى ذلك أنه لو لم تحدث المغاضبة لما كتب أبو الأسود إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٥] ومع ذلك فإن ابن عباس رضي الله عنه رد على كتاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بشأن مقال أبي الأسود الدؤلي بهذه العبارة: [أما بعد فإن الذي بلغك باطل، وإني لما تحت يدي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢/ ٣٥٩، ومثله في البخاري، ٦/ ١٦٩ وينظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ٢/ ٩٤٩.

(٢) إسناده صحيح إلى طاووس. ينظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة ٢/ ٩٥٠ والهامش.

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الرسول والملوك، ٥/ ١٤١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسول والملوك ٥/ ١٤٢.

(٥) د. إبراهيم شعوط، أباطيل، ص١٩٣.

قائم وله حافظ، فلا تصدق الظنون... والسلام][١].

ومما يجعل هذه الرواية مضطربة. أن الطبري يروي رواية أخرى وينقلها ابن الأثير. وهذه الرواية تنفي بأن ابن عباس خرج من البصرة قبل مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه بقي عاملا على البصرة حتى صالح الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ثم خرج إلى مكة[٢].

وفي رواية أخرى للطبري أنه بعد حضوره الصلح رجع إلى البصرة وحمل معه مالا من بيت المال قليلا وقال: هي أرزاقي[٣].

ثم أن أبا الأسود الدؤلي لا يقارن بابن عباس الذي أثنى عليه الرسول ﷺ والصحابة وأبو الأسود الدؤلي كان معروفا بالبخل. وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم. وكان يوصي أولاده لا تجاودوا الله عز وجل فإنه أجود وأمجد ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا[٤]، فهذا لا تقبل شهادته على حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه والرواية التي ينقلها ابن خلكان أن ابن عباس هو الذي استخلف أبا الأسود الدؤلي على البصرة[٥].

وأما عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقد اتفقت كتب الترجمة والسيرة على ذكر الحقائق التاريخية ومن هذه الحقائق التي ذكرتها كتب السيرة والتراجم:

١- أنه رأى جبريل مرتين ودعا له رسول الله ﷺ مرتين.

٢- أن الرسول ﷺ قال (اللهم علمه الحكمة)[٦].

---

(١) ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) طبقات النحويين واللغويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط١، (القاهرة: ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م)، ص١٤. وينظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، النهضة العربية، (القاهرة، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥) ٤/ ٣٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥/ ١٤١. (٣) ابن الأثير، الكامل، ٣/ ١٩٤.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٢١٧-٢١٨.

(٥) المصدر نفسه، ٢/ ٢١٧-٢١٨.

(٦) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، (ت ٤٦٣هـ) والاستيعاب، في أسماء الأصحاب، بهامش الإصابة، ٢/ ٣٥٢. ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ١٩٣. وينظر: ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٣٣٠.

قال ابن الأثير في أسد الغابة: [إنه أي ابن عباس فاق الناس بخصال: بعلم ماسبقه. وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم. ونسب. وتأويل. وكان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ وكان أعلم بقضاء وأبي بكر وعمر وعثمان، وكان يجلس يوما لا يذكر فيه إلا الفقه، ويوما للتأويل. ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لأيام العرب[١] وكان ورعا]. وقال المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم: [كان في خدي ابن عباس أثر للدمع[٢] من كثرة البكاء][٣].

إن موقف عشماوي كما هو موقف طه حسين من قبله هو النيل من قادة الأمة وتراثها هو موقف شائن لا ينسجم والاحترام اللازم لقادة هذه الأمة والخدمات الجليلة التي قدموها لها من جهاد وجهد علمي وحضاري خدموا به حاضرها ومستقبلها، إننا إذا قرأنا ما يكتبه خصوم الإسلام من اليهود والنصارى والملاحدة نقرؤه بحذر؛ لأن الخصومة الدينية والتكاثر بالعاطفة يوحي دائما بالانحراف عن الحقيقة، وهذا الحذر أصل من أصول البحث التاريخي، أما إذا كتب المسلمون عن الإسلام فإننا نكتفي بأن الكاتب مسلم. ولكن قد يكون المسلم هذا أشد خطرا على الإسلام من كل خصومه. فمتى ما ثبت الشك في عقيدة المسلم وبدأ الحقد يظهر من جوانبه فيجب أن نضعه مع الصنف الثالث الذين تحدث عنهم القرآن الكريم في كثير من الآيات القرآنية وهم المنافقون الذين يظهرون الإسلام وهم عن الآخرة غافلون، وهم يضمرون العداوة والبغضاء للإسلام والمسلمين ومنهج العشماوي ومن سار على نهجه[٤]. يتهمون حبر الأمة عبد الله بن عباس بالسرقة وهو الذي كان عازفا عن الدنيا[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ٣/ ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ١٩٣.

(٣) د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل، ص١٩٦.

(٤) ينظر: طه حسين، الفتنة الكبرى، ص١٢٩.

(٥) د. علي شعوط، أباطيل، ص١٩٨.

الفصل السابع

الخلافة بعد العهد الراشدي

المبحث الأول

الدولة الأموية في نظر عشماوي

يتابع عشماوي نقده للخلافة الإسلامية. فقد اتهم الدولة بعدة اتهامات وإنه ينظر إلى الدولة الأموية بمنظار الشعوبية الحاقدة والفارسية البغيضة التي شوهت تاريخ الدولة الأموية ولن تنظر منها إلا على جوانبها السلبية، وأغفلت مزاياها وأغمضت عيونها عن كل منجزاتها وحسناتها، فقد أورد عشماوي مقالة الخليفة معاوية ﵁ منتقداً إياها. [الأرض لله. وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما تركته للناس فبالفضل مني] ففي هذا القول لم يكن يرمي إلى المعنى المجازي الذي درجت عليه العرب في لغتها منذ عصر ما قبل الإسلام ولكنه كان يقصد إلى المعنى الحقيقي الذي يعبر عن فكرة استخلاف الله له مباشرة وإطلاق الأمر بين يديه يفعل ما يشاء بالمال والعباد ويكون فعله هو فعل الله ذاته وعمله هو عمل الله ذاته ويده يد الله نفسها وحكمه حكم الله سبحانه وبذلك كانت الخلافة قيصرية كسروية. حكم الخلفاء فيها بدعوى خلافة الله والحق الإلهي المقدس في الحكم(١).

فالتراث الروماني بالحق الإلهي الذي كان سائداً في الشام قبل الفتح الإسلامي قد ورثته الدولة الأموية وأسست عليه وانطلاقاً منه. وهذا ما يراه عشماوي. والنصوص التي تتكرر عشرات المرات في كتب عشماوي، هي هذه المعاني إذ يقول: [إن الدولة الأموية تأثرت في كثير من النظم السياسية والفهم

(١) ينظر: العشماوي، الخلافة الإسلامية، ص٨٦.

السياسي بما كان سائداً في بيزنطة. وكان معاوية وخلفاؤه في حاجة إلى نظرية تبرر لهم حقهم من حيث اغتصاب السلطة ثم جعلها وراثية، فلجؤوا إلى الفقهاء يطلبون عونهم في ذلك واتجه الفقهاء إلى النظريات الغربية يفرغونها في صيغ إسلامية لتبرير السلطة ومدها بكل أسباب الاستبداد. لقد استعار الفقهاء أفكارهم من الآراء الغربية في العصور الوسطى من الحكم مع أن ذلك خلافا للإسلام نصا وروحا فقدمت آراؤهم للخلفاء المستبدين قوة كبيرة وسلطاناً مطلقاً على الأرض والناس والمال. كما أفضت بهم إلى عصمة واقعية تجعلهم غير مسائلين أمام الناس محصنين من العزل، ثم يصل عشماوي إلى القول: [بهذا انزلق الدين إلى مهوى خطير وانحدرت الشريعة إلى مسقط عسير، فأقحمت القواطع بين الدين والدنيا][1].

فهل لهذا الخيال العشماوي الجامح خط من التماسك والمنطق، أو الصدق بأي معيار من المعايير؟، إن ما يتعلق بمعاوية وخلفاء الدولة الأموية ومسؤوليتهم عما زعمه عشماوي.

ويجعل [فعل الخليفة فعل الله ذاته ويد الخليفة يد الله نفسها، وحكمه حكم الله سبحانه] ويجعل خلافته استخلافاً مباشراً من الله وليس من الناس. فإنه زعم مركب يحتاج إلى الرد عليه بشيء من التفصيل وذلك في النقاط الآتية[2]:

١ ـ إن الكلمات المنسوبة إلى معاوية ﷺ قد أصابها العشماوي بالتحريف ووظفها في غير ملابساتها. صحيح أن معاوية ﷺ قال عن المال أنه مال الله. لكن قال ذلك وهو عامل[3] لعثمان ﷺ على الشام في حوار بينه وبين أبي ذر الغفاري ﷺ الذي اعترض على هذا التعبير مخافة التطبيقات التي يمكن أن تنطلق من دلالات اللفظ وقال لمعاوية إن المال مال الناس

(١) ينظر: الإسلام السياسي، ص٨٩ - ٩٠ كذلك ص٤٠ - ٤١. معالم الإسلام ١٣٣ - ١٢٩. جواهر الإسلام، ص١٥٥.
(٢) محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٨٤.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/٥٧.

ليؤكد على دور رقابتهم في توزيع المال. فلم يكن معاوية ﷺ يومئذ خليفة يؤسس[(١)] لخلافته نظرية بالحق الإلهي. والخلاف بين معاوية وبين أبى ذر لم يكن على عبارة (مال الله) فهو تعبير قراني ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ﴾[(٢)]. وإنما كان الخلاف على سلطة الناس في مال الله، بل إن الخليفة معاوية ﷺ خليفة بالبيعة من الناس. وحتى عندما أراد استخلاف ابنه يزيد حرص على أن يكون ذلك بالبيعة، وبصرف النظر عما استخدم فيها من الترغيب والترهيب، المهم أن مصدر الخلافة كان البيعة وليس استخلاف الله له مباشرة، كما يزعم العشماوي.

٢ ـ في أولى خطب معاوية بالمدينة بعد البيعة له يقول: «أيها الناس إن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم، وإن أبا بكر لم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته ولم يردها، وأما عثمان فنال منها ونالت منه، وأما أنا فمالت بي وملت بها فهي أمي وأنا ابنها»[(٣)].

وفي مقام آخر خطب فقال: «إن عمر قد ولاني أمرا من أمره، فوالله ما غششته ولا خنته، ثم ولاني عثمان الأمر من بعده ولم يجعل بيني وبينه أحداً فأحسنت وأسأت وأخطأت، فمن كان يجهلني فأنا أعرفه بنفسي»[(٤)].

فأين الاستخلاف الإلهي المباشر وادعاء العصمة؟ والحكم بالحق الإلهي؟ وعندما أراد العهد إلى ابنه يزيد كانت البيعة وليس ادعاء الحكم بالحق الإلهي والاستخلاف الإلهي المباشر، وادعاء العصمة. فيخطب بالمدينة قائلا: «لقد هممت ببيعة يزيد، والله لو علمت مكانه أحدا هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له»[(٥)].

ولقد رد عليه الحسين ﷺ مقالته، فقال: «والله لقد تركت من هو خير

---

(١) محمد عمارة، ثوار مسلمون، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٨٨م) ص٨٩.
(٢) سورة النور، ٣٣.
(٣) ينظر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، جمع وتحقيق: د. محمد ماهر حمادة، (بيروت، ١٩٧٤) ص١٢٦.
(٤) المرجع نفسه، ص ١٢٧.
(٥) المرجع نفسه، ص ١٢٧.

منه أبا وأما ونفسا»[١]. ورد عليه عبد الله بن الزبير في الموقف نفسه، فقال: «إن شئت أن تدع الناس كما تركهم رسول الله ﷺ فيختاروا لأنفسهم، وإن شئت أن تستخلف من قريش كما استخلف أبو بكر خير من يعلم، وإن شئت أن تصنع مثل ما صنع عمر تختار رهطا من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل»[٢].

فالجميع كانوا مجمعين على أن سبيل الخلافة هي الشورى والبيعة والاختيار وكان الخلاف حول الأصلح الذي هو أولى بالاختيار، وعند ما كتب معاوية رضي الله عنه إلى المدينة حول ذات الموضوع (البيعة) ليزيد، قال: [إني والله كبرت سني، ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يرد عليك][٣] فالحديث جميعه كان من الشورى، والاختيار، والبيعة ولا ذكر لاستخلاف إلهي مباشر أو حكم بالحق الإلهي؟

٣- أما فرية العشماوي على الفقهاء. الذين زعم أنهم قد أسعفوا معاوية وخلفاء الدولة الأموية بتبرير سلطتهم الدينية وحكمهم بالحق الإلهي بما أخذوه عن بيزنطة وتراثها في بلاد الشام من النظريات الغربية التي أفرغوها في صيغ إسلامية، هي النظريات التي أفضت بهم إلى عصمة واقعية، وإلى مبدأ حق الملوك المقدس في الحكم[٤].

فأما هذه الفرية فإنها تمثل قمة تهافت الافتراء، وذروة الافتراء المتهافت للمستشار عشماوي..

فأول وأبرز فقهاء الشام. الذي ساد مذهبه في تلك البلاد هو الأوزاعي[٥] وهو ولد بعد موت معاوية سنة (٦٠هـ) بما يقرب من ثلاثين عاما

---

(١) المرجع نفسه، ص١٤٠-١٤١. (٢) المرجع نفسه، ص١٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦٩.

(٤) د. محمد عمارة سقوط الغلو العلماني، ص١٣١.

(٥) أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، ولد سنة (٨٨هـ) (ت ١٥٧هـ) قال عبد الرحمن ابن مهري: ما كان أحد بالشام أعلم بالسنة من الأوزاعي. ينظر: ترجمته، الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٧٦.

وكان مذهبه ملتزما بالأثر. رافضا الرأي حتى عندما يراه المسلمون.

فأنى لفقه كهذا أن يفتش النظريات البيزنطية في الحكم بالحق الإلهي ليسعف بها الخلفاء؟ لقد بلغ تقليد الأوزاعي الحد الذي جعله يرفض أي جديد وكل غريب حتى نقط حروف المصحف كان رافضا وقال عن الذين نقطوا المصحف (وددت أن أيديهم قطعت) فهل يعقل عاقل أن يأخذ مثل هؤلاء الفقهاء عن الكفرة النظريات التي تقلب فلسفة الحكم في الإسلام.

٤- إذا أضفنا إلى ذلك أن أولى الترجمات في العصر الأموي عن اللغات الأخرى اقتصرت على علوم الصنعة في عهد الأمير الأموي خالد بن يزيد (ت ٩٠هـ ٨٠٧م) ولم يكن من بينها ماله علاقة بالإنسانيات والفلسفات والإلهيات. ونظريات الحكم والمذاهب فيه[١].

٥- يزيد طين هذه المفتريات العشماوية بلة. ما جهله الرجل أو تجاهله من أن نظرية الغرب في الحكم بالحق الإلهي لم يكن لها وجود في عصور الحكم البيزنطي للشام قبل الفتح الإسلامي. ولا في المواريث البيزنطية التي وجدها المسلمون بعد الفتح في تلك البلاد فهذه النظرية لم تكن قد وجدت أصلا، لا في الشام ولا في غير الشام لأن نشأتها في سياق الحضارة الغربية المسيحية لاحقة على هذا التاريخ بالعديد من القرون. وفي القرن السابع عشر ميلادي بعد انقراض الدولة الأموية والدولة العباسية وموت فقهاء المذاهب الإسلامية[٢]. فمن أين جاء العشماوي بنظريات غربية في الحكم بالحق الإلهي المقدس. قبل منشأ هذه النظريات بأكثر من عشرة قرون- ليزرعها في الشام قبل الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي ثم ليخترع تأثيرا كثيرا لهذه النظريات المتخيلة وإفراغها في صيغ إسلامية، لتبرير عصمة خلفاء بني أمية وحكمهم بالحق الإلهي المقدس[٣].

---

(١) أمين الخولي (دائرة معارف الشعب) القرآن الكريم القاهرة، ١٩٥٩م) ١/ ٧٧.

(٢) ديلاسي أوليدي، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة د. تمام حسان. القاهرة، ص٩٧.

(٣) ينظر: د. محسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية بغداد، ١٤١٠هـ-١٩٨٦م، ص٦٢-٦٣.

إنها بحق المأساة في مخترعات ومفتريات المستشار العشماوي تلك التي قدمها لإيهام قارئه بأن الخلافة الإسلامية هي كالكهانة الغربية حكم بالحق الإلهي المقدس. ليصل عبر هذا الادعاء غير المسبوق إلى الانحدار بالدين إلى مهوى خطير، والانحدار بالشريعة إلى مسقط عسير، لقد رتب العشماوي على هذا الوهم. وهم حكم الخلافة الإسلامية بنظرية الحق الإلهي المقدس أن الخلافة الإسلامية قد جعلت الخلفاء معصومين، وبعبارته [جعلت الخليفة شخصا معصوما لا يحاسب. مقدسا لا يسأل] [وصار الخليفة معصوما في فعله وقوله. وخلط العقل المسلم بين مقام النبوة ومنصب الخلافة. وأخذت السلطة السياسية في الإسلام وضع العصمة الفعلية والقداسة الواقعية. وأصبح ذلك تعبيرا عن واقع عام لدى جميع الخلفاء وأصلا مستمرا عند كل الحكام على اختلاف الزمان والمكان، وكانت المعارضة ممنوعة وغير مسموح بها. وإذا عارض أحد عد كافرا أو ملحدا أو مرتدا][١] كلا إنه افتراء عظيم وبهتان مبين.

وفي الرؤية العشماوية للدولة الأموية حيث أنه لا يرى إلا سلبياتها لا يرى من هذه الدولة إلا الخطايا والعورات، فغزواتها لبلاد الروم التي حمت بها الحدود ونشرها للإسلام شرقا وغربا في بلاد الهند والسند وما وراء النهر وشمال أفريقيا وعبور البحر إلى شبه جزيرة الأندلس وعبور الجبال الوعرة إلى بلاد أوربا كل ذلك لم يبصره العشماوي. وأخذ بعض المؤرخين بمنطق العشماوي هذا لما لم يروا من الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) غير المقصلة، ولا في الاستقلال الأمريكي غير استرقاق العبيد، ولا في المماليك الذين حفظوا الأرض والحضارة غير قتل كل سلطان للسلطان السابق عليه[٢].

والعشماوي لا يرى في حياة الدولة الأموية المذاهب والتيارات الفكرية

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص١٩، الإسلام السياسي، ص.١٣٥، ٨٦، ١١ وينظر: د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٩.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ترجمة، د. حسن إبراهيم حسن د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، (القاهرة، ١٩٧٠م) ص٢٧.

الفلسفية التي ضمت العلماء من كل عرق وجنس بل جعلت من الموالي أئمة عظمتهم ولا تزال تعظمهم الأمة حتى الآن مثل الحسن البصري (ت ١١٠هـ-٧٢٨م) وواصل بن عطاء (ت ١٣١هـ، ٧٨٠م)، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ، ٧٦٧م) وغيرهم، تتلمذ عليهم أشراف العرب وجلس معهم أعلام آل البيت مجلس التلميذ من الأستاذ. لا يرى العشماوي شيئاً من ذلك ولا يشم أنفه إلا نتن السيئات والمساوئ ولا يبصر إلا الخنا، ولا يلمس إلا المؤذي، إن كل ذلك من دوافع التعصب الشعوبي والتطرف الماسوني والحقد الصهيوني.

إن العشماوي الشاذ في رؤيته للتاريخ يرى أن نطلب تاريخ تراثنا الحافل بالعلم والعلماء والجهد والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر العدل والفضيلة في أرجاء المعمورة يرى أن نطلبها من خلال كتاب الأغاني[1] مع إن هذا الكتاب لا يعكس إلا هامشاً من حياة المجتمع وهو هامش الطرب واللهو والمجون. وهو هامش لا تخلو حضارة منه ولا يبرأ منه تاريخ لكنه ليس هو حياة الأمة كلها، هذا هو مقتضى منهاج العشماوي في مصادره ومعالم التاريخ[2].

إن مثل من يأخذ صورة مجتمع من كتاب الأغاني كمثل من يأخذ من يأخذ ذلك من نسيج الخيالي، لقد قاد هذا المنهج صاحبه إلى أن يكون من أئمة التكفير والجاهلية فحكم بهما، لا على الدولة الأموية وحدها وإنما على الأمة أيضاً، وتأمل كلماته التي يصدر بها الحكم بالكفر والجاهلية على الدولة والأمة التي شهدت المظالم التي عددها، إنه يقول[3]: [هذه نماذج من المظالم التي لا يمكن أن تقع في جاهلية وبربرية وهمجية. ومن حكام لا يعرفون الله وفي شعوب تؤمن بالله على حرف وتعتقد بالإسلام على خوف،

---

(١) العشماوي، معالم الإسلام، ص٩٤.

(٢) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص٩٤، وينظر: السامرائي، الدكتور عبد الله سلوم، الغلو والفرق الغالية، دار وسط للنشر، (بغداد، د.ت)، ص١١٢ وما بعدها.

(٣) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٣٢.

فلا تقول قولة حق لأحد ولا تدفع أي ظلم عن أحد][1] فلم ير من الدولة الأموية وإنجازاتها سوى النفايات، ولا هو التفت إلى جهاد الأمة التي امتدت على امتداد عمر الدولة حتى انطوت صفحتها، ولا هو أبصر الحضارة التي تأسست علومها الشرعية منها والمدنية في ظل تلك الدولة، فقط وقف عشماوي عند كتاب الأغاني الذي يحمل في طياته الغزل في الغلمان والفسق والمجون والدعارة والحانات والخمريات.

استغل الشعوبيون وعشماوي منهم، الخلاف الذي حدث بين معاوية بن أبي سفيان ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ إنهم وجدوا في ذلك فرصة سانحة. ومجالاً فسيحاً. للطعن في أسلاف هذه الأمة وتغيير وجه الحقيقة الناصع لهذه الأمة التي حملت راية الإسلام فاتحة بلاد الفرس والروم شرقاً وغرباً، وجدت هذه الحوادث عند هؤلاء المغرضين رواجاً وهم الذين تهيأت نفوسهم لذلك وما زالت الألسنة والأقلام تضيف إلى هذه الأحداث ما ليس منها وتزيد فيها ما ينفر الفطر السليمة ينزل بأصحاب رسول الله ﷺ عن مقامهم اللائق والمكانة المرموقة التي يجب أن تكون لهم في قلوب المسلمين[2]، فمرة يقولون أن معاوية من مسلمي الفتح[3] ومن الطلقاء وعلى فرض أنه منهم حيث قال الله فيهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[4] الآية. والحسنى هي الجنة كما قال المفسرون، وأصحاب الحسنى لا يدخلون النار أبدا.

ولو أن هناك روايات تقول أنه أسلم عام الحديبية فيروي ابن عساكر في سنده إلى معاوية أنه قال: [فأسلمت وأخفيت إسلامي فوالله لقد وصل رسول الله ﷺ إلى الحديبية وإني لمصدق به][5] فقد أصبح بمقتضى هذه الرواية مبكراً بإسلامه من يوم الحديبية أي السنة السادسة من الهجرة.

---

(١) الخلافة الإسلامية، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) د. إبراهيم علي شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص٢٠٥.

(٣) أبو بكر العربي، (ت ٤٣هـ، العواصم من القواصم، ص٨١.

(٤) سورة الحديد، من الآية ١٠.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩/ ٢٤٤.

فقد ولاه الخليفة عمر رضي الله عنه وجمع له الشام كلها وأقره عثمان رضي الله عنه وولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد واستخلفه يزيد فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له. فتعلق عثمان بعمر رضي الله عنه فأقره[١].

إن التهم الموجهة إلى بني أمية في تغيير نظام الحكم في الإسلام من مبدأ الشورى إلى الملك والوراثة. قد فرضتها الظروف المريرة في ذلك العصر والفتن التي حدثت في أعقاب وفاة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه[٢].

إن لبني أمية أعمالا عظيمة، بدءاً بمعاوية وابنه وانتهاءً بآخر خليفة حكم المسلمين. فإذا كانت المسألة أحساباً فحسب بني أمية معروف، ومنهم يزيد[٣] بن أبي سفيان[٤] الذي اقترح على عمر بن الخطاب إرسال بعثة علمية من الحجاز إلى الشام وذلك حينما كثر الناس وخشي الجهل عليهم فأرسل إليه عمر معاذاً وأبا الدرداء فصار معاذ في فلسطين وصار أبو الدرداء في دمشق، كما كان فضل نسخ المصحف للأمصار راجعاً إلى عثمان رضي الله عنه وظل الناس يقرؤون في مصحف عثمان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أن جاء عبد الملك بن مروان ورأى كثرة التصحيف في العراق. ففزع الحجاج بن يوسف (ت ٩٥هـ، ٧١٣م) حيث عمل على إعجام القرآن الكريم وقد ندب لذلك نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩هـ، ٧٠٧م) الذي قام بتنقيط الحروف المتشابهة في الصورة وذلك لتمييز بعضها من بعض كتمييز الباء من التاء والثاء وكتمييز الحاء والخاء والجيم وهكذا قد عني المسلمون بالقرآن الكريم وكانت مساجد المدن آنذاك مراكز لدراسته وفهم معانيه وقراءة رواياته وقد ألف في القرآن كثير من

---

(١) أبو بكر العربي، العواصم من القواصم، ص٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩٥.

(٣) يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أخو معاوية رضي الله عنه، وكان أفضل بني أمية وكان يقال له زيد الخير، أسلم يوم الفتح وشهد حنينا، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعير واستعمله الصديق، (ت ١٩هـ) في طاعون عمواس. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٢٩١.

(٤) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٥٤-٥٥.

الكتب[١]. وأيضا فقد نشطت كتابة السنة النبوية في عهد الدولة الأموية، فقد نشطت كتابة وتدوين السنة النبوية عن أقوال الرسول ﷺ وأحواله وأفعاله وتقريراته. وذلك أن العلماء اهتموا بكتابة الحديث سنداً ومتناً. والسند هو سلسلة رواة الحديث على التوالي لأن ذلك يثبت صحة الخبر وتبدأ السلسلة بآخر رواية وتتدرج إلى الشخص الذي صدر عنه الحديث. وأما المتن فهو محتويات الحديث[٢]. وقد شهد تدوين الحديث في العصر الأموي تطوراً سريعاً ومطرداً من خلافة عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ، ٧١٩م). الذي أمر بتدوين الحديث فقد أرسل إلى أمير المدينة أبي بكر بن حزم[٣]: [أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضيه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله][٤]، وكان عمر بن عبد العزيز يفسر غريب القرآن ويروي الحديث ويتفقه. ويعنى بما تعلق من الفقه بالزهادة والعدل والنصح للناس، ثم في شتى الأخبار والعبادات وقد حمل علم القرآن والفقه في عهده إلى أقصى الغرب ولأقصى الشرق.

وكانت أول نهضة علمية بمغرب أفريقيا بين البربر المسلمين ولم يهتم أحد من خلفاء بني أمية بالتشريع والفقه كما اهتم بهما عمر بن عبد العزيز، ورأى عمر العلم الحق ما دعا إلى القناعة وصد صاحبه عن الطمع، وكان يقول: [تعلموا العلم فإنه زين للغني وعون للفقير لا أقول أنه يطلب به ولكنه يدعو إلى القناعة]. كما اهتم عمر بنشر العلم فيكتب إلى أهله أن ينشره في مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت. وخطب ذات مرة فقال: [أيها الناس، إنما يراد الطبيب للوجع الشديد إلا فلا وجع أشد من الجهل ولا داء أخبث من الذنوب، ولا خوف أخوف من الموت].

---

(١) د. لبيد إبراهيم أحمد وآخرون، الدولة العربية الإسلامية، في العصر الأموي، (بغداد، ١٤١٢-١٩٩٢) ص١٣٥.

(٢) ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/ ٩٢.

(٣) أبو بكر بن حزم هو: محمد بن حزم المدني، يقال أن اسمه أبو بكر وكنيته أبو محمد، قاضي المدينة (ت ١٢٠هـ) ينظر: العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢/ ٢٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/ ٣٨٢.

كما اهتم عمر بعلوم الدين اهتم بعلوم الدنيا ولا سيما الطب لحاجة الناس إليه في أول معاشهم، كما أنه كرم العلماء وبحث عنهم في كل موطن وجعلهم سنده وأعوانه وبحث عنهم في كل موطن[١].

وأجرى عمر بن عبد العزيز على المعلمين الأرزاق والأجور وكان فيمن أرسله للتعليم يزيد بن حبيب[٢] أرسله عمر إلى مصر قاضيا ومعلما وأغدق عمر على عماله وقضاته ومعلميه حين ضيق على نفسه وولده، كان يعطيهم ثلاث مائة فلما سأل عن ذلك قال: [أردت أن أعطيهم وأعفهم عن الخيانة][٣].

وأما علم التفسير فقد اتخذ مجالا واسعا في عهد الدولة الأموية نظراً لسعة رقعة الدولة، فأصبحت هناك ضرورة لاستنباط الأحكام الفقهية من الآيات القرآنية. وقد اتجه المفسرون في تفسير القرآن في هذا العصر اتجاهين: يعرف أولهما باسم التفسير بالمأثور وهو ما أثر عن الرسول ﷺ وكبار الصحابة من تفسير القرآن الكريم. ويعرف ثانيهما باسم التفسير بالرأي وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل وتسمى تفاسير أهل الكلام. وهم المعتزلة والمرجئة والقدرية والخوارج. والفرق الباطنية المختلفة وغيرهم[٤].

وقد برز في هذا العصر عدد من المفسرين كانوا قد رأوا الصحابة وسمعوا منهم وهؤلاء بحكم صلتهم بالصحابة عُدّوا مرجعا للتفسير، وكان أشهرهم عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ-٦٨٦م) الذي يقال عنه أول من ألف في تفسير القرآن الكريم وقد برز من تلامذته سعيد بن جبير (ت٩٤هـ-٧٢١م)[٥]

---

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٦٣.

(٢) ترجمة يزيد بن حبيب الإمام الحجة مفتي الديار المصرية ولد بعد سنة خمسين من الهجرة في دولة معاوية وهو من صغار التابعين توفى (١٢٨هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣١.

(٣) ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٢١٠.

(٤) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٢٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٠٤.

وطاووس بن كيسان (ت١٠٦ هـ-٧٢٤م)[١] وعطاء بن أبي رباح (ت١١٥ هـ-٧٣٣م).

أما في مجال الفقه فقد تطور الفقه تطوراً مطرداً وذلك على أثر اتساع رقعة الدولة الإسلامية وضمها شعوبا متباينة في ثقافتها وعاداتها وتقاليدها فظهر من جراء ذلك في المجتمع الجديد مشاكل جديدة لم تكن موجودة في الجزيرة العربية. كانت تستدعي حلاً لها. وهكذا أصبح الفقه في هذا العصر يستند إلى أصول أربعة هي القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع وهو إجماع الصحابة على أمر من الأمور، والرأي أو الاجتهاد أو القياس. وقد برز فقهاء في عصر الصحابة[٢]، وكان أشهرهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ والخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري ﷺ[٣].

وقد ظهر في العصر الأموي عدد من الفقهاء كان أبرزهم عروة بن الزبير (ت ٩٢هـ-٧١٠م) وسعيد بن المسيب. (ت ٩٤هـ-٧١٢م) وأبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي، (ت ٩٤هـ-٧١٢م) والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (١٠٧هـ-٧٢٥م) وغيرهم من الفقهاء الذين اشتهروا في هذا العصر[٤].

أما العلوم العربية فقد نشأت في العصر الأموي مدرسة في النحو في البصرة وتذكر المصادر أن الذي وضع أسس علم النحو هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت١١٧هـ-٧٣٥م) ثم تلميذه عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ-٧٦٦م) وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ-٧٦٢م) ثم تلامذة عيسى بن عمرو وهما الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٤هـ-٧٩٠م) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ-٧٩٨م)، وقد اعتمدت هذه المدرسة في وَضع قواعد النحو وأصوله على القرآن الكريم وقراءته كما اعتمد هؤلاء على جماعة وفدوا من

(١) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٩.
(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٢٣٦-٢٤٠.
(٣) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٩-١٢.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ٦/ ١٧١، المصدر نفسه، ص٦١.

البصرة من شبه الجزيرة العربية واحترفوا تعليم أبنائها اللغة العربية الفصحى والأشعار كذلك اعتمدت الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام[١]. وفي ظل الدولة الأموية ازدهر الشعر ازدهارا كبيرا وتعددت فنونه وشمل التجديد في كل مظهر من مظاهره، وعنايتهم بهم وتشجيعهم لهم فقد كان هؤلاء عرب يهزهم الشعر وتسحرهم بلاغته كما أن الشعر هو سجل تاريخ العرب وأيامهم ومآثرهم[٢] وهكذا في كل مجالات العلم كان هناك نشاط علمي متميز.

لقد اهتمت الدولة الأموية بالخدمات العامة كان الهدف منها تقديم المساعدة وتوفير الراحة لأبناء الشعب. فالخليفة الوليد بن عبد الملك (٩٦هـ، ٧١٥م) أمر بتقديم الطعام في المساجد في شهر رمضان المبارك كما أمر ببناء دار ضيافة ومستشفى للمرضى المزمنين والمخدومين والعميان وأجرى عليهم الأرزاق[٣].

وأما الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ، ٧٢٠م) فقد أمر ببناء الخانات خدمة للمسافرين ولما حدثت مجاعة في عهده أمر بمساعدة الناس من بيت المال، وخصص لمن يعلم الفقه وقراءة القرآن في المساجد مائة دينار سنوياً.

كما اهتمت الدولة بنظافة المدن[٤]، فأمير العراق زياد بن أبيه عين جماعة كانوا مسؤولين عن تنظيف الشوارع في البصرة، وكان أمير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي مهتماً بنظافة الشوارع في واسط[٥].

وأما من الناحية العمرانية وبناء المدن والمساجد فقد تطورت وازدهرت في زمن الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، فقد تمت عدة إنجازات

(١) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٤٨. د. شوقي ضيف المدارس النحوية. ص٢٣.
(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٥٠، ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص٦ وما بعدها.
(٣) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢٩١.
(٤) الطبري، تاريخ، ٦/ ٥٩٧.
(٥) ابن الكثير، البداية والنهاية، ٩/ ٢٠٧، الدكتور، عبد القادر المعاضيدي، واسط في العصر الأموي، ص١١١.

عمرانية، وفي مجال تخطيط المدن خلال العصر الأموي منها بناء وتأسيس مدن جديدة، وبناء قصور بمثابة مدن في مناطق بعيدة عن المراكز الحضرية القديمة، استحداث وإضافة عدد من الوحدات العمرانية والتخطيطية للمدن التي كانت موجودة. وبناء المساجد الضخمة[١].

ومن أهم المدن الجديدة التي أسسها الأمويون مدينتا واسط التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق، ومدينة القيروان التي أسسها عقبة بن نافع في تونس في المغرب العربي[٢]. ولم تقتصر عمليات البناء والعمران على المدن والقصور وإنما شهدت المساجد الجامعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي اهتمامات واسعة من قبل الخلفاء وعمالهم وولاتهم وكما هو معروف في بناء المساجد الضخمة كأمثال المسجد الأموي في دمشق[٣].

أما من حيث الغزوات والفتوحات في عهد الدولة الأموية فقد بلغ ذلك مبلغاً عظيماً وانتشر الإسلام في هذا العهد انتشاراً واسعاً بفضل الجهاد فإن رقعة الإمبراطورية الأموية قد وصلت في عهد الوليد إلى أقصى اتساعها حيث كانت حملات الصوائف والشواتي في جهة الشمال في بلاد الأناضول وحصار القسطنطينية. أما في المشرق فقد تولى الحجاج أمر توسيع رقعة الدولة الأموية في ما وراء النهر فعهد إلى قائديه قتيبة بن مسلم الباهلي[٤]. ومحمد بن القاسم[٥] هذه المهمة وأمدهما بالرجال والعتاد وصلت جيوش الدولة الأموية

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٧٤، د. عبد الجبار ناجي، مقاومة المدن العربية للغزاة. (بغداد، ١٩٩٨) ص٧-٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٢٢. وينظر: ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير، (ت ٦١٤هـ) رحلة ابن جبير، تحقيق عبد الحميد أحمد حنفي، (القاهرة، د.ت) ص٢٠١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) قتيبة بن مسلم الباهلي، الأمير خرج من سمرقند إلى فرغانة وقتل فيها سنة (٩٣هـ) وهو أحد الأبطال والشجعان من ذوي الحزم والدهاء، الذي فتح خوارزم. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤١٠.

(٥) محمد بن القاسم الثقفي، وهو من قواد الحجاج ولما توفي الحجاج سنة (٩٥هـ) تولى يزيد بن أبي كبشة السند. فأخذ محمداً فقيده وأرسله إلى العراق فحبسه وفي العراق تم قتله، ينظر: ابن الأثير، الكامل، ٤/ ١٣٤.

إلى إقليم فرغانة وراء نهر سيحون[١] ثم تقدم بجيشه إلى أن وصل إلى حدود الصين.

أما في الغرب فقد تم فتح أفريقية والمغرب وشبه جزيرة ألبيرية وإخضاعها لدمشق ثم قام موسى بن نصير[٢] وطارق بن زياد[٣] بعبور البحر الأبيض المتوسط إلى الأندلس والاستيلاء عليها وخضعت شبه جزيرة ألبيرية لدمشق في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي سمح لعامله موسى بن نصير فتح تلك البلاد، وهكذا نرى أن السلطة الأموية بلغت أوج عزها في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد[٤]. إذ أصبحت دمشق عاصمة لخمس ولايات كبرى هي ولاية العراق. وتضم خراسان[٥] وما وراء النهر، وولاية الحجاز. ولاية الجزيرة وهي القسم الشمالي من أرض ما بين النهرين فضلا عن أرمينية[٦]، وولاية مصر ثم ولاية أفريقية التي ضمت المغرب الكبير وبلاد الأندلس[٧].

هذه الدولة الأموية وإنجازاتها العلمية والإدارية والعمرانية التي لو تطرقنا إلى كل مجالاتها لاستوعب ذلك مئات الصفحات ولكن أشرنا إليه إشارات

---

(١) د. أمين القضاة، ومحمد عوض الهزايمة، محاضرات في التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية، دار عمار (عمان د.ت)، ص٩٨-٩٩.

(٢) موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي، قيل كان مولى لبني أمية، فتح بلاد المغرب وغنم منها أموالا لا تعد، وله بها مقامات مشهورة، ولد سنة ١٦هـ، أصله من عين التمر، قيل ت سنة ٩٩هـ، والله أعلم. ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/ ٢٤.

(٣) طارق بن زياد مسلم من البربر من قبيلة نفرة، كان طارق عسكريا ناجحا وقائدا ممتازا مخلصا للإسلام متحمسا لنشره. ينظر ترجمته: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م) ١/ ٤٧١، وينظر: الحجي، د. عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي، ص٤٧.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧٨ وما بعدها.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ٣/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٦) د. أمين القضاة، محمد عوض الهزايمة، محاضرات من التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية، ص١٠٤.

(٧) د. عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، دار العلم، دمشق، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٣٩ وما بعدها.

بسيطة لمجرد إلفات نظر القارئ ولرد الافتراءات التي ارتكبها عشماوي بحق التاريخ العربي الإسلامي الذي لم يبصر إلا الخنا ولم يسمع إلا ما هو منتن، فالعشماوي لم يعتمد إلا على الأفكار التي وردت إلينا من خارج الحدود، من أساتذته المستشرقين الذين ينظرون إلى تاريخنا وتراثنا من زاوية غربية تزدري كل ما هو شرقي وتكره كل ما هو إسلامي من خلال مصلحة استعمارية دافعة تسخر العلم للأهواء والمنافع ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[١].

ولا هو أبصر الحضارة التي تأسست علومها الشرعية منها والمدنية في ظل تلك الدولة فقط، إن شأن المستشرقين ومن مشى وراءهم من تراثنا العربي الإسلامي إنهم أشبه شيء بمفتشي القمامة لا تقع أعينهم إلا على القاذورات وأكبر همهم البحث عنها، وهكذا فإنهم مولعون بتتبع العورات[٢] والبحث عن نقاط الضعف والانحراف وأن وهنت الأسانيد ولم تثبتها الرواية؛ وذلك لإبرازها وتضخيمها ويجعل من الحبة قبة ومن القط جملا بل من النملة فيلاً.

المبحث الثاني

الدولة العباسية في نظر العشماوي

كذلك صنع العشماوي مع الدولة العباسية التي شغلت إنجازاتها الفكرية والعلمية والفتية الحضارية والفلسفية الدينية والعمرانية جبالا من مراجع العلم والتاريخ. فالرجل لم ير في بغداد -منارة حضارات الدنيا لعدة قرون- إلا المدينة التي تحفل بالمواخير وبيوت الدعارة وأماكن الفسق ومحال القمار ودور البغاء فجمع الناس اللهو في بيت واحد من الشعر يرددونه فيبيحون به الشرب والغناء جميعا:

رأيه في السماع رأي حجازي   وفي الشراب رأي أهل العراق[٣]

---

(١) سورة فاطر، آية، ٤٣.

(٢) ينظر: القرضاوي، الإسلام والعلمانية، ١٧٤.

(٣) من كلام أب عبد ربه الأندلسي، ويرويها بلفظ: =

ويدعي عشماوي أنه [كثرت الإماء والبغايا والعاهرات والمخنثون وفسدت بغداد وغيرها من المدن فسادا كبيرا، وكان الرشيد يشرب النبيذ وأفضل من كان يعبر عن هذا العصر أبو نؤاس.. أما المثلية (اللواط) فقد صارت شائعة ذائعة يجاهرون بها الخلفاء][١].

تلك هي الصورة العشماوية لحضارة الإسلام في ذروة ازدهارها تلك التي امتلأت به كتب ومؤلفات المستشرقين. وهذه هي بغداد العشماوية التي انفردت كمنارة للدنيا على امتداد قرون. ترى كثيرا من المؤلفين ومشى على طريقهم العشماوي الذي لم ينظر إلى أسلاف هذه الأمة نظرة احترام أو تقدير. فترى من هؤلاء من أصدر حكما متناقضا على الدولة العباسية مما يدل على أن الهوى كان يسيطر على مدوني الأخبار، فإن لم يكن الهوى فإن الغفلة جعلتهم ينقلون الأخبار المتضاربة دون أن يتحروا الصحيح منها وينبذوا الفاسد الموضوع لغرض خبيث. ترى أن التاريخ يتمارى كثيراً في سرد السيرة الخاصة للخلفاء والأمراء وللأعلام البارزين في التاريخ الإسلامي حيث يدخلون معهم في حجرة نومهم ويتبعونهم في مجالسهم الخاصة. ليسردوا الأخبار التي تستمد غالبا من محض الخيال الذي ينقص من شأن تلك الشخصيات[٢]. وقد ينطلق الباحث من ثقافته الغربية ويحاول أن يسقطها على الإسلام وحضارته ودراسة مفكريه كما هو الحال عن العشماوي فهو لا يزال في كتاباته يفكر بعقلية أصحاب الغزو الفكري أنه يفكر من خلال ضوابط وخصوصية ونمط حضاري معين يختلف اختلافا جذريا عن الإسلام[٣].

ولتأخذ مثالا واحدا على تناقض بعض الأخبار التي أوردها المؤرخون، حيث قالوا إن الرشيد كان يتعاطى الخمر ويسكر مع الندماء وأبرزوه على صفحات التاريخ في صورة العربيد الذي لا يفيق، وأفاضوا في الحديث عن

= دينـنـا في السـمـاع دين مـديـ نـي وفي شـربـنـا الـشـراب عـراقـي

ينظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ٢/ ٩.

(١) ينظر: الخلافة الإسلامية ص١٧٩. وغيرها من الصفحات.

(٢) ينظر: د.إبراهيم علي شعوط، أباطيل، ص٢٢.

(٣) د. محسن عبد الحميد، المذهبية الإسلامية، بغداد، ١٤٢٠هـ، ص١١٤.

وصف مجالس اللهو والمجون التي كانت تعقد في قصره إلى طلوع الشمس.

وللرد على هؤلاء ومنهم العشماوي الذي لم يسلم من اتهاماته الباطلة كل أسلاف هذه الأمة ومنهم الرشيد الذي تربى في بيت يحرص أهله على التقيد بأحكام الشريعة حيث كان جده أبو جعفر المنصور من كبار فقهاء عصره وكان أبوه محمد المهدي من أشد الخلفاء طاعة لعلماء الدين. وأعنفهم على الزنادقة والمارقين. أما أساتذته فإنه درس على يدي كبار الشيوخ الذين عرفوا بالورع والتقوى، أمثال علي بن حمزة الكسائي(١) أحد شيوخ القراءات السبع وإمام أئمة أهل الكوفة في اللغة والنحو والأخبار، كما جالس في شبابه فقهاء عصره الذين منهم أبو يوسف(٢) القاضي صاحب الإمام أبي حنيفة(٣).

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية الموثوق بها التي أبرزت جانب الصلاح والتقوى لهارون الرشيد فإننا نجد الرغبة الملحة في تشويه سمعته والاعتماد على الروايات المدسوسة التي تنقص من كرامة الرشيد والحط من قدره؛ لأن النفوس مولعة دائما بالشر تتلقف مقالته السوء لتسرع في نشرها والوقوف من ورائها، وإنما تمثل هذه طائفة قلة من المؤرخين.

ويذكر ابن خلدون في مقدمته بعد ما ذكر حديث المفترين على الرشيد فيقول: [أين هذا من حاله وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحبة العلماء الأولياء، ومحاورته للفضيل بن عياض(٤)

---

(١) الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله همن بن فيروز، ولقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، إمام في القراءات والعربية (ت ١٨٩هـ) ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ١٣١-١٣٢.

(٢) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي من أصحاب أبي حنيفة رحمهما الله وولي القضاء لهارون الرشيد، ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٣٤.

(٣) ينظر: إبراهيم شعوط، أباطيل، ص٢٩٦.

(٤) الفضيل بن عياض ابن مسعود بن بشير القدوة الثبت شيخ الإسلام أبو علي التيمي ولد في سمرقند، ينظر ترجمته: أبو نعيم الأصبهاني، حلة الأولياء، ٨/ ٨٤.

وابن السماك[١] والعمري ومكاتبته لسفيان الثوري؟[٢]. وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من المحافظة على أوقات الصلاة وشهود صلاة الصبح لأول وقتها][٣] وأيضا أنه كان من العلم بمكان لقرب عهده من سلفه لذلك ولم يكن بينه وبين جده أبي جعفر ببعيد زمن إنما خلفه غلاما وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين وينقل المؤرخون وتبعهم عشماوي أن سبب غضب الرشيد على البرامكة كان بسبب علاقة بين جعفر بن يحيى البرمكي وبين أخت الرشيد وكانا يجلسان إذا جلس الرشيد للشراب[٤].

ولندع المؤرخ ابن خلدون كيف ينقد هذه الرواية ويدحضها فيقول: [من الحكايات المدخولة على المؤرخين ما يتلقونه كافة في سبب وقعة البرامكة من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى البرمكي مولاه، حيث أذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعهما في مجلسه، وإن العباسة تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها فحملت، ووشي بذلك للرشيد فاستغضب. وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وجلالها وإنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده، والعباسة بنت محمد المهدي ابن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد وابن علي أبي الخلفاء ابن ترجمان القرآن[٥] ابن عباس بن عم النبي ﷺ، ابنة خليفة وأخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة النبي وعمومته وإقامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها، قريبة عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب

---

(١) ابن السماك: هو محمد بن صبيح الذي قال في التصوف، الأخذ بالأصول وترك الفضول من فعل ذوي العقول، ينظر ترجمته: الأصفهاني، حلية الأولياء، ٨/ ٢٠٤.

(٢) سفيان الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١هـ)، ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٨٤.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص١٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١١٤.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص١٥.

عنها؟وأين توجد الطهارة والذكاء إذا فقد من بينها؟ أو كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم؟ وكيف يسوغ من الرشيد أن يصاهر إلى موالي الأعاجم على بعد همته وعظم آبائه؟ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف وقاس العباسة بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي سلطان قومها. وأين قدر الرشيد والعباسة من الناس، وإنما كان ذلك ما كان من البرامكة من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان يطلب الرشيد اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره[١].

ويصف ابن الأثير حياة الرشيد قائلا: كان الرشيد يصلي كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلا من مرض، وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم بعد زكاته، وكان إذا حج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة، وكان يحب الشعر والشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه ويكره المراء في الدين[٢]، إن الرشيد اعتمر في شهر رمضان إلى المدينة سنة (١٧٩هـ،٧٩٥م) وأقام بها إلى وقت الحج وحج بالناس ومشى من مكة إلى منى ثم منها إلى عرفات وشهد المشاعر كلها ماشيا على قدميه[٣]، وحج الرشيد مرة فدخل الكعبة فرآه بعض الحجبة وهو واقف على أطراف أصابعه يقول: [يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين إن لكل مسألة منك ردا حاضرا وجوابا عتيدا. وكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة صل على محمد وآل محمد واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا يا من لا تضره الذنوب ولا تخفى عليه العيوب ولا تنقصه مغفرة الخطايا... يا من خشعت له الأصوات بجميع اللغات يسألونك الحاجات إن من حاجتي إليك أن تغفر لي ذنوبي إذا توفيتني وصرت في لحدي، وتفرق عني أهلي وولدي، اللهم لك الحمد حمدا بفضل كل حمد

(١) المصدر نفسه، ص١٤-١٥.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١١٤.
(٣) المصدر نفسه، ٥/ ٢٣١.

كفضلك على جميع خلقك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضاء وصل عليه صلاة تكون له ذخرا واجزه عنا الجزاء الأوفى. اللهم أحينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا سعداء مرزوقين ولا تجعلنا أشقياء محرومين][١].

ونجد ابن الأثير يضرب المثل على رقة عواطف الرشيد وطهارة قلبه وسرعة تأثره بالوعظ الديني وذكر الآخرة.

فيقال أنه لما حبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر المعروف قال في سجنه:

أمـا والله إن الظـلـم لـوم   وما زال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمع الخصوم[٢]

فأخبر الرشيد بذلك.. فبكى الرشيد بكاء شديدا ودعا أبا العتاهية وأفرج عنه وأعطاه ألف دينار[٣].

فالرشيد من الخلفاء المجدين الذي شغلته أمور دولته عن هذه الانحرافات إذ لم يكن لديه من الوقت ما يستطيع أن ينفقه في مرضاة نفسه وهواه بجانب اشتغاله بأمور دولته ورعيته وخوفه من ربه من صلاة وصيام وغزو وحج، ونظر في مصالح رعيته وخوفه من ربه أن يؤاخذه على الصغائر التي لم يكن يتعمدها حتى تتضح في شخصية الرشيد تلك الصورة المتناقضة. وكان الفضيل بن عياض يشهد لهارون الرشيد فيذكر أن هارون الرشيد الخليفة مر بالفضيل ومعه جماعة فقال الفضيل: الناس يكرهون هذا وما في الأرض أعز علي منه لو مات لرأيت أمورا عظاما[٤].

كان الرشيد من عادته في كل حجة يحجها أن يوزع أموالا طائلة وصدقات عظيمة على سكان الحرمين الشريفين وفقراء الحجيج لم يسبقه في

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٠١-١٣١.

(٢) ينظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، مصور أوفست الميناء، بغداد، ص١٤٠، وإبراهيم علي شعوط، أباطيل، ص٢٩٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٥/ ١٣١.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢/ ١٤٣.

مثل ذلك خليفة قبله. ربما كان السبب في عنايته بالحج واهتمامه بالترفيه عن أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة[١].

لم يكن التدين في سلوك الرشيد صلاة يظهر بها أمام الناس أو حجا يباهي به في كل موسم أو صدقات يعلنها يمدحه إياها علماء الدين، خصوم الرشيد وأصدقاؤه اتفقوا على أنه كان أرق الخلفاء وجها وأكثرهم حياء وأخشعهم قلبا وأغزرهم دمعا عند سماع الموعظة الحسنة، وكثيرا ما كان يسمع بمواعظ زاهد فيعمل على اللقاء معه فيرسل إليه فإن لم يحضر ذهب إليه بنفسه ليسمع منه ما يبكيه بين يديه[٢]، ومرة أراد أن يعيد منبر رسول الله ﷺ إلى ثلاث درجات فمنعه الإمام مالك رحمه الله فامتنع ولم يعصه وأذعن لما قال[٣]. وسمع مرة بالزاهد ابن السماك فطلب من حاجبه الفضل بن الربيع أن يأتيه به فجاء فقال له الرشيد: «عظني» قال: «يا أمير المؤمنين، اتق الله وحده لا شريك له. واعلم بأنك واقف بين يدي الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالثة لهما جنة أو نار». فبكى الرشيد فأقبل الفضل بن الربيع على ابن السماك وقال له: سبحان الله وهل يخالج أحدا شك في أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله. فالتفت ابن السماك إلى الرشيد، وقال: اتق الله فإنه ليس معك في ذلك اليوم أحد[٤].

فلعل الرشيد وقد كانت الدنيا كلها بين يديه كان يأخذ حظه منها ويندفع في استمتاعه بها، اندفاع أمثاله من أصحاب الملك والسلطان ثم ينازعه بعد ذلك شعوره الديني ويستيقظ ضميره فيداخله الخوف من الله ويتوقع العقاب العاجل فيتراجع عن زخارف الدنيا ويتذكر ما وقر في نفسه من تتبعه لحياة الزاهدين من أصحاب رسول الله ﷺ، ويتمثل الدنيا بمتاعها الفاني، فيخشى أن يضيع عليه المتاع الباقي في الآخرة. وهنا يطلب من خاصته أن يحضروا له

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١١٤.
(٢) الطبري، التاريخ، ٨/ ٢٦٣.
(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ٢٩٦.
(٤) المصدر نفسه/ ٢/ ٣٩١.

أحد الزهاد ومن العلماء المعروفين ليعيد إليه شعوره المبدد ويعطيه شحنة الإيمان بالله ويفتح له أبواب الرجوع إلى الله فحين يحضر إليه من يثق به من أهل الصلاح والتقوى يقول له عظني، فيعظه بمنطق سليم وبيان عذب وديباجة رقيقة، فيخشع قلبه ويمتلئ صدره بالإيمان وتدمع عيناه فترتاح بعد ذلك نفسه، تلك هي بغداد الرشيد التي هي منارة الدنيا وذروة سنامها.

فالعشماوي لم ير بغداد الفقه والفقهاء والفلسفة والفلاسفة والكلام والمتكلمين. والزهد والزهاد والتصوف والمتصوفين، والتفسير والمفسرين، والحديث والمحدثين، واللغة واللغويين، والأدب والأدباء، والترجمة والمترجمين، والعلوم الطبيعية، وطبا وصيدلة وفلكا، وهندسة، وحسابا وجبرا، ومنابر بيوت الحكمة، ودور الكتب، وأسواق الوراقين، وحلقات الحوار، وآداب المناظرة، وقواعد الاجتهاد والاختلاف، وجيوش الجهاد لحماية الدنيا والدين، وقديما قالوا:(١) إن بغداد العراق [هي صفوة الأرض وسطها لا يلحق من فيه عيب سرف ولا تقصير](٢).

وينقل الخطيب في فضل بغداد فقال: [هي دار الدنيا والآخرة] ويقول: [من محاسن الإسلام يوم الجمعة ببغداد، وصلاة التراويح بمكة، وصلاة العيد بطرسوس](٣).. ولكن عشماوي جحظت عينه. وتجمدت قدماه عند مواخير الشواذ والمجان حتى لقد رأى أنه لا يمثل الحالة الاجتماعية في تلك الدولة العظيمة إلا أبو نؤاس الماجن.

افتقد العشماوي الحد الأدنى من الأمانة فلم يقل لقارئه أن العراقيين قالوا: يحل النبيذ. لم يبين ماهو النبيذ الذي أباحه العراقيون وكيف أنه لم يكن الخمر، وإنما الماء نبذت فيه تمرات أو زبيبات ليستخرج الماء عذوبتها دون تخمر أو إسكار.

ولم يقل لقارئه أن الحجازيين حرموا السماع الماجن وأباحوا السماع

---

(١) د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، ص١٣٤.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/ ٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٤٧.

غير الماجن وإن مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ-٧٩٥م) قال إنما يفعله عندنا الفساق بينما كانت الإباحة التي أفتى بها قاضي المدينة ومحدثها إبراهيم بن سعد الزهري (ت ١٨٣هـ-٧٩٩م) هي للغناء غير الماجن قال لا أرى فيه بأسا[١].

لقد اختزل العشماوي هارون الرشيد (١٩٣هـ-٨٠٩م) في صورة شارب نبيذ، وضاعت صورة عظيم عصره الذي كان يغزو عاما ويحج عاما، إننا أبناء دين جعل حداً من حدود الله لمن يقذف عرض فرد من الأفراد. فماذا عن القاذف لعرض الأمة وحضارتها وتاريخها على امتداد القرون. إن منهج العشماوي هو انتقاء واختيار نفايات وأوساخ التاريخ فهو يقول: [إن الكاتب انتقائي وينتخب أحداث التاريخ] لأنه كما يزعم أن التاريخ كله انتقائي[٢].

فهو اعتراف يفسر لقارئ العشماوي تلك الصورة الشوهاء التي قدمها الرجل لأمة الإسلام وحضارته. وإذا أضيف هذا المنهج إلى سوء القصد والجهالة في العلم والحقد الذي يكنه لأسلاف هذه الأمة، ظهرت الأسباب جلية واضحة التي يريدها عشماوي في أن يشوه بها وجه الإسلام الناصع ولكن هيهات هيهات[٣]. أن الإسلام لا يشوهه غبار زائل ولا يزعزعه طنين الذباب لأنه تنزيل من رب العالمين لا يأتيه الباطل ولا يحول عليه التحريف.

الخلافة الإسلامية التي أثار حولها العشماوي الشكوك وحمل عليها حملة شعواء أنه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة النبي ﷺ على امتناع خلو الوقت من إمام حتى قال أبو بكر ﷺ في خطبته المشهورة حين وفاته عليه الصلاة والسلام: [ألا إن محمدا قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به] فبادر الكل إلى قبوله وتركوا له أهم الأشياء وهو دفن رسول الله ﷺ ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر إلى زماننا هذا، من نصب إمام يتبع في كل عصر[٤]. إن الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع

---

(١) محمد عمارة، الإسلام والفنون الجميلة، دار الشروق (القاهرة، ١٩٩١م) ص٧٩٠.

(٢) الخلافة الإسلامية، ص٦. (٣) د. محمد عمارة، ص١٣٦.

(٤) الإسلام وأصول الحكم، دراسة ووثائق، محمد عمارة، ص١٢٦.

الخيرات الدينية والشهوات الدنيوية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا ولا يقوم ملك إلا بحكم الغلب والقهر[(١)].

كل شيء يؤخذ بحد السيف ويحمى بحده يكون عزيزا مع النفس والسلطان لا يهون التسامح فيه ولا التنازل عن شيء منه. وناهيك بمقام السيادة والسلطان فهو عزيز على النفس حتى ولو جاء من غير عمل السيف فإذا جاء عن طريق الغلبة والقوة فالنفس فيه أشد تعلقا وفي الدفاع عنه أشد تفانيا وكانت الغيرة عليه أكثر من المال والحرم وولهها به فوق الولع بكل ما في الدنيا من خيرات ونعيم. والذي يظهر أن عشماوي يقيس حال الدولة في هذا العصر الذي نحن فيه بذلك العصر، إن هذا العصر هو عصر الذرة والإلكترون فكيف يقيسه بذلك العصر البسيط، فإنه نقل عن نظام قبلي إلى نظام دولة ولكن لم تكن بالمفهوم العام لم يكن مفهوم الدولة المعاصرة معروفا في ذلك الزمن[(٢)].

وإن الإسلام جعل الحكم عروة من عرا الإسلام. والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ كما هو تشريع وتعليم كما هو قانون وقضاء لا ينفك كل منهما عن الآخر، والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيها مرشدا يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول، ويترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ عن مخالفة أوامره فإن النتيجة الطبيعية إن صوت هذا المصلح صرخة في واد ونفخة في رماد[(٣)].

فلابد من حكومة إسلامية تعمل على وحدة الأمة وصيانة المبادئ وتنفيذها. إن الاستعمار يريد من خلال هدم مبدأ الخلافة عزل الدين عن الدولة إلا أنه لم يتمكن من عزل المسلم عن إسلامه[(٤)].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٨، وابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ١/ ٥٤.
(٢) الإسلام وأصول الحكم نقد وتعليق، د. ممدوح حقي، ص١٠٧.
(٣) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٢٥٢.
(٤) علي بن زين الطبري، الدين والدولة، ص٦٢-٦٣.

فالإنسان في المجتمع المسلم لا يرتفع إلى مستوى القداسة أو الألوهية كما أنه لا ينزل إلى مستوى الحيوان في سلوكه ومعاملاته. فالدنيا مزرعة للآخرة وطريق موصل إما إلى السعادة الأبدية أو الشقاء. والخلافة في الإسلام بشرية وليست إلهية ومهمتها تنفيذ شرع الله وهي خاضعة للنقد وتلتزم بالشورى وتقبلها، والخليفة فرد من المسلمين إلا أنه من أفضلهم إيمانا بالله والتزاما بشرعه وأكثرهم بعدا عن المخالفة والظلم، وأقربهم إلى الخضوع للحق وإقرار العدل. وعلى هذا إما إسلام وإما علمانية. وأما وقد ابتلي المسلمون في تاريخهم بالاستعمار الغربي وانتشرت بينهم أفكار المبشرين والمستشرقين ومنها فكرة فصل الدين عن الدولة. إذن فرض علينا الأجنبي مشاكل ليست من طبيعة الدين الإسلامي[١]. التي يدور في فلكها عشماوي ومن سار على نهجه[٢].

عندما نشأت الدولة العثمانية سنة ٧٢٢هـ- ١٢٩٩م كان البيزنطيون يراقبون توسع هذه الدولة الناشئة بقلق عظيم، ولما توسعت الدولة العثمانية توسعا كبيرا وأصبحت مترامية الأطراف، وفي سنة (٧٦٦هـ- ١٣٦٤م) نظم الأوربيون الحملة الصليبية الأولى ضد الأتراك العثمانيين لدفعهم من قارة أوربا واندفاعهم إلى الأناضول وكانت الحملة تحت قيادة ملك المجر وبجيش قوامه مائة ألف مقاتل. أما الجيش العثماني فكان قوامه عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة القائد العثماني (حاجي إليه يبي) وكانت النتيجة هزيمة ساحقة للصليبيين. ولكن العالم المسيحي ظل في صراع دائم مع الدولة العثمانية وهكذا وصل العثمانيون إلى بحر (الأدرياتيك)[٣] وكذلك حصل التوسع في الأناضول[٤] وكان التوسع السريع للمسلمين لا سيما توسعهم في أوربا مصدر فزع للعالم المسيحي الذي قرر أن يجمع كل قواه في حملة صليبية ثالثة

---

(١) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص٢٥٦.

(٢) ينظر: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، العروة الوثقى، ص٤٢، وينظر: د. محمد كامل ليلة، فلسفة الإسلام السياسية، ص١٠.

(٣) الأدرياتيك، بحر شمال البحر المتوسط، يفصل بين إيطاليا وجمهورية يوغسلافيا، تطل عليه ألبانيا. ينظر: د.حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ٢٥٠.

(٤) محمد دحلان، الفتوحات الإسلامية، (مصر، ١٣٥٤هـ)، ٢/١٤٦ وما بعدها.

ورابعة، وجاء محمد الفاتح واستمرت الفتوحات في أوربا وفي آسيا وتم الاستيلاء على القسطنطينية التي هي بوابة طريق أوربا وبدأت عوامل الضعف والانحطاط يدب إلى جسد الدولة العثمانية نتيجة لتكالب القوى المسيحية عليها من كل جانب ودس المؤامرات الداخلية وبدأ التدهور سريعا لعوامل عديدة، منها الحروب الصليبية المتواصلة على الدولة، بينما كانت عوامل الضعف والانحلال تنخر في جسم الدولة العثمانية كانت الدول الأوربية في تقدم دائب منذ عصر النهضة، أما روسيا فإنها كانت قد بدأت بالتحول إلى دولة قوية، هذا مما أدى أن تتسع الفجوة بين الدول الأوربية والدولة العثمانية من حيث القوة، فتوجهت الدول المجاورة لالتهام الدولة العثمانية وهذه العوامل أدت إلى خسارة الدولة العثمانية[١] ووصل الحال، لقد مثل هذا الحقد والخصومة بعشرات المؤامرات والتكتلات بين القوى الغربية لتمزيق الدولة العثمانية، وتقاسم ممتلكاتها حتى أن الوزير الروماني (دجوفارا) أصدر كتابا سماه (مائة مشروع لتقسيم تركيا) وقد ذكر جانبا[٢] منها.

وفي الوقت الذي كان العثمانيون فيه يسجلون انتصارات حاسمة على النصرانية في شرق أوربا، كان الضغط النصراني يشتد على الوجود الإسلامي في غربي البحر المتوسط فسقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين وسلمها المسلمون إلى عدوهم بعد أن استنفذوا كل وسائل الدفاع عن دينهم وأرضهم وعرضهم، وما أن انتقلوا إلى الحكم الجديد حتى أمروا بترك دينهم ومعتقداتهم واعتناق النصرانية[٣].

يعد السلطان محمد الفاتح من أعظم سلاطين آل عثمان. وطد السيادة الإسلامية في أوربا وبدد الأحلاف الصليبية، أطلق عليه الأوربيون لقب (السيد

---

(١) أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، ص٣٠.

(٢) شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٢٠.

(٣) ينظر: محمد عبد الله، عنان مواقف حاسمة، ص٢٣٩، محمد أديب آل تقي الدين الحصني، منحنيات التواريخ لدمشق، دار الآفاق، (بيروت)، ١/ ٢٨٧، وينظر: موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض، ص٢٥.

العظيم)[١] كان كثير الثقة بنفسه، محافظا على صلاة الجماعة، عاملا لمصلحة الإسلام والمسلمين اتخذ ندماءه من الأدباء والشعراء ورجال الفكر. وكان محبا للعلم والعلماء، بعيدا عن الاختلاط المبتذل الذي كان شائعا في عصره خاصة في بلاط الحكام، هكذا تمكن العثمانيون من الوقوف في وجه الغزو الصليبي واستطاعوا منع الامتداد الأوربي الذي كانت تقوده أسبانيا والبرتغال بمباركة البابا إلى الوطن الإسلامي ومنعوه من التحول إلى أندلس جديدة ولم يسمحوا للأوربيين أن يفعلوه في سكان العالم الجديد، واستمرت الدولة العثمانية بعد ذلك صدامها المستمر مع الدول الصليبية والصهيونية لذا نجد أنها لم تهدأ يوما واحدا منذ فتح القسطنطينية فهي تخوض غمار معارك عسكرية خارجية، وتصد لمؤامرات داخلية واستمر ذلك حتى نجح أعداؤها في تحقيق مآربهم عام ١٣٣٥هـ- ١٩٠٨م عندما خلع السلطان عبد الحميد ووصل الاتحاديون ويهود الدونمة إلى السلطة في البلاد[٢].

وأمام هذه الأطماع الاستعمارية والمؤامرات الماكرة فرض السلاطين على البلاد عزلة عن أوربا وغايتهم من ذلك تأمين الحماية للدولة من مكر هؤلاء. فضلا عن هذا كله المآسي التي كانت تحدث في انتهاء الصراع على السلطة بين الأخوة والطامعين مما أدى إلى تدهور الدولة رويدا رويدا حتى انتهت أخيرا على يد أتاتورك ١٣٤٤هـ- ١٩٢٤م هذه العوامل مجتمعة أدت إلى سيطرة حالة من الركود والتدهور الثقافي والعلمي[٣].

---

(١) ينظر: حضارة العرب، غوستاف لويون، (القاهرة، د. ت) ١/ ٢٢٠، وينظر: محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، ص٢٥، وينظر: شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ١/ ١٢٠.

(٢) ومن أسباب سقوط الدولة العثمانية التحالف البلقاني الصليبي عام ١٣٦٢-١٣٧٠، تحالف أوربي جديد ١٣٧٨، ١٣٨٩-١٤٢٢ تحالف جديد ١٥٠١. حصار فينا ١٥٢٩-١٥٧١ بعد سقوط قبرص بيد العثمانيين ١٥٩٦-١٦٠٥-١٦٥٥-١٦٦٧ حلف مقدس ١٧٩٨ نابليون - ١٨٠٧ انكلترا. ١٨٠٤-١٨١٥ الحرب مع روسيا ١٨٢٨-١٨٢٩ مع روسيا ١٨٥٤-١٨٥٦ مع روسيا حرب دائمة مع النمسا. ينظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، ص٢٨ وما بعدها، وينظر: موفق بني المرجه، صحوة الرجل المريض، ص٢٦-٢٧.

(٣) إسماعيل الكيلاني، الفصل بين الدين والدولة، ص٤٤-٥٤.

واستمرت الدولة العثمانية في طريق التدهور. وذلك بأن الأعباء المالية الكبيرة لحرب القرم وإسراف وبذخ الدولة وإدارتها السيئة أدى إلى ضعف الدولة وانهيارها مما جعلها ترتبط بمعاهدات مريبة مع دول أوربا إذ وقفت الدول الأوربية موقف الحامي للأقليات المسيحية في البلاد الإسلامية مما جعلها تتدخل في شؤونها الداخلية وتتآمر عليها ووصل الحال إلى إشعال الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية وإسقاطها واقتسام أملاكها. وإعلان أتاتورك العلمانية حكما ونظاما لبلاده المسلمة، وإلغاء[١] كافة الأحكام الإسلامية وإلغاء نظام الخلافة في سنة ١٩٢٤م، فالأسباب المحيطة بها من الداخل والخارج هي التي أدت إلى سقوطها وإلغائها.

---

(١) ينظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، ص٣٢ وما بعدها، وينظر: علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار البيارق، (الأردن، ١٤٣٠هـ، ١٩٩٩م) ص٦٦٤.

الخاتمة

والآن نستطيع القول من خلال الأدلة التي سقناها أثناء البحث أن الصراع بين الحق والباطل والخير والشر باق ما بقيت السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

ما دام الإسلام هو الحق الذي ارتضاه الله للبشرية، وهو الخير الكامل الذي أنعم به على البشرية جمعاء، وستبقى مؤامرات الشر والباطل وهي تحاول اقتلاع جذوره قائمة على قدم وساق. والسيرة النبوية تشهد أنه منذ جهر محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته وقف الشر في وجهها وحاول وأدها[3].

وكانت دعوة التغريب وتشويه القيم الإسلامية من أخطر الوسائل التي استخدمها هؤلاء بعد أن أحسوا بفشل وسائلهم العسكرية في زحزحة الإسلام عن مواقعه في قلوب أتباعه وبلدانهم. وكانت تجربة الحروب الصليبية ماثلة أمام أعينهم. من هنا برزت الإرساليات التبشيرية الاستشراقية وأصبحت الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية من آخر الأسلحة التي استخدمت لحرب الإسلام بغية القضاء عليه أو عزله عن مواقع المسلمين أولا، وتمهيدا للخطوة التالية ثانيا، ومن ثم القضاء عليه. وكانت حملات التشويه والافتراء وطرح الأفكار التي يراد لها أن تشوه حقائق الإسلام حتى يسهل القضاء عليه، وتضعف قوة المسلمين وذلك مثل فصل الدين عن الدولة، العلمانية، المادية، الماسونية،

---

(١) سورة الحج، آية ٤٠.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥١.

(٣) إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، ص ٢٦٣.

وكيف كان أساطين الغزو الفكري يخططون لإخراج نخبة من أبناء المسلمين على المنهج الذي يعد لهم، وقد مسخوا خلقا آخر وإعادتهم إلى بني جلدتهم؛ لأن هذا أدعى لما يثير تنفيذ ما يريده هؤلاء للأمة من شر، وما يراد لدينها من القضاء عليه وهم أقدر على تنفيذ ما عجز أعداء الله عن تنفيذه تحت أسماء إسلامية، وهم بعد أن نجحوا نوعا ما في تحقيق عزلة الإسلام عن واقع المسلمين ما يزالون يحسبون ألف حساب وحساب للإسلام وأهله.

ومن هؤلاء الذين جندهم الغرب لهدم قيم الإسلام وتبديل مبادئه هو المستشار عشماوي الذي توصلنا من خلال بحثنا إلى أنه يهدف في كتبه إلى تشويه حقيقة الإسلام ونهجه القويم لا سيما كتابه الخلافة الإسلامية وذلك أننا نجد مطاعن غير مألوفة ولا مسبوقة ولا معقولة والتي وجهها إلى الإسلام وكتابه الكريم ورسوله العظيم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وإلى الخلافة الإسلامية والأمة أجمع، وكيف ركز مطاعنه ليقطع روابط الإسلام بالسياسة والدولة بشؤون العمران، ثم بلغ به الذروة ليطوي صفحة المشروعية والشرعية الإلهية وينسخ شريعة الإسلام، وذلك بربطه الأحكام بأسبابها التي وردت في حينها وزعمه أنها لا تتعدى إلى غيرها من الوقائع، ففي مشروعه الفكري الذي قدمه من خلال كتابه (الخلافة الإسلامية) ومن خلال كتبه العشرة الأخرى رأينا عنده صورة الإسلام الذي قال عنه: [إنه تحول إلى اتجاه عسكري وصيغة حربية منذ غزوة بدر].. تغيرت روحه فانزلق إلى مهوى خطير وتبدل صميم شريعته فانحدرت إلى مسقط عسير وطفح على وجهه كل صراع، فيثير بثورا غائرة وينشر بقعا خبيثة.

وصور القرآن الذي قال عنه: [إن اتخاذ نصه قد ضيع الإنسان المسلم فجعله إنسان النص لا المعنى وإنسان اللفظ لا العقل إنسان الحروف لا الروح] إنه لم يطبق في العصور الإسلامية إلا ما كان شاذا وعملة نادرة أو كمجرد نزوة في ظرف استثنائي، وإن النص القرآني لا زالت به حتى الآن أخطاء نحوية ولغوية.

وصور الرسول صلى الله عليه وسلم أنه صاحب دعوى، غير معصوم

وأن عقيدة العصمة دخيلة وهي أفكار صهيونية، وأن الدستور الذي وضعه لحكم الدولة وثيقة شبه جاهلية وأنه كان يقضي بين الناس جريا على سنة العرب في الجاهلية، وقد عارضت كثير من القبائل ما فرضه عليهم من أتاوة أو جزية أو خراج أو رشوة يسوءهم أداؤها ويذلهم دفعها، إنه كان يشجع شعر حسان المقذع البذيء.

وصور سيدنا أبا بكر رضي الله عنه بأنه أتى بدين جديد غير دين النبي وأحدث زيوغا في الخلافة وحيودا في الحكم واشتدادا في نزعة الغزو وانتشارا للجشع والفساد وظهور الغلبة الطائفية واغتصاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم وورثته، وشوه صورة الصحابة الذين قال عنهم إنهم كانوا يتسابقون في الاغتيالات إرضاء للرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يميزوا بين النبوة والملك فحجبوا عن مفهوم النبوة وعزلوا عن صحيح الرسالة، ولقد ارتد كثير إلى خلق الجاهلية وطباعها في فترة وجيزة بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وشوه الخلافة الإسلامية حيث قال عنها إنها خلطت مقام النبوة بمنصب الخلافة فأصبح الخلفاء فيها مقدسين ومعصومين، وصارت دولة عنصرية.

وشوه صورة الفقه الإسلامي الذي قال عنه إنه فقه الحيل التي حرمت الحلال وتعدت على مقام الجلالة ونزعت منازع المشركين عبدة الأوثان واقتفت أثر الجهال أصحاب الأصنام.

وصور فقهاء الإسلام بأنهم كانوا فيما يفعلون يغمضون أعينهم عن كل قول أو همس فيما يخص الخلافة الجائرة فلا يصدر عنهم إلا ما يوافق عليه الخليفة وما يرتضيه السلطان.

وصور الأمة الإسلامية حيث قال عنها إنها ارتدت إلى عناصر الجاهلية القبلية والتطرف والصراع وعاد كثير من الأمة إلى السلب والصعلكة فأصبحت شخصيتها الحقيقية أخلاقيات جاهلية وتصرفات جاهلية وصار الجميع إلى طباع جافة من الأنانية والخوف والجبن والفساد والوشاية والتملق والانتهازية.

وشوه صورة الشريعة الإسلامية حيث قال عنها إنها رحمة وضمير لا

قانون وتشريع، فالدعوة إلى الحكم بشرع الله وحده هي دعوة إلى أفكار يهودية، والقواعد والأحكام التشريعية في القرآن مؤقتة بأسباب نزولها ليس لها أية قوة ملزمة أو أي أثر فعال بما في ذلك الشورى والحجاب والحدود في الخمر فهي غير محرمة في القرآن، وحتى اللواط لا عقوبة عليه في الإسلام، والحكم بما أنزل الله كان خاصا بالرسول شخصيا دون سواه... تلك هي نماذج من مطاعن العشماوي في الإسلام ومقدساته وقيمه وأخلاقه وتاريخه ورجاله، إن حال فكر العشماوي على العقل والمنطق حال غريب، فإن الرجل يريد أن يطوي صفحة القواعد الشرعية الإسلامية ويحيل الشريعة الإسلامية إلى متحف التاريخ ويعزل الذات الإلهية عن الشريعة وينهي الحاكمية والحكومة الإسلامية بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فويل لمن يدعي هذا الادعاء وينحى هذا المنحى الخطير وإنا لله وإنا إليه راجعون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

١ ـ الأبياري، إبراهيم، الموسوعة القرآنية، (القاهرة ١٩٣٦م).

٢ ـ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٣ ـ أحمد بن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني (ت ٢٤١)، المسند، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، د،ت) وطبعة أخرى مؤسسة قرطبة، (مصر، د.ت).

٤ ـ فضائل الصحابة، المسند، مؤسسة قرطبة، (مصر، د.ت).

٥ ـ السبيل إلى الأسامي والكنى، تحقيق، عبد الله بن يوسف مكتبة دار الأقصى (الكويت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م).

٦ ـ أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، (مصر ١٣٥٦هـ،١٩٣٧م).

٧ ـ أحمد شاه ولي الله الدهلوي (١١١٧هـ/١٦٠٨م) حجة الله البالغة، تحقيق سيد سابق، دار الكتب الحديثة القاهرة، د.ت).

٨ ـ أحمد مكي الأنصاري، دفاع عن القرآن، دار الكتب (القاهرة ١٩٧٣م).

٩ ـ ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: د. علي سامي النشار (العراق، ١٩٧٧م).

١٠ ـ الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل (٣٣٠هـ-٩٤١م) مقالات

الإسلاميين، تحقيق محيي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

١١ - الآلوسي أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري، ١٢٧٨هـ/ ١٨٥٣م تفسير روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).

١٢ - الباقلاني، أبو بكر محمد الطيب،(ت ٤٠٣هـ/ ٩١٥م)، إعجاز القرآن، مطبوع بهامش الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (القاهرة، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م).

١٣ - الباقلاني، التمهيد، تحقيق محمد الخضيري ود. محمد عبد الهادي أبو زيده، (القاهرة ١٩٤٧).

١٤ - الباقلاني، نكت الاقتصار لمعاني القرآن، اختصره: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصيرفي، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، (الاسكندرية، ١٩٧١م.).

١٥ - البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت ٢٥٦/ ٨٦٩م). صحيح البخاري، المطبعة الخيرية، القاهرة، (١٣٣٠)، وطبعة أخرى بتحقيق هاشم الندوي، بيروت، د.ت، وطبعة أخرى بحاشية السندي، بغداد، ١٩٨٦م)، وطبعة أخرى بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

١٦ - البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر، (ت ٧٩١هـ/ ١٣٥٩م). أنوار التنزيل وأسرار والتأويل، مصطفى البابي الحلبي، (مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

١٧ - البيهقي، أبو الفضل البيهقي، (ت٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م). تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، (مكتبة لانجو، (مصر، د.ت).

١٨ - تاج الدين الحنفي، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، الدر اللقيط من البحر المحيط، مطبوع بهامش البحر المحيط، دار الفكر.

١٩ - الترمذي، محمد بن عيسى السلمي، (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).

٢٠ ـ الترمذي، الشمائل المحمدية، مكتبة الشرق الجديد، (بغداد ١٤٠١-١٩٨٥م).

٢١ ـ ابن تغري بردي جمال الدين الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، ١٩٥٦م).

٢٢ ـ التفتازاني، عمر سعد الدين، (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)، شرح العقائد النسفية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه (القاهرة، د.ت).

٢٣ ـ ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس أحمد (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكتاب العربي، (القاهرة ١٩٦٩م).

٢٤ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ،٨٦٨م)، الحيوان، تحقيق: فوزي عطوي، (بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م).

٢٥ ـ ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي، (٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، (القاهرة، د.ت). .

٢٦ ـ ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: د.عبد الله الجبوري، (بغداد، ١٤٤٠هـ/ ١٩٩٠م).

٢٧ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الدار الوطنية (بغداد، ١٩٩٠م).

٢٨ ـ ابن حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)، تفسير البحر المحيط، دار الفكر (بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م).

٢٩ ـ ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي، (ت ٣٥٤هـ/ ٩٧٥م)، الثقات، تحقيق: شرف الدين أحمد، دار الفكر (بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

٣٠ ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار السعادة (مصر ١٣٢٨هـ/ ١٩٨٦م) .

٣١ ـ ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر، (بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٣٢ ـ ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٣٣ ـ ابن حجر، لسان الميزان، مؤسسة الأعلى، (بيروت مصورة عن الطبعة النظامية، الهند، مؤسسة الأعلى، ط بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٣٤ ـ ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب، بيروت، ١٩٦٧م).

٣٥ ـ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ/ ١٦٣٠م) جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، (مصر، د.ت)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (القاهرة، ١٣١٧هـ/ ١٣٢٠م).

٣٦ ـ حسن العطار، حاشية العطار على جمع الجوامع للإمام السبكي المكتبة الكبرى (مصر، د.ت). .

٣٧ ـ الحموي، ياقوت، شهاب ابن عبد الله، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر (بيروت د.ت).

٣٨ ـ الخازن، علاء الدين، لباب التأويل في معاني التنزيل (دار الكتب العربية (مصر) د.ت).

٣٩ ـ ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الكويت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٤٠ ـ ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن، ت/ ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م المقدمة/ دار إحياء الثرات العربي/ (بيروت، د.ت).

٤١ ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، النهضة (مصر، ١٣٧٦هـ/ ١٩٤٨م).

٤٢ ـ خليفة بن خياط، ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم (بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٤٣ ـ الداني، أبو عمر عثمان بن سعيد، المحكم في نقط المصاحف،

تحقيق: د. عزة حسن (دمشق ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م).

٤٤ ـ ابن أبي داود، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، ت٣١٦هـ/ ٩٢٨م)، كتاب المصاحف، المطبعة الرحمنية، (مصر ١٩٣٦، صححه: أوثر جفري).

٤٥ ـ ابن دقيق الأندلسي، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، الجامع لما يحتاج إليه في رسم المصحف، تحقيق: د. غانم قدوري، (بغداد، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٤٦ ـ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م. تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، تحقيق: حسام الدين القدسي.

٤٧ ـ الذهبي، تذكرة الحفاظ، مصورة عن (ط٣، حيدر آباد، دار إحياء التراث العربي، بيروت).

٤٨ ـ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ).

٤٩ ـ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت ١٣٨٢هـ).

٥٠ ـ الرازي، أبو حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي (بيروت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

٥١ ـ الرازي، عصمة الأنبياء، ط١، مكتبة الشرق، بغداد، ١٩٩٠م.

٥٢ ـ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري، ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، التفسير الكبير، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران، د.ت.

٥٣ ـ ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق: د. محمد عمارة، القاهرة، ١٩٨١م.

٥٤ ـ الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، ت٣٧٩ هـ/ ٩٨٩م، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٥٥ ـ الزبيدي، محمد مرتضى، (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، (الكويت، د.ت).

٥٦ ـ الزركشي، بدر الدين، ت٧٩٤هـ/ ١٣٩١م، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٧ ـ الزركلي، خير الدين، كتاب الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م.

٥٨ ـ الزمخشري، جار الله محمد محمود بن عمر، ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، (بيروت، د.ت) .

٥٩ ـ السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود، (٣١٦هـ/ ٩١٥م) كتاب المصاحف، (القاهرة، ١٣٣٧هـ، ١٩٣٦م).

٦٠ ـ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، المقاصد الحسنة فيما يدور من الحديث على الألسنة، صححه وعلق عليه عبد الله بن محمد الصديق وعبد الواحد عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، (مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٠٦م).

٦١ ـ ابن سعد، أبو عبد الله محمد، ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م، الطبقات الكبرى (بيروت، ١٩٥٧م).

٦٢ ـ السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، تفسير القرآن الكريم، بحر العلوم، تحقيق: عبد الرحيم الزقا، (بغداد، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٦٣ ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

٦٤ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، أسباب

النزول، دار التحرير، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

٦٥ ـ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

٦٦ ـ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (بيروت، د.ت).

٦٧ ـ السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بغداد ١٩٨٦م)،.

٦٨ ـ السيوطي، تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك، (القاهرة د.ت).

٦٩ ـ الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، ت٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، الاعتصام، المكتبة التجارية (مصر ١٣٢٣هـ).

٧٠ ـ الشربيني، محمد الخطيب، تفسير القرآن الكريم، دار المعرفة، لبنان وصور بالأوفسيت.

٧١ ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت ٥٤٨هـ، ١١٥٣م، الملل والنحل، مصطفى البابي الحلبي (مصر ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

٧٢ ـ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، إرشاد الفحول إلى علم الأصول، المطبعة المنيرية (القاهرة د.ت).

٧٣ ـ الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مصطفى البابي الحلبي، (مصر، ١٣٤٩).

٧٤ ـ الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى من أحاديث سيد الأخيار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (مصر د.ت).

٧٥ ـ الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، طبقات الفقهاء، تحقيق: د. إحسان عباس، دار التراث العربي (لبنان، ١٤٠هـ/ ١٩٨١م).

٧٦ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، تاريخ الرسل

والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة د.ت.

٧٧ ـ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصطفى البابي الحلبي، (مصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

٧٨ ـ ابن الطقطقي، فخر الدين بن محمد بن علي بن طباطبا، ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (القاهرة، د.ت). وطبعة أخرى دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٧٩ ـ ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).

٨٠ ـ ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م. الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ طبع بهامش الإصابة/ المغرب ١٣٢٨هـ.

٨١ ـ عبد الواحد علي الحلبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) مراتب النحويين، حققه محمد أو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة (القاهرة ١٩٥٥م).

٨٢ ـ ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد، ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م، كتاب العقد الفريد/ تحقيق: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، .

٨٣ ـ أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هدار، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٨٤ ـ ابن عربي القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد، (٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، (القاهرة، ١٣٧٥م). .

٨٥ ـ ابن عربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد أبجادي، دار الفكر، (بيروت، د.ت).

٨٦ ـ ابن عقيل، محمد بن علي، التعليقات المسمى بالفنون، (بيروت، ١٩٨٧م).

٨٧ ـ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المعروفة بالسيرة الحلبية، الاستقامة، (القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

٨٨ ـ علي بن زين الطبري، (ت ٢٤٧هـ/ ٩٩١م)، الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٧٧م).

٨٩ ـ عمر أبو النصر، آثار الجاحظ ورسائله، الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، رسائل الجاحظ، (بيروت، ١٩٦٩م).

٩٠ ـ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م)، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق: محمد بن محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الخيري، (القاهرة، ١٣٩٣هـ).

٩١ ـ الغزالي، المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، (بيروت، د.ت).

٩٢ ـ الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (القاهرة، ١٩٠٧م).

٩٣ ـ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)، دار المعرفة (بيروت، د.ت).

٩٤ ـ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، القاموس المحيط، عالم الكتب، (بيروت، د.ت).

٩٥ ـ القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي المالكي، (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).

٩٦ ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الدينوري، (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، الإمامة والسياسة (منسوب إليه)، مصطفى البابي الحلبي، (مصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).

٩٧ ـ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه أحمد صقر، المكتبة العلمية، (المدينة المنورة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م). وطبعة أخرى: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م.

٩٨ ـ ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن الكتب المصرية، ١٣٥٤هـ/ ١٩٢٥م).

٩٩ ـ ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، المغني، دار الكتاب العربي، (بيروت، د.ت).

١٠٠ ـ القرافي، أحمد بن إدريس، الأحكام في تمييز الفتاوى وتصرفات القاضي والإمام، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، ١٩٦٧م).

١٠١ ـ القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب، (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، جمهرة أسفار العرب، (القاهرة، ١٣٠٨هـ).

١٠٢ ـ ابن القيم، إعلام الموقعين، (بيروت، ١٩٧٣م).

١٠٣ ـ ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، دار أبي حبان، (دبي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

١٠٤ ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الهلال، (بيروت، ١٩٨٦م).

١٠٥ ـ الماوردي، أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري، بغداد، ٤٥٠هـ/ ١٠٥٣م، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى البغا، مطبعة أوفسيت الميناء، (بغداد، ١٩٧١م).

١٠٦ ـ الماوردي، أدب القاضي، تحقيق: محيي هلال السرحان، (بغداد، ١٩٧١م).

١٠٧ ـ الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).

١٠٨ ـ محمد بن عمرو بن موسى العقيلي، (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)، الضعفاء، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٠٩ ـ محمد بن محمد بن أبي بكر الأشعري، ت ٧٤١هـ، التمهيد والبيان في

مقتل الشهيد عثمان، تحقيق: أحمد يونس زايد، دار الثقافة، (الدوحة، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م).

١١٠ ـ المزي، يوسف الزكي عبد الرحمن بن الحجاج، (٧٤٢هـ/ ١٣٤٧م). تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م).

١١١ ـ المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) التنبيه والإشراف، دار التراث (بيروت، ١٣٨٨/ ١٩٦٨م).

١١٢ ـ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محيي عبد الحميد، السعادة (مصر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

١١٣ ـ معمر بن راشد الأزدي، (ت ١٥١هـ/ ٧٦١م)، الجامع، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشور كملحق لكتاب مصنف عبد الرزاق، المكتب الإسلامي، (بيروت ١٤٠٣).

١١٤ ـ المغربي، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١١٥ ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٤م)، إمتاع الأسماع، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة، ١٩٤١م).

١١٦ ـ المقريزي، المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار، دار التحرير (القاهرة، ١٩٦٧م).

١١٧ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن حمد الأنصاري، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، قدم له: الشيخ عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، (بيروت د.ت).

١١٨ ـ ابن النديم، محمد بن إسحاق، (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، الفهرست، مطبعة الاستقامة، (القاهرة، د.ت).

١١٩ ـ النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، شرح صحيح مسلم، دار العلم، (بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٧م).

١٢٠ ـ ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت

٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)، شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ط٦، (القاهرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

١٢١ ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار القلم، (بيروت، د.ت).

١٢٢ ـ الهيتمي، أحمد بن حجر المكي (ت ٩٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، الصواعق المحقة في الرد على أهل البدع والزندقة، (القاهرة، ١٣٨٥هـ). .

١٢٣ ـ الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، مجمع الزوائد وصنيع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٤٠٧هـ).

١٢٤ ـ ابن وثيق الأندلسي، (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، الجامع لما يحتاجه في رسم المصحف، تحقيق: د. غانم قدوري، دار الأنبار، بغداد، ١٤٠٨/ ١٩٨٨).

١٢٥ ـ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر، (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي (النجف، ١٩٥٨م).

١٢٦ ـ أبو يعلى الفراء، محمد بن حسين الحنبلي، (٤٥٨هـ/ ١٠٥٦م)، الأحكام السلطانية، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٦/ ١٩٦٦م).

١٢٧ ـ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، (ت ١٩٢هـ/ ٨٠٨م)، كتاب الخراج، المكتبة السلفية، (القاهرة، ١٣٥٢هـ).

المراجع

١٢٨ ـ إبراهيم علي شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، المكتب الإسلامي، (بيروت، د.ت).

١٢٩ ـ أحمد أمين وزكي نجيب، حق الحكم الإلهي وقضية الفلسفة الحديثة (القاهرة، ١٩٣٦م).

١٣٠ ـ أحمد أمين، فجر الإسلام، النهضة، (القاهرة، ١٩٨٧هـ).

١٣١ ـ أحمد شلبي، السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي، مكتبة النهضة،

(القاهرة، ١٩٧٤م).

١٣٢ ـ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة (القاهرة، ١٩٨٤م).

١٣٣ ـ أحمد عبد السلام، دراسات في مصطلح السياسة عند العرب، الشركة التونسية للتوزيع (تونس، ١٩٨٥م).

١٣٤ ـ إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (القاهرة، ١٩٢٧م). .

١٣٥ ـ إسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، المكتب الإسلامي، (بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

١٣٦ ـ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

١٣٧ ـ أمين الخولي، دائرة معارف الشعب، دار القرآن الكريم، (القاهرة، ١٩٥٩م).

١٣٨ ـ ثروت بدوي، النظم الإسلامية، دار النهضة العربية، (القاهرة ١٩٧٢م).

١٣٩ ـ جيوم الفريد، الفلسفة وعلم الكلام، ترجمة: جريس فتح الله، (بيروت، ١٩٧٢م).

١٤٠ ـ د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، (القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م).

١٤١ ـ د. حسن إبراهيم حسن، زعماء الإسلام، مكتبة الآداب، (القاهرة، ١٩٥٣).

١٤٢ ـ د. حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، (القاهرة، ١٩٣٩م).

١٤٣ ـ حسن حميد عبيد، الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية (بغداد، ١٩٩٣م).

١٤٤ ـ د. حسين مؤنس، كتاب أطلس تاريخ الإسلام، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، (القاهرة، ١٢٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

١٤٥ ـ حفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الفكر، (بيروت،

١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

١٤٦ ـ الدميجي، عبد الله بن عمر سليمان، الإمامة العظمى عند أهل السنة، دار طيبة (الرياض، ١٤٠٦هـ) .

١٤٧ ـ ديلاسي، أو ليري، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة: د. غانم حسان، (القاهرة، د.ت).

١٤٨ ـ د. رشدي عليان، الإسلام والخلافة، (بغداد، ١٩٧٧م) .

١٤٩ ـ زاهد عذب الزغبي، الإسلام ضررة عالمية، (مصر، ١٩٧١م).

١٥٠ ـ سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، دار السلام، (القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

١٥١ ـ سميح عاطف الزين، نظام الحكم في الإسلام، (بيروت، دار الكتاب، ط٣، (بيروت، ١٩٧٩م).

١٥٢ ـ صبحي صالح، النظم الإسلامية، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٨م).

١٥٣ ـ صفوت عبد الفتاح محمود، المغني في معرفة رجال الصحيحين، دار الجيل، (بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

١٥٤ ـ ضياء الدين الريس، الإسلام والخلافة في العصر الحديث، نقد كتب الإسلام وأصول الحكم، ط١، (بيروت، ١٣٩٣هـ).

١٥٥ ـ د. عارف خليل، أبو عيد، العلاقات الخارجية في دولة الخلافة، دار الأرقم (الكويت، ١٤٤٤هـ/ ١٩٨٣م).

١٥٦ ـ عبد الخالق النواوي، العلاقات الدولية والنظم القضائية (بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

١٥٧ ـ د. عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، (بغداد، ١٩٨٨م).

١٥٨ ـ د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ط٣، المنارة الإسلامية ١٣٩٦هـ).

١٥٩ ـ د. عبد الكريم عثمان، النظام السياسي في الإسلام، دار الإرشاد، بيروت.

١٦٠ ـ عبد الله الشرقاوي علي الهدهدي على شرح السنوسية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة د.ت.

١٦١ ـ عبد الله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط، بغداد، د.ت.

١٦٢ ـ أبو عبد الله محمد بن فرج المالكي، أقضية رسول الله ﷺ، تحقيق: د. محمد ماهر حمادة (بيروت، ١٩٧٤م).

١٦٣ ـ عبد المتعال محمد الجبري، حوار مع الشيعة حول الخلفاء الراشدين وبني أمية، دار الطباعة والنشر الإسلامية، د.ت.

١٦٤ ـ عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، دار الأنصار (القاهرة، د.ت).

١٦٥ ـ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم (الكويت، ١٩٧٢م).

١٦٦ ـ عثمان بن محمد آل خميس التميمي، حقبة من التاريخ، الثقافة الإسلامية (الكويت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

١٦٧ ـ عرفان عبد الحميد، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، دار عمار، (عمان، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

١٦٨ ـ علاء الدين المدرس، النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، مكتبة دار الكتب العلمية (بغداد، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

١٦٩ ـ علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، دار الفكر (دمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).

١٧٠ ـ علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق، المكتبة السلفية (القاهرة، ١٣٧٢هـ).

١٧١ ـ علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، دراسة ووثائق، محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٢م).

١٧٢ ـ علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، نقد وتعليق: ممدوح حقي، (بيروت، د.ت).

١٧٣ ـ د. غانم قدوري، رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، (بغداد،

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).

١٧٤ ـ فاروق عمر فوزي، النظم الإسلامية، بغداد.

١٧٥ ـ فالح السيد أحمد البدراني، حقيقة الإسلام، دار الحرية للطباعة، (بغداد، د.ت).

١٧٦ ـ د. قحطان عبد الرحمن الدوري، الشورى بين النظرية والتطبيق، (بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

١٧٧ ـ الكبيسي، حمدان، الخراج: أحكامه مقاديره، (بغداد، ١٤١١هـ، ١٩٩١م).

١٧٨ ـ د. لبيد إبراهيم أحمد وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، (بغداد، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

١٧٩ ـ مؤتمر كولوراد، أعمال التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، (مالطا، ١٩٩١م).

١٨٠ ـ د. محسن عبد الحميد، العولمة من المنظور الإسلامي (بغداد، ٢٠٠٠م).

١٨١ ـ د. محسن عبد الحميد، الفكر الإسلامي، (بغداد، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

١٨٢ ـ د. محسن عبد الحميد، المذهبية الإسلامية، والتغيير الحضاري، (بغداد، ١٤٢٠هـ).

١٨٣ ـ د. محسن عبد الحميد، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، دار عمار، (عمان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

١٨٤ ـ محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاري، أيام العرب في الإسلام، المكتبة العصرية (بيروت، د.ت).

١٨٥ ـ محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، (القاهرة، د.ت).

١٨٦ ـ محمد أحمد خلف الله، صاحب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني الراوية (مصر، ١٩٥٣م).

١٨٧ ـ محمد أديب آل تقي الدين الحصني، منتخبات لتواريخ دمشق، دار الآفاق الجديدة، (بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
١٨٨ ـ محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، نقله إلى العربية الأستاذ منصور محمد ماضي، دار العلم للملايين، (بيروت).
١٨٩ ـ محمد الجومرد، الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، (بغداد، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
١٩٠ ـ محمد العفيفي، القرآن له دعوة الحق، (القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).
١٩١ ـ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).
١٩٢ ـ محمد حسين هيكل، حياة محمد، النهضة (القاهرة، ١٩٦٨م).
١٩٣ ـ محمد حميد الله آبادي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (القاهرة، ١٣٨٩هـ).
١٩٤ ـ محمد زيني دحلان، الفتوحات الإسلامية، (مصر ١٣٥٤هـ).
١٩٥ ـ د. محمد سعيد البوطي، ط٤، فقه السيرة، دار الفكر (بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
١٩٦ ـ محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، ط٢، (القاهرة، ١٩٩٢م).
١٩٧ ـ محمد سعيد العشماوي، أصول الشريعة، (القاهرة، ١٩٧٩م).
١٩٨ ـ محمد سعيد العشماوي، تاريخ الوجودية في الفكر التبشيري، ١٩٩٢م.
١٩٩ ـ محمد سعيد العشماوي، جوهر الإسلام، ط٣، (القاهرة، ١٩٩٢م).
٢٠٠ ـ محمد سعيد العشماوي، حصاد العقل، (القاهرة، ١٩٩٢م).
٢٠١ ـ محمد سعيد العشماوي، الخلافة الإسلامية، (القاهرة، ١٩٩٠م).
٢٠٢ ـ محمد سعيد العشماوي، الربا والفائدة في الإسلام، (القاهرة، ١٩٨٨م).
٢٠٣ ـ محمد سعيد العشماوي، رسالة الوجود، (القاهرة، ١٩٩٢).
٢٠٤ ـ محمد سعيد العشماوي، روح العدالة، ط١، (القاهرة، ١٩٣٨م).
٢٠٥ ـ محمد سعيد العشماوي، ضمير العصر، (القاهرة، ١٩٩٢م).

٢٠٦ ـ محمد سعيد العشماوي، معالم الإسلام، (القاهرة، ١٩٨٩م).
٢٠٧ ـ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).
٢٠٨ ـ محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في الإسلام، (مصر، د.ت).
٢٠٩ ـ محمد علي، الفكر الخوالد للنبي محمد ﷺ، ترجمة: محمد مأمون نجا، راجعه: د. كامل محمد إسماعيل، طبع في بريطانيا ١٩٤٧م، وأعيد طبعه (بمصر د.ت).
٢١٠ ـ د. محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٨٩م).
٢١١ ـ د. محمد عمارة، سقوط الغلو العلماني، دار الشروق، (القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).
٢١٢ ـ د. محمد عمارة، مسلمون ثوار، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٨٨م).
٢١٣ ـ محمد كامل ليلة، فلسفة الإسلام والسياسة، (بغداد، ١٩٦٥م).
٢١٤ ـ د. محمود إسماعيل، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار الفلاح (الكويت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
٢١٥ ـ د. محمود السعيد الكردي، مأساة الخلافة في الإسلام، (طرابلس، ليبيا، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٧م).
٢١٦ ـ محمود جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، (بيروت).
٢١٧ ـ د. محمود خلف جراد العيساوي، افتراءات المستشرق، كارل بروكلمان، على التاريخ العربي الإسلامي في نهاية العصر العباسي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى معهد التاريخ العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٢١٨ ـ د. مصطفى السباعي، الدين والدولة في الإسلام (دمشق، ١٩٥٢م).
٢١٩ ـ مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، المكتبة الإسلامية، (١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م).
٢٢٠ ـ د. منير حميد البياتي، ود. فاضل شاكر النعيمي، الدولة القانونية، والنظام السياسي الإسلامي، (بغداد، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
٢٢١ ـ المودودي، نظرية الإسلام والسياسة، (باكستان، د.ت).

فهرس المحتويات